المسكوت

من الكنوز المخبأة

المكزون السنجاري

بين

الإمارة والشعر والتصوف والفلسفة

الجزء الرابع

تأليف حامد حسن

1994

قدم له

الدكتور عمر أبو زلام

موافقة الوزارة رقم ٢٣٣٥٣

الطبعة الاولى ١٩٩٤

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

مطبعة عكرمة

هاتف ٢٢١٢٤٨٩ - ٥١٢٤٩٦٩

دمشق - بحصة ص . ب ١١٨٨١

دعاء ...

أللهمّ انصرني على نفسي لأرتفع الى مستوى التضحية بأنانيّتي
فأصفح عن المسيء إليّ ، متعمداً ، أم حاسداً ، أم جاهلاً .

ح ...

الدعوة الانسانية الجامعة

أول وجـــدي مالـــه آخـــرُ وباطـني بين الـــورى ظاهـــرُ
وشـــرعتي في الحب مبذولـــة يؤمّهـــا الـــوارد والصـــادر
وسنتي فيـــه لأهـــل التقى يرفضهـــا مـــن جهـله الفاجـرُ
ودعـــوتي جامعـــــة للورى يدعـو بهـــا المؤمـــن والكافـر
وســـرحة الآرام في رامـــتي آنســـة ليـــس بهـــا نافـــر

منهج المكزون، ومنهج الغزالي

بقلم الباحث المفكر الدكتور عمر أبو زلام

وأنت أيها الأمير السنجاري:

أعترف لك بفضل العلامة الاستاذ حامد حسن والمفكر المبدع الدكتور أسعد علي اللذين يستحقان التكريم والتقدير على ما بذله أولهما الحامد الحسن في أجزائه الأربعة في إنجاز موسوعي لا أشمل ولا أدق، ومنهج مميز يلخص المعتقدات والعقائد والإجتهادات بكل موضوعية ونزاهة، مع حقه تاليا في التقييم والتقويم ليكشف لنا فجأة انك في كل شأنٍ الهدايةُ للصراط المستقيم، وأنك المستلهم الأمين مضامين القرأن الكريم وسنة رسوله العظيم ومذهب الامام عليّ كرم الله وجهه في تطبيق هذه التعاليم.

وعلى ما بذله ثانيهما الدكتور أسعد في توكيد منهجك المتسامي لمعرفة الله في جزئين حقق فيهما انجازاتك بعنوان "معرفة الله والمكزون السنجاري"، تميزا بدقة التحليل والتوثيق.

أيها الصوفي المجاهد..

أعترف أمامك أني قبل اطلاعي على هذين الانجازين "المكزون السنجاري بين الأمارة والشعر والتصوف والفلسفة" و "معرفة الله والمكزون السنجاري"، كنت أجهل اسمك وقدرك وجهادك وفكرك وسلوكك.

أعترف اني اكتشف فيك الكنز المتألق وعالماً رحباً خصيباً رحماني البنى، قدسيّ المرتقى، وأني ما كنت أتوقع بعد أن اسلمتنا السلطتان الأموية والعباسية إلى الأتابكة وإلى التترية، وقذفتنا لنجابه الفرنجة، ونحن عزلٌ، يغمرنا اليأس تارةً والأمل تارةً أخرى حتى تسلمتنا العثمنة، التي بدورها أسلمتنا انكشاريتُها إلى دومنة التتريك، فالانتداب فالأمركة المهودة، وتكنتها دولة اليهود مؤخراً.

ماكنت أتوقع أننا في غمرة المأساة هذه، وقد شلّعت أجزاؤنا في الشرق والشمال واغتصبت أقداسنا في الجنوب، أننا سنكتشف أميراً سنجاري المنبت، عريق الأرومة، يشرق من مشرق الوطن ليحرر مغربه من العداوة والحقد، وليعيد للمتمذهبين بمذهب عليّ ومذهب اسماعيل الود والتآلف والكرامة، ويحجّم نشاز التكرد.

ما كنت أتوقع أني سأكتشف أميراً محرراً وشاعراً مفكراً ومتصوفاً مجاهداً فيلسوفاً رحمانياً كما وجدتك في انجازاتك وأعمالك ونجدتك ونصرتك للحق.

ما كنت أتوقع أن ضوابط التفكير التي منهجتها هي الرد الأكمل المعاصر على الفتاوى المهودة وعلى كتاب "ضوابط التفكير" الذي صدر عن جامعة أمْ القرى "للقرفي" المعتمد الأحاديث "الهريرية" والفتاوي "التيمية" للتحريض على القتل وعلى سبي المحصنات واستلاب الأموال، مخالفاً بذلك المنهج القرآني الداعي لسبيل الله بتوسل الحكمة والموعظة الحسنة بالتوعية.

لهذا...استمحيك واستأذنك لفترة أتملى وأكتشف خلالها " كنوزك المخبأة " في الأجزاء الأربعة علّي أعرج بها على براق الكلمة المموسقة إلى سموات الحقيقة الأسمى.

-٤-

لقد وطنت فكري حينما بدأت أمنهج تقديمي للجزء الرابع أني سأتقيد بمنهج علاّمتنا الأستاذ حامد حسن الموثق على غلاف الأجزاء الثلاثة، أعني بذلك: "المكزون السنجاري بين الأمارة والشعر والتصوف والفلسفة" أي أني سأجد الجزء الأول مستهلا بالتعريف بالعصر الذي نشأ فيه أميرنا الملهم، وبمنطقة سنجار وهي إحدى منارات الفكر المتجدد، المتكاملة مع البصرة والكوفة والنجف وديار بكر والموصل وانطاكية وقدموس وجبال النصرة النصيرية، وبالتعريف بالوضع السياسي وحكم الأتابكة والأمارة السنجارية والوضع العقدي والسياسي في حلب وجبال الساحل وصولاً لتوثيق ما يتوفر عن يفوعة وشباب شاعرنا ولغته الشعرية عروضاً ولغة وفق تدرج فكره مع تطور شبابه الذي أغناه بالتمرس على الفروسية والسباحة والرمي والقنص. وأني لاجد الجزء الثاني مخصصاً للتراث والتصوف وهو المميزّ أميرنا عن غيره من الشعراء بالتعبير شعراً ونثراً عن نظرته الصوفية للإنسان والحياة والكون المستلهم جذورها من ونسغها من القرآن الكريم وأني سأجد الجزء الثالث مخصصاً للفلسفة، والجزء الرابع لتوشيج هذا التراث كله بالحداثة والتحديث، اقتناعا مني أن غائية هذا الجهد الموسوعي هو للتأكيد أن هذا الفكر

المكزوني هو الصراط الناظم الملهم للتحديث وهو الحافز المولد طاقات التحرير.

بيد أني قدرت، بعد تبصري في الأجزاء الأربعة، أن علاّمتنا الحامد الحسن فضّل الأهم على المهم ليبرز خصائص صوفية المكزون، هذه الصوفية الحضارية، وليبرز أن المنهج الأفضل ليس في مراعاة الترتيب التسلسلي بل في تقديم التصوف الأبرز في نتاج شاعرنا الملهم.

-٥-

قد قرر الغزالي في منهجه الفلسفي أن الشك قنطرة اليقين مجافيا المنهج القرآني الداعي للتبصر في النفس فالانسان فالوجود تبصراً دقيقاً، وتمحيصاً للتكوين الجسدي فالنفسي فتكوين الإنسان ذكورة وأنوثة وتفاعلا وتواداً وتلاقحاً لتكوين المجتمع فالمجتمعات فالوجود.

المنهج القرآني المتميز بالدعوة الى التأمل بوسائل المدارك: السمع والبصر والفؤاد المؤلفة معاً مجهر التأمل الذاتي المقرر في كل آي القرآن الكريم. وبهذا الترتيب، نبَّه هذا المنهج القرآني إلى دقة تكوين جهاز الإلتقاط السمعي وأهمية اتزانه وتوازنه جسدياً ونفسياً، وإلى دقة جهاز البصر في التقاط بنى التكوين الجسدي للإنسان والكائنات والنبات والوجود وأهمية اتزان هذا الجهاز وتوازنه، وانهما معا وكل منهما يمارس التقييم والتقويم والحكم، لا يتعطل دور أحدهما إذا فُقِدَ

إذا فُقِدَ الآخر، ويتكاملان إذا تواجدا ليكونا معاً للفؤاد الذي هو محكمة التميز العليا ومستقر البصيرة، الحيثيات لتقرير المبادىء العامة.

أجهزة الذات ومحصلتها، إذن لاتبدأ بالشك، بل تبدأ بموضوعية وايجابية الالتقاط لتحصص وتمحص بين السابق والتالي، بين المخزون والميسور، لتصل إلى اليقين الذي يتماثل للكمال بالتفاعل الأنسي بين الإنس المذكر والإنس المؤنث، المؤلفان معاً مثناهما: الإنسان. أول خلية في بنية المجتمع الذي هو أيضاً واحد من الخلايا المجتمعية في البشرية، والبشرية احدى الخلايا المؤلفة بتكاملها الوجود. وآلية التفاعل في كل نأمة مبنية على التجاذب ولغائية نشدان الأكمل، لهذا لايكون "الشك " الغزالي و " التناقض" الهيغلي فالماركسي قنطرة اليقين بل قنطرة لشكٍ جديد، بينما قنطرة اليقين هي في التفاعل التجاذبي لا التنابذي، ولا افتعال الشك بل توسل فطرية الحياة ووسائل التقاطها الطبيعية المعبدة الصراط لليقين.

ثم ما هو اليقين ؟ اليس هو شريعة الوجود وناموسها ؟ اليس هو حقيقةالحقائق أو الحقيقة الأكمل التي عبر عنها المكزون السنجاري بالشريعة التي لا تتكامل إلا بإدراك الظاهر سبيلاً لإدراك الباطن المؤلفين معاً وحدة لا انفصام بينهما، فلا ظاهر في الوجود بلا باطن ولا باطن بدون ظاهر،فلا نسغ في الجذع بدون لحاء ولا لحاء إلا ليحمي النسغ ويمكنه من النماء، والارتقاء من الجذور إلى الثمار كما عبر عنها:

أول وجـــدي مـالـه آخـــــر وباطني بيـــن الـــورى ظاهـر
وشـرعتي في الحـب مبذولـــة يؤمهـــاالـوارد والصـــادر
ودعوتـــــي جامعة للـــورى يدعـو بهـا المؤمـن والكافـر
فإن سبيل الرشد للنـــاس واحـــد ولا غـيّ إلا في متابعـة السبـل

هذا هو المنهج الأول الذي عبّر عنه شاعرنا الفيلسوف الملهم، بل هو المنهج الناظم كل فكره وممارساته حتى في جهاده التحريري الذي تنزه عن الاعتصاب لاستئصال الأذى فقط، واستنباع نسغ المودة بين المتمذهبين بالعلوية على سنة الرسول والمتمذهبين بالاسماعيلية على مذهب هذا الإمام، وردع الجهال الذين هم على سنة النشاز ليعيدهم الى طبيعة الأشياء.

ومنهج علاّمتنا الأستاذ حامد حسن في تقديم المكزون للقراء هو التأكيد على فلسفة شاعرنا الأمير وقناعة علاّمتنا أيضاً بصحة هذا المنهج.

-٦-

لقد حاول المتصوفة وضع منهج لليقين فتعثر العديد منهم بين توسل الزهد والتروض استصفاء للنفس، وبين التسكع بالتكايا توكلاً وارتزاقاً، وبين توسل الشطحات الصوفية جنوحا عن الصراط السوي، أو "التصومع" نقطة في دارة القطب الرباني تبعية. وتذلّلاً، محاولات كشف ضحالة هذه المناهج وعجزها عن الهداية وجنوحها للضلال.

بينما تميز المنهج المكزوني في التصوف أنه تجاوز هذه الوسائل الوافدة، ولم يصطنع التصوف بل حتى لم يتأثر بالمناهج الغربية أو الفارسية أو اليونانية، بل استلهم آي الذكر الحكيم منهجاً ومضموناً، منطقاً وفلسفةً، وسنة الرسول الكريم قولاً وفعلاً، فطبقها ايماناً وسلوكاً مؤكداً أن الزهد ليس في تحريم المحللات وتحليل المحرمات، وليس في الاعتزال في الجبال ولا بترقيع الثياب، بل الزهد هو في الحرام والرغبة في ثواب:

ليس زهد الفتى بتحريم حل من نكاح ومطعم وشراب
بل بقصد فيما أحل وزهد في حرا م ورغبة في ثواب

مع التوكيد على عدم الانفصام بين الظاهر والباطن، بل على التلازم بينهما كالتلازم بين الشريعة والحقيقة.

العلاّمة الأستاذ حامد حسن في إنجازه الموسوعي منهج بحث التصوف باستعراض لتعريف التصوف نظرياً بعد استعراض موجز لتاريخ التصوف من أفلاطون وحتى المسيح فالمذاهب الصوفية والمصطلحات الصوفية والمقامات الصوفية والترميز الصوفي وآداب التصوف والحرقة بكل نزاهة وموضوعية مستكْمَلة بتقييم وتقويم هذه المفاهيم ومقدمة لتبيان مذهب المكزون في التصوف، ومع التأكيدعلى أن صوفية المكزون القرآنية المصدر تلازمت مع الجهاد لتحرير الحرية من الأعتداء عليها وكانت الحافز لتلبية أي نداء من مظلوم لرفع الظلم عنه.

الحرية من الأعتداء عليها وكانت الحافز لتلبية أي نداء من مظلوم لرفع الظلم عنه.

ولهذا حقق المكزون أركان التصوف في حياته، فكان زاهداً في الدنيا لم تأسره ملذاتها بل حبذّ الدنيا لتحقيق قيم الحياة لتكون ثواباً في الأخرة، ولم تثنه هذه الدنيا عن مراقبة الله بل تسامى منها إلى الله بصراطِ أي الذكر الحكيم وأحاديث الرسول العظيم، كما لم تثنه الدنيا عن ذكر الله.

-٧-

المنهج الثاني الذي اعتمده العلاّمة الأستاذ حامد حسن في الأجزاء الأربعة هو جعل المضامين مولدة ومحددة المصطلحات، مصححاً بذلك الخطأ الشائع المتبادل والمؤلف مصطلحات شائعة متناقضة أو منعدمة أو غامضة حتى تزيد في غموض المصطلحات حتى لتغدو هذه المصطلحات جوفاء من المضمون العلمي.

لقد أدرك علاّمتنا ضلال المفاهيم وتضليلها لمدارك إنساننا ومجتمعنا، وأدرك مخاطرها على تراثنا وعلى تعاملنا، فبدأ في تحليل المضامين والمفاهيم الأدبية والصوفية والفلسفية والمذهبية، وخلص إلى المضمون الأسلم والمعصوم الأدق والمصطلح الأسلم لتغدو المصطلحات ومفاهيمها ومضامينها سبيلنا للتفاهم والتكامل والتناصر.

ذاك منهج العلاّمة حامد حسن في تبيان المنهج المكزوني القرآني، أما منهج علامتنا في تقديم المضامين الفكرية التي عبر عنها شاعرنا الأمير، فأبرز وأكرم ما فيها تحديد المكزون لمفهوم النسب، ونسبه بالذات:

إلـــى الرحمـــن نسبة كـل عبـــد ظهـــور صفاتـــه الحسنـــى عليـــه
ويعـــرف ما لـــه فـــي الغيب منـــه بـــرؤية مـــا لمـــولاه لديـــــه

النسب الرحماني عند المكزون أسمى من النسب العضوي، وإن يكن نسبه هذا مشرف ومن أرومات رائدة في الفكر والحكم واتخاذ العلوية مذهباً بعد التخلي عن الأموية .

نسب المكزون الحضاري ، إذن ، هو مجاهدة النفس لتجسيد القيم والانتساب لكل من يدين بها ويجسدها .

أأعـز والدتـــي وأنكـــر والـــدي وإلـــى عـــداي أفـرّمن أعـــواني
وأفـــر من أنسي إلـى وحش الفلا إن كنت ذاك فلســـت بالإنســـــان

كما أبرز علاّمتنا أن أهم ما في فلسفة المكزون في دعوته للتوحيد في المفاهيم والمصطلحات سبيلاً للهداية هو التوكيد على وحدة الشريعة ، وعلى أن الاختلاف والفرقة في عدم إدراك هذه الحقيقة، والاعتصاب للضلال :

إذا كان شرع الله في الدين واحداً وعن مسلك التفريق فيه نهى الرسل
فإن سبيل الرشد للناس واحد ولاغيّ إلا في متابعة السبل

مع التأكيد أيضاً أن القيم مصدرها مناقب الرسول العظيم تبشيراً وتطبيقاً :

كل المحاسن جزء حسن محمد وإليه مرجعها وعنه صدورها

لايمكن استيفاء عبقرية المكزون ، كما لا يمكن استيفاء الجهد الفكري الذي بذله علاّمتنا حامد حسن في الأجزاء الأربعة بمقدمة وتقديم . لهذا سأتناول بالايجاز رأياً إضافياً مكملاً لرأي علاّمتنا الأستاذ حامد حسن مؤكداً فيه أن تجمع << السقيفة >> لم يكن يدرك من دعوة الرسول العظيم إلا دور قيادة الرسالة ووجوب اختيار قائدها . متجاوزين أغراض الدعوة ووجائب الدعاة بعد وفاة الرسول ، حتى تقزم بحث أعلام السقيفة إلى التفاضل بين الأنصار والمهاجرين ، ومن ثم إلى قبلية المرشح لقيادة الدعوة و أحقيتها للقيادة ، أما ما تستدعيه الدعوة من درس للمضامين الواجب متابعتها بعد وفاة الرسول، ووجوب جمع القرآن فوراً ، وتصنيف سُوَرِهِ وفق تاريخ النزول وأسبابه ، وسيرة الرسول منهجاً وقولاً وفعلاً ، ومستقبل الدعوة تبشيراً وفتحاً ، والنظام الذي يجدر اعتماده لتحقيق هذه المهام نظاماً ممكّناً الدعوة من الانتشار ، ومن ثم اختيار نوعية القيادة المؤهلة لهذة المهام ، مما جعل << السقيفة >> أول مشكلة في الدعوة، وأول ظاهرة العودة للقبلية ، معيدين قيادة الدعوة إلى زعامة القبيلة ، والتنازع على

اقتسام منصب الخليفة وثانيهما بروز الخناجر المسمومة في اغتيال الخلفاء الثلاثة ، وثالثهما جنوح عثمان في تسييس الدعوة بتأمير السفيانية قيادة الولايات ، وتحريف فلسفة قيادة الدعوة من رعاية للتبشير والتحرير والتحضير إلى مُلْكٍ سفياني عضوض وتعطيل دور الإمام علي في قيادة الدعوة وهو من عاشها صبياً وكهلاً ، وهو من اعترف له الخليفة عمر بقوله : << لولا علي لهلك عمر >> ورابع هذه الكوارث بروز المعارضة بنوعيها : الغفارية << أبي ذر الغفاري >> والخوارجية ، والعصبيات العرقية ، وخامسها تحول القيادة إلى تفرغ للاقطاع والتهتك والتسري ، وانتزاعها بالاغتيال ، وسادسها تفاقم الثورات الاصلاحية التي اغتالها مرتزقة هؤلاء الملوك أو سلاطينهم ، كما اغتيلت ثورة الحسين بن علي ، واغتيل غيلان الدمشقي ، والجعد بن درهم ، وابن المقفع ، والسهروردي والحلاج ، وكان أبرزها الثورات العلوية الاصلاحية ومنها ثورة العلويين في عهد المنصور بزعامة محمد النفس الزكية ، وثورة أخيه ابراهيم في البصرة التي استولى بها على الأهواز وفارس ، وثورة العلويين على المأمون ، بالإضافة إلى ثورة الزنج والقرامطة .

ومنها تفشي الدجل مدحاً لهؤلاء السلاطين ، مدحاً رفع بعض الشعراء هؤلاء السلاطين إلى درجة المسيح ومحمد ، وإلى اعتبار هذه السلطنات تقديراً من حكيم عليهم ، وحُكْمُ هؤلاء السلاطين الطغاة مقدساً ، وقراراتهم مُنَزَّلَة مَكَّنَتْ << معاوية >> من أن يُعْلِن أنه أول الملوك !!

والمنصور من أن يعلن أنه سلطان الله على الأرض !!

الذي اغتيل علـى يـد هولاكـو بينمـا خُلِـعَ عـدد مـن الحكـام كـان أولهـم المستعين ، والمعتز ابـن المتوكـل ، والمهتـدي ، والقـاهر ، والمتقـي ، والمستكفي ، والمطيع ، والطائع.

تلـك هـي بعـض الكـوارث التـي انتـابت هـذه الأمـة ، والتـي كـان أبرزها تسليم السلطنات للمماليك ومنها للعثمنة ، فالصهيونية !!

ختاماً إن انجاز العلاّمة حـامد حسـن موسـوعي رائـع ، جديـر أن يحُاورَ وأن يعتمد رسـمياً كمرجـع أساسـي مـن مراجـع تراثنـا الجديـرة بالتقدير. الفاتحة مدارك أجيالنا لاعادة النظر في قراءة التـاريخ ، وفـي تأليف لجان لصياغة تاريخنا صياغة ممنهجة علمية موضوعيـة ، تقيـم الأحداث وتقّوم المفـاهيم سـبيلاً للتوعيـة والتعبئـة وتكويـن جيـل مؤهـل للتحرير والتوحيد والتحضير .

دكتور عمر أبو زلام

المدخل

كان أمام الغرب عدوّان اثنان : ألشيوعية و الاسلام ، وقد انهارت الشيوعية دون أن يقدم الغرب خسائر تذكر ، ويجتمع اليوم الغرب والشرق لمجابهة العدوالمتبقى الواحد .

اذاعة لندن ٣ شباط ١٩٩١

هذا ما صرح به أحد الساسة الغربيين ، وأعلنه على العالم بدون مواربة ، ولاأشكال . إنها مكاشفة ، إنها صراحة ، على ما فيها من التحدي والمجافاة .

مارأي الدول والشعوب الاسلامية الموزّعة في الشرق والغرب ؟؟ والمنتشرة على امتداد المعمور ، والمتناثرة تحت كل كوكب ؟؟

هل هي آمنة مطمئنة مستقرة الأوضاع كغيرها من الشعوب الآخرى ؟؟

هل تسهم – وفي هذه المرحلة بالذات – في بناء ذاتها ، وتعزيز كيانها ، وتشارك كعضو فعّال في بناء الحضارة المعاصرة كغيرها من الأمم والشعوب ؟؟
أم تُضرب دونها السدود ، وتُقام الحدود ، ويُحال بينها وبين الأخذ بأسباب الحضارة ، وبناء القوة الذاتية ؟؟

أم جاء دورها بعد انهيار الشيوعية ؟؟ باعتبارها العدوّ المتبقى ؟؟

ماذا في هذه المساحة الشاسعة ، المترامية الحدود . السحيقة المسافات، والتي يحدّها المحيط غرباً ، والخليج شرقاً ، وطوروس شمالاً ، وباب المندب جنوباً ؟؟

هذه المساحة الكبرى العظمى التي تشغلها وتغطّيها شعوبٌ وحيدة الفكر ، والثقافة واللغة ، والتاريخ والآمال !! (١)

ألم يزرع هذا الغرب فيها القلق والاضطراب ، والرعب والقهر، والتخلف والاختلافات؟؟

ثم ماذا في شرقي أوربا – البوسنة والهرسك – ؟؟
ماذا في افغانستان ، والباكستان ، والهند ؟؟
ماذا في الصومال وموريتانيا ، والسودان والصحراء الغربية ؟؟
ماذا في أية بقعةٍ يقطنها المسلمون ؟؟
المسلمون الذين يشكلون واحداً من كل أربعة من سكان هذا الكوكب !!
ماذا أعدّ المسلمون لهذا الواقع ؟؟
وماذا يعدّون للمتوقع ؟؟
لقد انكشف الرياء !!
وازيح الغطاء !!
وبرح الخفاء !!
ونزل البلاء !!

---

(١) راجع الوثيقة الأستعمارية في كتابنا: وجهاً لوجه أمام التاريخ

الإسلام في محنة !!

ومحنة المسلمين من الداخل قبل أن تكون من الخارج !!
محنة المسلمين من أنفسهم ، قبل أن تكون من أعدائهم !!
الاسلام بروحه العامة تشريعاً وعملاً ، هو المرحلة الأعلى للمجتمع ، مجتمع العدالة والمساواة ، والإخاء والرحمة ، والإنسان ، فلماذا لم ينعم المسلمون بهذا المجتمع ؟؟

إذا أعياك الجواب فانظر إلى ما عليه المسلمون من تعدّد الآراء، ووفير الاجتهادات وشئيث المقالات ، وكثرة المذاهب ، واختلاف وجهات النظر في السياسة والسلوك والثقافة .

هذه الفوارق وأخصّ المذهبية منها ، شكلت عُقداً نفسيّة يتعذّر حلُّها، وأقامت حواجز تاريخية واجتماعية يصعب اجتيازها ، وأوجدت هوّى يستعصي على المصلحين ردمها !!
وأين المسلمون من دستورهم ؟ وقول ربّهم : أن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون (١)

المذهبية تؤطرفكر معتنقيها ، فيرون أن لها القدرة على تقديم الحلول الناجحة لمشكلاتهم ، وأنها تمتلك الوسيلة لتحقيق الخير العام.

---

(١) الأنبياء ٩٢

في هذه السلسلة – سلسلة دراسة المكزون السنجاري – التي ألزمت نفسي بها منذ خمسة وعشرين عاماً ، وقد أنجزت أجزاءها الثلاثة ، وها هو الجزء الرابع قيد الانجاز ويأخذ طريقه إلى القراء قريباً .

في هذه السلسلة تتّبعت الكثير من نقاط الخلاف السياسي والمذهبي وتعقبتّهافي العديد العديد من مصادرها ، تلك الخلافات التي أدّت إلى انحلال قوة المسلمين ومزقت وحدتهم ، وفرقت كلمتهم ، ومكّنت للاستعمار منهم .

تعقبتها بروح تحاول تقريب ما ابتعد ، وتوضيح ما استغرب ، ورأب ما انصدع. و لمّ ما انشعث !!

مصححاً جهد الامكان – أخطاء التاريخ المتعمدة ، كاشفاً أغراض المؤرخين المتقصّدة ، مستهدفاً وحدة الأمة ، وجمع الكلمة .

ربطت كل حادثة تاريخية فرضها علّي البحث بزمانها ومكانها ، وحللّتها مستنداً إلى طبيعة مزاج أشخاصها ، متوسعاً باستعراض مقدّماتها ، لأصل مطمئناً إلى صحة نتائجها .

ولقد انتهيت – بفعل هذا النمط من الدراسة – إلى نتائج انحرف بها المؤرخون عن أسبابها ، جرياً وراء مغنم – أو تبعاً لهوًى أو تقرباً

من سلطان ، أو جزعاً من بطش ، أو كيداً من شعوبية حاقدة ، أو تعصباً لمذهبية ضيقة !!

على أنني في بعض المسائل الخلافية التي لم يفها التاريخ حقها من البحث ، وتحتمل الكثير من التفصيل والإيضاح ، لأطلع على القراء بـ << الرأي الثالث >> ، ولكنني أوجه بعض الأسئلة حول النقاط المهملة ، أو المغفلة ، ليجيب عليها من يمهمه الأمر !!

وأرغب إلى المحبيب أن يستهدف وحدة الكلمة ، ومصلحة الأمة، ونبذ الخلاف .

هذا موقفنا من المسائل الخلافية ، أما << التّهم >> التي يحوكها المؤرخون قديماً وحديثاً ، والتي تُنافي الحقيقة والواقع وتعمل على بث الشحناء ، وتمزيق الوحدة ، وتوسيع الشقة ، فلنا منها موقف آخر ، ولكنه موقف قوامه الاعتدال في الاحكام ، بعيداً عن ردود الأفعال .
هذا هو قوام منهج هذه الدراسة !!

المكزون السنجاري في حجاجه وجدله ، وحواره ، يرمي إلى هذه الغاية النبيلة ، فيفنّد بعض تلك الروايات الخلافية ، بطريقته الخاصة ، طريقة المعاتبة لا المعاقبة ، طريقة المتّظلم من ظلم التاريخ والمؤرخين !!

وفي كتابي هذا سألتزم هذا المنهج ، وأتلمس وجه الصواب ، واستخراج عنصر المسالمة والموادعة ، معتمداً روح المقاربة في كل المسائل التي تبدو في ظاهرها متنافرة ، في حين أنها في حقيقتها ليست كذلك ، وانما أريد لها أن تكون !!

قد يعترض بعض القراء – ولكل قاريء حق الاعتراض – قائلاً: المكزون السنجاري من شعراء وفقهاء القرن السابع الهجري ، قرن الحجاج ، واللجاج ، والمنابذة والمنافرة ، والتشادّ والتلاحي والتّشار، بين فئات المسلمين يومذاك ، فلماذا خصّصته بالدراسة ؟؟

والجواب على هذا التساؤل هو ذو شقّين :

الأول : أنني لم أجد في كنوزنا المخبأة – وما أكثرها – شخصية أحاطت بكل معارف عصرها كهذه الشخصية !!

الثاني : أن حجاجه وجداله وحواره ، أقرب إلى المسالمة والمعاتبة، منه إلى المعاقبة ، والمواثبة ، كما سبق وقلنا .

وهذا النهج هو ما أخطأه المتحاجّون من المسلمين عبر تاريخنا الطويل.

وهذا النهج لو التزموا به ، أو قاربوه ، لما انتهينا إلى ما نحن عليه اليوم .

هذا المنهج القويم – منهج جمع الكلمة – الذي انحرف عنه – مع الأسف – بعض المؤرخين المعاصرين بدءاً من الدكتور عمر تدمري وانتهاءً بسيّد طنطاوي مفتي الديار المصرية (١) مروراً بعبد الرحمن بدوي (٢) ومحمد أحمد الخطيب (٣) وعبد الحسين مهدي المسكري (٤) والحسيني عبد الله (٥) هؤلاء << التيميّون الجدد>> الذين لايجهلون خطر ما يكتبونه على أمتهم ، وخاصة في هذه المرحلة.

آن لنا-وفي هذه المرحلة بالذات-أن نعمل عقولنا، ونطهرأرواحنا وقلوبنا، ونفوسنا وأفكارنا، من أثر التراث الحاقد، ونتّجرد من روح بعض الأجداد الذين انحرفت بهم العصبية والمذهبية عن جادةالصواب.

إن الصدور التي يعشّش فيها الحقد ، لاتفرّخ الا الضغينة ، ولانصيب لها من الطمأنينة !! والقلوب التي تعتلج بالكراهية والبغضاء لاتنعم بالهدوء وسكينة الايمان.

والأقلام التي تتحرك باثارة الفتن ونبش عفن التاريخ ، لاتلقى من الأنفس الواعية الا النبذ والازدراء والامتهان .

الدريكيش في ٩/ ٦/ ١٩٩٣ م

١/ ١/ ١٤١٥ هـ **حامد حسن**

---

(١) راجع جريدة الأهرام المصريه ١٩٩١/٩/٢٨

(٢) مذاهب الإسلاميين ج٢

(٣) الحركات الباطنية في العالم الإسلامي

(٤) العلويون النصيريون

(٥) الجذور التاريخية للنصيرية

أستهلال !!

قال المكزون السنجاري الشاعر الصوفي :

قلـــت للآئـــم فيـــه بالـــرُّشـــي ... لست أسلـو عن هوى هذا الرُّشَيْ
وهـــو لـــي فـــوق وتـــحت، وورا ... وأمـام، وجليـّس عـــن يـــــدَيْ
ولـــــه منـــــي ولاءٌ وبـــِّـــراً ... فـي إبـاءِ حبـّه مـــن أبـــــوَيْ
أعجمـــيّ الأصـــل، إلاّ أنـــــه ... بلـــواء العـــرب وافـى بلـــوَيْ
وابتنى(١) في بيت<<كعب>>كعبـةَ ... أمـّها طوعـًا لـــه آل عُصـــيْ
والـى<<أم القـــرُى>> أمّ القـــرُى ... من أقاصـي الأرض في دار قُصَيْ
ورجـــالاً وعلـــى ضمّـرهـــــم ... جـاءه من كـل حـــيّ ِ كـل حـَيّ
مُذهـب الخـــوف عـن الخيف ومن ... فلّ جيـش الفيـل صرعى بالـوديّ
وبطيـب النشـــر منـــها أصبَحـت ... طيبةً تطوى اليها الأرض طـي(٢)

بمثل هذا الغزل الصوفي – غزل الروح – وبمثل هذه الاشـارات العرفانية ، وباستعراض أسماء تلك الأماكن المقدّسة – أماكن ولادة الرسول ، الأعظم محمد بن عبد الله – ومراح طفولته ومغدى فتوتـه ، ودار هجرته ، وابتعاث دعوته ، يطالعنا هذا الشـاعر الأمير المتصّوف فيسكرنا روحاً ، ويترفنـا وجداً ، ويغنينـا ذوقاً ، ويشـعل فـي أرواحنـا وعواطفنا وكل مشاعرنا لهيب الشوق ، وسعير التوق ، الى أم القُرى مكة ، وبيت كعب – الكعبة –، وطيبة – يثرب –، طيبة التي أصبحت بنشر طيب دعوته منها تطوى اليها الأرض ، وتنداح الرجال،

---

(١)في كل النسخ جاءت وانثنى وأرى أنه تصحيف والصواب ما أثبتناه

(٢)ديوان المكزون تحقيق الدكتور أسـعد علـي، ومخطوطـة الظاهريـة، ومصـورة الأسكوريال

وتتوافدالركبان ومن كل فج عميق ، وعلى كل ضامر .

ويورد لنا أسماء أجداد النبي الذين درجوا على تلك البقاع ، وينوا تلك المعاهد، لؤي ، كعب ، قَصَي .

ويعيد إلى أذهاننا ذكرى أصحاب الفيل ، الذين أرادوا بالكعبة بيت الله شراً ، ففلّ الله كيدهم ، اكراماً لبيته الحرام ، وجعل كيدهم في تضليل ، وجعلهم كعصف مأكول . تلك الأماكن التي قدّسها وباركها الاسلام ، وحولها من مقاصد وطقوس جاهلية ، إلى شعائر ومقدسات اسلامية .

فما هي مكة في التاريخ ؟؟

عرض تاريخي

-١-

خرج ابراهيم الخليل بن آذر كما يقول القرآن،أوابن << تارح >> كما يقول العهد القديم من أور الكدانيين التي تقع في جنوب العراق الحالي حوالي ١٨٠٠ ق . م متجها إلى حاران (١) وبصحبته زوجته ساراي (٢) ولوط ابن اخيه وأهله (٣)

في حاران توفى أبوه آذر = تارح ، ودفن هناك ، وتابع ابراهيم ولوط رحلتهما إلى أرض كنعان - فلسطين - واقاما هناك .

-٢-

حدث جدب في أرض كنعان فنزل ابراهيم بأهله إلى مصر اتقاءَ المجاعة ، ثم عاد إلى أرض فلسطين مصطحباً جاريته المصرية <<هاجر>>.

لم يكن لابراهيم أولاد من زوجته << ساراي >> يومئذٍ ، فتزوج

---

(١) حاران = حران مدينة على نهر بليخ وتقع على مسافة ٢٨٠ ميل الى الشمال الشرقي من دمشق

(٢) ساراي = سارة زوجة إبراهيم الخليل واخته من أبيه

(٣) لوط بن هاران = هرون أخو إبراهيم

جاريته <<هاجر>> فولدت له اسماعيل ، فغارت منها زوجته سارأي لأنها كانت عقيماً حتى ذلك الوقت ، وحرّضت ابراهيم على ابعاد هاجر ووليدها اسماعيل ، فحملهما ، واتجه بهما جنوباً.

تقول المصادر التاريخية أنه نزل بهما في الحجاز بين قبائل جرهم ، وتركهما هناك !!

تقول التوارة : وكان الله مع الغلام فكبر ، وسكن في البرية، وكان ينمو رامي قوس ، وسكن في برية فاران ، وأخذت له أمّه زوجة من مصر (١).
وفاران هي مكة وبطاحها.

ويشير القرآن إلى ذلك قائلاً بلسان ابراهيم : ربنا إني أسكنت من ذريتي بوادٍ غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاةَ فاجعل أفئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون (٢) وجاء في التفاسير أن الوادي غير ذي الزرع هو وادي مكة .

---

(١) تكوين ٢١/ ٢٠/٢١

(٢) سورة إبراهيم ٣٧

مكـــــة

تقول المصـادر : ان تاريخهـا يرجـع إلـى عهـد ابراهيـم الخليـل ، ولكن الآية السابقة تدل على أن تاريخها يعود إلى أبعد من ذلك ، بدلالة وجود البيت المحرم الوارد ذكره في الآية .ويظهر أن ابراهيم عاد إلـى وادي مكة بعد أن شبّ ولده اسماعيل ، وتـزوج مـن قبـائل جرهـم (١) وجدّدا – الأب والابن – البيت الحرام : واذ يرفع ابراهيم القواعـد مـن البيت واسماعيل ربنا تقبل منا أنك أنت السميع العليم (٢)

وكأني بالقاريء يتساءل بشيئ من الحدة والجدة والاستغراب ، مـا علاقة ابراهيم الخليل وابنه اسـماعيل ، والبيـت الحـرام بموضـوع هـذا الكتـاب ، ودراسـة المكـزون السـنجاري ، وهـو مـن شـعراء وفقهـاء ومتصوفـي القـرن السـابع الهجـري ، وبينـه وبيـن هجـرة ابراهيـم ٢٥٠٠عام ؟؟

مبدئياً يحق للقـاريء – كـل قـاريء – أن يطـرح هـذا التسـاؤل ، وعلّي أن أوضح الأسباب فيما يلي :

١– مكـة ذات أثـر بعيـد ، وعميـق المـدى ، فـي حيـاة العـرب جاهليـاً واسلامياً !

٢– في مكة ولد رسـول العـرب والاسـلام، ومنهـا سـطع نـوره، وفيهـا ولدت دعوته ، ومن هذا المولد ، تحوّل مجرى الزمان، وتغير مسار التاريخ !

---

(١) التوارة تقول تزوج من مصر والروايات العربية تقول من جرهم

(٢) صورة البقره ١٢٧

٣- الأحداث التي شهدتها مكة قبل الدعوة ، والأحداث التي رافقت الدعوة ، تترابط وتتواشج بالأحداث التي أعقبت وفاة الرسول !

تلك الأحداث التي فرّقت كلمة المسلمين ، عقب الوفاة مباشرة واتسع نطاقها ، حتى بلغت ذروتها في تشكيل تلك الأخراب ، وتكوين تلك النحل ، وتعداد تلك المذاهب ، وأعقب ذلك التشاحن ، والتلاحي ، والمعاداة ، وكلها أغراض سياسية تبع فيها اللاحق السّابق .

والمكزون كشاعر وفقيه ، وذي نزعة مذهبية معتدلة يتناول في شعره ذلك الخلاف ، الذي انطلق عقب الوفاة وقيام الخلافة الأولى، حيث تشكّل الحكم والمعارضة ، لكنه يندّد بالخلاف ، باحثاً عن أسبابه وبواعثه.

ولما كان المنهج النقدي المتكامل يفرض علينا أن نلم بكل جوانب فكر المكزون ، كان لابدّ لنا - الزاماً والتزاماً - أن نستعرض حجاجة، ونتقرّى آراءه ، ونستبين وجهة نظره ، وكل مايتصل بتلك الفترة .

ومتى علمنا أن تلك الفترة هي امتداد لما سبقها كما سيتضح من العرض التاريخي ، يمكننا القول باطمئنان أننا ربطنا النتائج اللاحقة ، بالمقدمات السابقة ، وان ترامى بينهما الزمن ، ونكون بذلك بسطنا عذرنا للقاريء ، وأجبنا على سؤاله ، أو تساؤله .

-٤-

كانت مكة مقدسةً ومأمومةً قبل الاسلام ، فالكعبة حرم ومباءة لأصنام القبائل ، فقلما يخلو هذا البيت من وثَن لقبيلة من القبائل تقدسه، تعبده تحج اليه، تتبرك به تطوف حوله، وقد عُرف من آلهتها هُبَل، ودّ، يغوث ، يعوق ، نسر ، سواع ، اللات ، العزّى ، مناة ، آساف، نائلة، مناف.

والجزيرة على إيمانها بالأوثان ، لم تكن في منأى عن الأديان الأخرى ، فاليهودية في يثرب ، وقريظة، وخيبر، وفدك ، وتيماء .

والمسيحية في نجران ، وغسان ، والحيرة ، وتخوم الحبشة مما يلي الضفة الشرقية لبحر القلزم = الأحمر.

وبالطبع سمع أو اطّلع العرب على المجوسية ، بحكم اتصال المنادزة ملوك العرب بفارس.

كل هذه الأديان تلاقت في جزيرة العرب، مع وثنية العرب ، وبقايا من الحنيفية – دين ابراهيم – فقد وُجد هناك وعرف من «يتحنّث» بها

قلنا: أن القبائل العربية تقديساً لأصنامها كانت تحج إلى مكة، فنشأ عن هذا الحجيج أسواق تجارية ، ومواسم أدبية ، كعكاظ، ومجنّة، وذي

المجاز، وغيرها، فنشطت التجارة ، وتبودلت السِّلع، وعقدت الصَّفَق، مما جلب الثراء والرفاه، ووفير الأموال، إلى مجتمع مكة.

وحفاظاً على التجارة، واستدامة الربح، وتوفير المكاسب، وتدفّق المال، استنّ العرب الشهور الحرم (١) وعددها أربعة أشهر في العام، ودعوها حرماً لانثار فيها نزاعات، ولاتعلن حرب ، ولاتراق دماء ، وقد يلتقى الموتور بواتره فلا يتعرضان لبعضهما بسوء ، فاذا انسلخ الأشهر الحرُم ، هدأت حركة التجارة،وعادوا إلى تقاليدهم وعاداتهم ،من الغزو والنهب والسلب، والاقتتال، وأسر الرجال، وسبي النساء، واسترقاق الأطفال .

هذه هي مكة في ذلك العهد الجاهلي ، محط القوافل، وملتقى الرواحل، ومستراح القبائل، وحركة التجارة من وإلى الشام، ومن وإلى اليمن، رحلة في الشتاء، ورحلة في الصيف، وهذا هو ايلاف قريش الذي أشار اليه القرآن، والايلاف: الالفة والملازمة، والايناس.

هذا مابلغ بهم اهتمامهم في التجارة، وتعلّقهم بها، وانقطاعهم اليها في الجاهلية:

أما في الاسلام، فقد بلغ بهم حداً صرفهم عن مجالسة الرسول: وسماع حديثة، وربما شغلهم عن القيام بالصلاة، ولقد قرّعهم القرآن الكريم

---

(١) الأشهر الحرم هم ذو القعدة، وذو الحجة، ومحرم، وصفر.

على ذلك: واذا رأوا تجارة، أولهواً انفضوا اليها وتركوك قائماً قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين (١).

وقد يعتذرون إلى الرسول عن هذا الانصراف والانشغال بالأموال والأهل اعتذاراً بالقول لابالنية والقلوب: سيقول لك المخلفون من الأعراب شغلتنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم قل: فمن يملك لكم من الله شيئاً أن أراد بكم ضرًّاً أو أراد بكم نفعاً(٢).

هذه الحركة التجارية الناشطة الدائبة، المندفعة المتنامية ألقت مسؤليات واستتبت واجبات، على مجتمع مكة، وقادتها تجاه من يؤمها زائراً، أو حاجاً، أو تاجراً، أو عابراً، من مختلف القبائل، والبلدان، فحدّدت بطون قريش هذه المسوؤليات، وتوازعت تلك المهامّ، والتزمت بتلك الواجبات، وتقاسمت مهمة تلك الأعباء، ليضمنوا الأمن والراحة للوافدين، ويحققوا الربح الوفير، والخير الكثير لمجتمعهم.

كان النفوذ قديماً في مكة لقبيلة خزاعة ولكن قصي بن كلاب الجد الخامس لرسول الله، تزوّج من خزاعة، وغلبهم على أمر مكة، وكانت قريش بطوناً متفرقة في القبائل، فعمل جاهداً ومضى دائباً على جمعها

---

(١) سورة الجمعة ١١

(٢) الفتح ١١

وتقريشها، والتقريش لغةً: التجميع، حتى تم له ذلك الأمر، فسمّيَ مجّمعاً، وقال الشاعر في ذلك:

أبوكم قصيّ كان يُدعى مجمّعاً به جمّع الله القبائل من فِهرْ(١)

بطون قريش

بيوت الشرف في قريش عشرة: هاشم، أمية، نوفل، عبدالدار، أسد، تيم، مخزوم، عدي، جمح، سهم.

هذه البيوتات تقاسمت المهام التي تتعلق بالبيت الحرام وحجّاجه، في المواسم. وتولّت الأشراف على الوافدين اليه، تجارةً وحجيجاً، فكانت السقاية والعمارة، والرفادة، والعقاب، والحجابة، والسدانة، والندوة، والمشورة، والاشناق، والقبة، والأعنة، والسفارة، والايسار، والأموال المحجّرة.

النزاع بين بيت عبد مناف

كانت السقاية والعمارة والرفادة، لبني هاشم، والراية والأعنة لبني أمية، وبقية الوظائف موزعة على بقية البطون من قريش.

---

(١) لسان العرب مادة جمع

كان هاشم بن عبد مناف بن قصي مقدماً في قريش لشرفه، وكرمه وحصافة عقله، فجمع بين السقاية والعمارة والرفادة، فغار منه ابن أخيه أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، ونازعه مهامّه، وتجاوز قدره حسداً له، وغيرةً منه، وبغياً عليه. والحسد والغيرة يكادان يكونان طبيعةً في الأقارب، فتنافرا على الطريقة الجاهلية المعروفة يومذاك، واحتكما إلى بعض الكهنة، وقيل إلى زعماء البيوتات، فاجتمعوا في «دار الندوة» الدار التي تفضّ فيها النزاعات، وتفرض الغرامات، وتؤدّي الدّيات، وخرج الحكم بادانة أمية بن عبد شمس، وتغريمه عشرة نياق، وقيل مئة في بعض المصادر، وبالجلاء عن مكة عشر سنين.!!

أنه حكم قاسٍ وخاصة الجلاء عن مكةَ!!

قارئي الكريم:

ضع هذه الواقعة- واقعة الحكم على أمية - في ذاكرتك فإنها ستفسّر لك الكثير من مستقبل التاريخ الاسلامي. وقديماً قيل: ومُعظم النار من مستصغر الشّررِ.

هذا الحكم أغضب أمية ولفيفه، ومن يتعاطف معه من بطون قريش، وبعض القبائل المحيطة بمكة، إما انحيازاً اليه، أو حسداً لبيت عبد مناف لتفوّقه في الجاه والشرف والسيادة، ولأن هذه المنافرة، وهذا الحكم وهذا الخلاف يضعف هذا البيت وبالتالي يحدّ من نفوذه، وهذا ماترمي اليه قبائل العرب، وبطون قريش.

يقول الطبري: إن هذه الحادثة – المنافرة – ومانتج عنها من غرامة، وترتّب عليها من جلاء وابعاد، تعتبر أول عداء بين الهاشميين والأمويين (١)

تعمّقت الخصومة بين أبناء البيت الواحد، وتشعّبت واتّسعت وامتدّت إلى غيره من البيوتات: وعمل المتربصّون شراً بهذا البيت على اذكاء نارها، وتأريث لهيبها!!

لقد عانت الدعوة الاسلامية في مهدها من هذه العداوة، واصطلى المسلمون بجحيمها عبر التاريخ، ولاأُغالى اذا قلت: وما زالوا يصطلون!!

أصبح هذا العداء ميراثاً يتلقّفه الأبناء عن الآباء، فها هو حرب بن أمية ينافر عبد المطلب بن هاشم، ويحمي قَتَلة رجل يهودي، نكايةً بعبد المطلب، وتحدياً له، لأن الرجل اليهودي كان في جوار عبد المطلب وذمته، فيحتكمان إلىنفيل بن عبد العزّى، وكان (يتحنث) على دين ابراهيم، فيقول نفيل لحرب بن أمّية: أتنافر رجلاً هو أطول منك قامةً، وأوضح منك وسامّة:

وأعظم منك هامة، وأكثر منك ولداً، وأجزل منك صلةً.؟؟(٢)

---

(١) الطبري ج٢ ص١٣

(٢) العقاد عبقرية محمد ص ١١

قارئي: ضع هذه الواقعة في ذاكرتك أيضاً.

وهكذا- والتاريخ شاهد -تتوالى سلسلة العداوة، والمحاسدة والمناوأة، وتنطلق كلما أثارها أمر، وتنبعث كلما دعاها شرّ!!

ويظهر لنا من خلال هذه الأحداث أن البيت الهاشمي يمضي قدُماً غير متخلّف، وغير بادىء بالعداء والمشارّة، وأن البيت العبشمي دونه مجداً وشرفاً، وبسطةً في الناس كما أنه أعمق حقداً، وأدعى للشر.!!

وهكذا باتت قلوب العبشميين على غلّ وحقد وضغينة، تنمو مع الزمن، وقلوب الهاشميين على حذر تزيده الإحَن!!

بيت عبد مناف له كرم النسب العريق، وليس له لؤم الثروة الجامحة، والكبرياء الجائحة، والقسوة على من دونه من المحرومين(١)

ومن مظاهر هذا العداء- عداء الأمويين والهاشميين - مايرويه لنا التاريخ وهو أن عدداً من بطون قريش اجتمعوا في دار عبد الله بن جدعان، وعقدوا بينهم حلفاً سموه «حلف الفضول» ينصّ على دفع كل ظلامه، ونصرة كل مظلوم، وتأمين كل خائف في مكة، أومن الوافدين اليها على حريته، وماله ودمه، وشهده الرسول وكان عمره ١٤ سنه، وقال: شهدت حلفاً في دار عبد الله بن جدعان وددت لوان لي به حمرَ النِعَم، ولو دُعيت اليوم إلى مثله لأجبت .

---

(١) العقاد عبقرية محمد

هذا الحلف على شرفه ونبل غايته، لـم يشـارك بـه بنـو أميـة، لأن بني هاشم شاركوا فيه.

-٤-

درج الوليد اليتيم محمد بن عبد الله في حضانة جده عبد المطلـب، ولما حضرت الوفاة عبد المطلب، أوكل أمر رعايـة اليتيـم إلـى رعايـة وكفالة عمه أبي طالب - عبد مناف ، شيخ بني هاشم وشـيخ الأبـاطح، فربي اليتيم في كنفة صبيًّا، ويافعاً وشاباً.

وشاءت ارادة الله أن يكون محمد بشيراً ونذيراً للعرب والانسانية، وداعياً إلى الله باذنـه وسـراجاً منـيراً، ومـا أحسّ أبـو سـفيان ورهطـه الأمويون، بـالدعوة الجديـدة حتـى ثـارت الأحقـاد وانفجـرت الضغـائن الكمينة، على بني هاشم.. أليس محمد منهم؟؟

انطلق أبو سفيان يحرّض قريشاً والعـرب، وأنهـم مهـددّون بدينهـم وآلهتهم، وتجارتهم . بعبيدهم، بسيادتهم، وأن محمداً يدعو لديـن جديـد، وآله جديد، وأن هذا الدين يساوي بين العبيد واسـيادهم، فثـارت قريـش ببطونهـا وافخاذهـا، وحلفائهـا مـن القبـائل بقيـادة أبـي سـفيان ضـد بنـي هاشم،وناصبتهم العداء !!

عقدت قريش حلفاً ينصّ على مقاطعة بني هاشم، مجالسةً ومحادثةً وسلاماً وكلاماً وتجارةً ومزاوجةً، وحرروا كل ذلك في صحيفة، وعلقوها في الكعبة صيانةً لها، والزاماً بالتنفيذ،

هذه المقاطعة الجأت بني هاشم إلى الهجرة من مكة وإلى سكنى الشعاب.

اشتدت المقاطعة المحكمة على بني هاشم حتى روى التاريخ أنهم أكلوا ورق الأشجار، جوعاً، وامتص أطفالهم الرمال عطشاً، واستمرت المقاطعة ثلاث سنوات متوالية.

قارئي: أضف هذا أيضاً إلى ذاكرتك

لم تهن لأبي طالب شيخ بني هاشم عزيمة، ولم تلوَ له شكيمة، وجاوز في صبره حد الصبر، ولم يفرّط بمحمد، ودعوة محمد، ودين محمد، وكان يرسل القصائد المبشرة بالرسالة، داعياً القوم إلى اعتناقها، والالتفاف حول صاحبها، لأنه خير نبي، وأكرم مرسل.

ولقد علمت بأن دين محمد من خير أديان البرية دينا(١)

---

(١) ديوان أبي طالب تحقيق يونس أحمد رمضان

ومن قرأ سيرة ابن هشام، ومصادر الدعوة الاسلامية -على تعدّدها- يدرك ماأسداه أبو طالب للدعوة ، وما عاناه في سبيل الدين الجديد ، ويرى عمق الايمان ، وصلابة المعتقد وعظمة التضحية ، التي قام بها أبو طالب حتى قال بعض المنصفين : لولا أبو طالب لم يكن الاسلام .

يقول التاريخ ، ان الله سلّط على صحيفة قريش - صحيفة المقاطعة - الأرضة فأكلتها ، ولم تبق من كلماتها إلاّ كلمة الله !! أكلت الأرضة كلمات الصحيفة إلاّ كلمة الله !!!

العرب كانوا وثنيين ، ولايعرفون الله ،و إذا أرادوا أن يشيروا في تلك الصحيفة إلى إلاه ، فلا يكون إلاّ من آلهتهم المحسوسة ، الملموسة ، المصنوعة من الخشب ، أوالحجارة ، وهل هذه الآلهة الوثنية يحميها الله من قرض اسمها ؟؟؟

ان هذا من تزيدّ المؤرخين ، وبدوات الرواة ، وعدم مراقبة العقل، والاحتكام اليه ، وكم في تاريخنا من أمثال هذه الخرافة ؟!

-٥-

الزعيمان

كان يتنازع السيادة في مكة في تلك المرحلة زعيمان اثنان : أبو طالب عم الرسول ، شيخ بني هاشم ، وأبو سفيان صخر بن حرب

شيخ بني أمية ، ويمثلان الصراع والمعاداة التي اتينا على بعض مظاهرها ، ولقد أبرز التاريخ صفات وأعمال كل منهما ، وأوردنا شيئاً من أعمال أبي طالب ومصابرته ، وتضحياته في سبيل الرسالة الاسلامية ، وتحدياته لمشركي قريش .

أما أبو سفيان، فقد قاد مشركي قريش، وجابه الدعوة بشراسة الوثني المشرك، وحزّب الأحزاب وخاض المعارك الدامية، وفعلت زوجته هند بنت عتبة الافاعيل التي لم يسبقها اليها أحد فجدعت الوف الشهداء يوم أحُد ، وقطعت مذاكيرهم، وصلمت آذانهم، وجعلت منها قلائد وسخاباً، وشقّت صدر الشهيد حمزة عم الرسول وسيد الشهداء، وأخرجت كبده، ومضغتها حقداً وتشفياً ووحشية !!

لقد كان التاريخ حيادياً في سرد تاريخ واعمال كل من الزعيمين، فأبو طالب النصير الأكبر لمحمد ودينه، وأبو سفيان العدو الأكبر لمحمد ودينه.

هذا هو موقف التاريخ من سيرتهما، أما في حكمه عليهما، فقد جاء بالعجب العُجاب. لقد كذّب ما صدّق، ونفى ما أثبت، ونقض ما أبرم، فاذا بأبي طالب – على ذمة هذا التاريخ – يموت كافراً، ويخلد في ضحضاح من النار، يصل إلى كعبه، فيغلي منه دماغه، واذا بأبي سفيان وزوجته هند على ذمة هذا التاريخ – يسلمان ويحسن اسلامهما، ويترضى عنه أمام المحدثين – البخاري– في صحيحه!!!

الأقوال في ايمان أبي طالب

أجمع الكثيرون من علماء السّنة والشّيعة على إيمان أبي طالب ونجاته.

١-عن علي بن حسان، عن عمه عبد الرحمن بن كثير، قال: سمعت أبا عبد الله (ع) يقول: نزل جبريل على رسول الله، فقال: يامحمد إن ربك يقرئك السلام ويقول لك: إني حرّمت النار على صلب أنزلك، وعلى بطن حملك، وحجر كفلك(١)

٢-أخرج الأمام الرازي في «فرائده» باسناده عن عبد الله بن عمر: قال رسول الله «ص» اذا كان يوم القيمة شفعت لأبي، وأمي، وعمي أبي طالب، وأخ كان لي في الجاهلية (٢)

٣-قال«ص» قال لي جبريل: أن الله شفّعك في ستة : بطن حملك، وصلب أنزلك، وحجر كفلك، وبيت آواك، وثدي أرضعك، وأخ كان لك في الجاهلية.

٤-قال«ص» أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة وجمع بين أصبعيه (متفق عليه)

٥-وقف «ص» على قبر عمه أبي طالب عند وفاته، وقال: أما والله لأشفعنّ لعمّي شفاعة يعجب لها أهل الثقلين(٣)

---

(١) الحجة ٥٥ الغدير ٣٧٨/٧ المنة والتعظيم للسيوطي ٢٥

(٢) الغدير ٣٧٨/٧ اسنى المطالب ٧ الدرج المنيفة للسيوطي ٧ مسالك الحنفاء١٤ وأخرجه أبو نعيم وغيره.

(٣) أخرج هذا الحديث الحجة ٢٦٥ وابن سعد في الطبقات ١٠٥/١ والبهيقي في دلائل النبوة وسبط بن الجوزي في تذكرة الخواص والسيرة الحلبية وتاريخ ابن كثير ١٢٥/٣ والإصابة ١١٦/٤

٦-جاء في كتاب أسنى المطالب، في نجاة أبي طالب للسيد أحمد زيني دحلان شيخ العلماء الأعلام، والمفتي في البلد الحرام، الشافعي المكي، المتوفي سنة ١٣٠٤ هـ مايلي

ان كثيراً من العلماء العارفين أصحاب الكشف والعلماء المحققين قالوا بنجاة أبي طالب ومنهم السبكي ، والقرطبي ، والشعراني ، والسحيمي.

وقال المكزون السنجاري :

أبو طالب كفل المصطفى ... وجاهد عنه وجافى المجافي

وأنفق في نصره ماله ... وصافاه من ودّه كل صاف

وأظهر في الشعر تصديقه ... وعن دينه لم يمت ذا انحراف

وذا كافر ؟؟ وابن حرب به ... غدا مؤمناً؟؟ ذا عمىً غير خاف

وقال الشريف الشيرازي :

أبو طالب عم النبي محمد ... به قام أزر الدين واشتد كاهلُهُ

ويكفيه فخراً في الأنام بأنه ... مؤازره دون الأنام وكافلُه

لئن جهلت قوم عظيم مقامه ... فما ضرّ نورالصبح من هوجاهلُه

ولولاه ما قامت لأحمد دعوة ... ولاانجاب ليل الغيّ وانزاح باطلُهُ

وللأردبأوي

بشيخ الأبطحين فشا الصلاح ... وفي أنواره زهت البطاحُ

براه الله للتوحيد عضباً ... يُراض به من الشرك الجماحُ

وعم المصطفى لولاه أضحى ... حمى الاسلام نهباً يستباحُ

وللسيد علي الكهنوي

زهت أم القرى بأبي الوصيّ ... غداة غدا يذودعن النبيّ

وقام بنصرة الاسلام فرداً ... يُراغم كل مختال غويّ

وأبصر رشده في دين طه ... فجاهر فيه بالسرّ الخفي

وآمن بالآله الحق صدقاً ... بقلب موحّد برّ تقيّ

وقال المكزون السنجاري في الرواة الذين قالوا بكفر أبي طالب

رويتـــمُ أن نبـــي الهـــــــدى قـا اصطفـى الله بنـي هاشـــم
وبيـّن الأخيـــار واختـارنـــــي من خيـر بيـت جـاء فـي العالـم
وبعـد ذا ، قلتـــم بتكفيرهـــــم لتظهـرواسـبّ أبـي القاســـم
وذاك فـي ادخـــال آبائـــــــه في زمـرة الكافـر والظالـم (١)

-٥-

ويموت أبو طالب ، ويشتدّ أذى مشركي قريش على محمد وانصاره ، والتضييق على كل صاب إلى دينه ، فيأمرهم بالهجرة إلى الحبشة .

وتتآمر قريش على اغتيال النبي ، وان تشارك كل قبيلة في مقتله فيتفرق دمه في القبائل .

ويتلقى الرسول نبأ المؤامرة ، والبيات الذي قررّتهما قريش ، فيأمر ابن عمه علياً أن يبيت في فراشه ، وأن يقوم بتأدية مالديه من الودائع لأصحابها ، ويغادر مكة متخفياً بصحبة صاحبه وصديقه أبي بكر ، ويلجئان إلى غار ثور خيفة من ملاحقة قريش .

ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه : لا تحزن ان الله معنا فأنزل الله سكيته عليه(٢)

---

(١) ديوان المكزون تحقيق الدكتور أسعد علي ومخطوطة الظاهرية.

(٢) سورة التوبة ٤٠

لقد أوردت هذه الأحداث شعراً بعنوان "حكمة الهجرة" (١)

قريـــش العنجهيـــة والجهـالـــــه ... أتومن ؟ كيـف تؤمـن بالرسالـــه
وهـا ضمنت لسيـد آل حـ ـــرب ... تجارتـه ، وعزتـه ، ومالـــــه
أخو إحن تكاد تشـف عنـــــها ... غلالتـه ، وما خلـف الغلالـــــه
أدار الكاس كاس الحقـــد مـــلأى ... وعبّ عصيرها حتى الثمالـــه
وليلـة بيّـت السفهـاء أمـــــراً ... وأقسم كل سيـف أن ينالـــــه
وأذكاها أبـو لهـب لهيبـــــاً ... وأوسعها ابو جهـل جهالـــــه!!
اذا العـدوان كان شعـار قـــوم ... فهل ترضـى طباعهـم العدالـــه؟
مضى حذراً وصاحبه، وجافـــى ... كلا الرجلين مـوطنـــه وآلـــــه
وغادر في الفراش اخـا حفـاظٍ ... يجود بنفســه، ونفيس ما لـــــه
حسام، أرهفت، أمضت، اجـــادت ... يد الرحمـن مبدعـه صقالـــــه
رمـى في كل معركـة، فأصمـــى ... وأحكـم فـي مقاتلهـم نبالـــــه
وحسبـك بالفـداء، وصانعيـــــه ... على ما في نفوسهـم دلالـــــه!!

***

أيعلـم ما يخبـيّء غـار ثـــــور ... ويدرك سر من عَبَرا خلالـــه؟؟
وكيـف تواثب القـوم الغضابـــى ... اليـه ؟ وأحجمـوا وهـم حيالـــــه؟
وجللـت السكينـــة كل شـــــيء ... هناك، وعطـرت حتـى رمالـــــه

***

خلـت جنبـات مكـة من سنـــــاه ... ويثرب أحدقت بالبـدر هالـــــه
وهاجـر لا لخـوف من قريـــش ... ولكن ... للحفـاظ علـى الرسالـــه

***

ابا الزهراء فيض ندالك هـــــامٍ ... ترشّـف كل ذي ظمـأ زلالـــــه
ودوحك عاطـر النفحـات، حـــالٍ ... تفّـيأ كل مضطهـــد ظلالـــــه
فرشت لنـــا الضحى دربا، ونأبـــى ... سوى الادلاج في عَمهِ الضلالـــه
تقاصـر عنـك طـائل كل مـــــدحٍ ... فكيف أفيـك حقـك في عجالـــــه

---

(١) القصيدة التي فازت بالجائزة الأولى بالمسابقة العالمية التي اعدتها اذاعة لندن بمناسبة دخول الهجرة القرن الخامس عشر

*** ***

تضحيتان عظيمتان وقد يصغُر فيهما وصف العظمة ، تضحيتان يقوم فيهما عليّ بن أبي طالب ، وأبو بكر الصديق ، ولولا هاتان التضحيتان، لم يقم الاسلام ، تضحيتان في سبيل الاسلام وسبقتهما تضحيات أبي طالب .

وتخفق قريش في اغتيال الرسول ، وفي تعقب أثره ، وتعود تحرّق الارّم كما يقال في المخفق الخاسر الحانق !!

قارئي : ضع هذه الواقعة في ذاكرتك ايضاً

-٦-

كان الرسول السياسي الحكيم ، قد أرسل الصحابي الجليل الداعية مصعب بن عمير إلى المدينة قبل الهجرة ليهيء للدعوة ، فقام بالامر خير قيام، وتغلّب على كثير من المصاعب، وكسب كثيراً من الأنصار، وهيّأ آخرين لقبول الرسالة .

وهنا لابدّ من الاشارة إلى أن أهل المدينة ، من الأوس والخزرج يجدون على أهل المدينة ، وينقمون عليهم استئثارهم بالتجارة دونهم ، وانزال القوافل العابرة ، في الحجاز، وما تجلبه مواسم الحجيج من الثروة، التي لا يصيبهم منها شيء .

وهناك يهود المدينة، الذين يذكون نار النقمة في صدور الأوس والخزرج على المكّيين، ويستثمرون هذه النقمة سياسياً واجتماعياً وتجارياً لمصلحتهم الخاصّة .

-٧-

وأطلّ الرسول الكريم على المدينة .. بل أطلّت الدعوة المهاجرة فاستقبلت بحداء الرجال، وأهازيج النساء، وترجيع مزاهرهن ودفوفهن.

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع

وثنيات الوداع أرجح أنه المكان الذي أطّل منه الرسول على المدينة، ولم أر من أشار إلى هذا من المؤرخين، والثنية لغة هي الهضبة، أو التلة، أو المنفرج بينهما .

وأسقط في يدي قريش لأن غريمهم أصبح في عزّ ومنعة وأنصار، أصبح في مأمن من مكائدهم، وبين قوم يتحدّونهم به، وينقمون عليهم .

وتوالى المهاجرون من أصحاب محمد من مكة إلى المدينة، واختط الرسول السياسي الحكيم خطة << المواخاة >> فآخي بين كل مهاجر ، وبين رجل من الأنصار ، ليشعر كل مهاجر أنه في وطنه ،

وبين اخوانه ، يجمعهم وطن واحد ، ودين واحد ، ولهم قائد واحد ، وعدوّ واحد .

-٨-

بعد أن استقر الرسول والمهاجرون في المدينة، تحوّل الصراع بينه وبين قريش من المقاطعة والملاحاة إلى معارك وغزوات، فكانت موقعتا << بدر >> الكبرى والصغرى، وموقعة << أحد >> والخندق، وغيرها، وكان قطب هذه المعارك أبو سفيان، لمكانته في قريش، وسعة تجارتة، وعدائه للهاشميين ممثلين بالرسول << ص >>.

وفي السنة العاشرة للهجرة تم للنبي فتح مكة، ودانت قريش مكرهة، وعلى رأسها أبو سفيان ودعاه النبي << طليقاً >> وللطلقاء معنىً اسلامياً .

ولقد اشار المكزون إلى ذلك ولكن بمعان صوفية عرفانية

كتابي مشهور لكل مقرب لذا غاب عن مكتوبه كل فاجر
وأصبحت الأنصار أنصار دعوتي ومن هاجر المختارَ أمسى مهاجري

قارئي ضع هذه الواقعة – واقعة فتح مكة – في ذاكرتك .

-٩-

في السنة الحادية عشرة للهجرة، كانت حجة الوداع، حيث قال الرسول «ص» لجماهير المسلمين«لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا»

في حجة الوداع يحفظ لنا التاريخ خبر « الغدير » غدير خُم. وقول الرسول لعلي بن أبي طالب : اللهم من كنت مولاه ، فعلي مولاه اللهم والِ من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره، واخذل من خذله !!

وقد روى خبر الغدير من الصحابة ١١٠ صحابياً .

ومن التابعين ٨٤ تابعياً .

ومن رواة الحديث وحفّاظه ٣٦٠ راوياً.

والمؤلفون في هذا الحديث ٢٦ مؤلفاً(١).

حديث الغدير هذا اعتبرته الشيعة نصاً صريحاً على استخلاف علي بن أبي طالب.

ويوردون عشرات الأحاديث التي تدعمه مستندين على قربى علي من الرسول، ولما يتمتع به من صفات تؤهله لخلافة المسلمين .

---

(١) الغدير للأميني

مرض الوفاة

ترك لنا التاريخ حادثة هامة، وذات أثر في حياة المسلمين العامـة، فقد أجمع رواة ومؤرخو المعسكرين على ان الرسول طلب إلى عـواده ، واصحابه أثناء مرضه قائلاً:

ائتوني بدواة وقرطاس لاكتب كم ما لا تضلون من بعدي .

ولقد اجمع الفريقان على صحة الطلب، وحقيقة وقوعه، ولكنهما اختلفا في صيغة الجواب .

فبعضهم قال: ان الرسول اشتد به الوجع !!

وبعضهم قال: الرسول يهجر، أي يتكلم بما لا يعي وحسـبنا كتـاب اللـه بين أيدينا، ونسب بعض المؤرخين هذا القول لعمر بن الخطاب .

ومهما كانت الافتراضـات، ومهما تعدّدت الاجتهـ دات، واختلفت صيغ القول في تفسير تلك الحادثة، فإن الرسول لم يدّتب، ولكن من المجمع عليه انه غضب وقال: قوموا عني!!

وهنا تعوزنا الأسئلة :

١ً- الم تنزل الآية في حجة الوداع : اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً ؟؟

٢ً- ماذا سيكتب الرسول لو جيء له بالدواة والقرطاس ؟

٣ً-ماذا سيضيف إلى الدين الذي اكتمـل؟ والنعمـة التـي تمـت؟ والديـن الذي ارتضاه لهم؟؟

سيقال: أراد أن يوصي لمن يخلفه في الأمة !!

ويتفق علماء المعسكرين على الأحاديث التي تصف علياً شجاعاً مجاهداً في سبيل الاسلام ، عالماً بكتاب الله ، زاهداً في متع الحياة ، قاضياً متبحراً بناسخ القرآن ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، وكلهم يروون حديث الغدير، ولكن بعضهم لا يقرون انه نص على الاستخلاف .

ويقابل حديث الغدير لدى علماء السنة حديث أو أحاديث صلاة أبي بكر في المسلمين أثناء مرض الرسول بأمر من الرسول ، ويعتبرون تكليفه بالصلاة استخلافاً قولياً وعملياً كما ورد في صحاحهم وسنتهم .

اما الشيعة فيقفون من حديث الصلاة موقف السنة من حديث الغدير.

في سنن أبي داود، وسيرة ابن هشام، ومسند ابن حنبل، وطبقات ابن سعد، والاستبصار، ورد ان الرسول في مرضه قال: مروا من يصلّي بالناس ، ولم يُعّين أحداً.

وقال البعض: ان الصلاة من أمور الدين، والخلافة من أمور الدنيا .

وعرّف آخرون الخلافة: بالحكومة العامة ديناً ودنيا.

ومن هذين الحديثين حديث الغدير، وحديث الصلاة انقسم المسلمون إلى معسكرين، واختلط مفهوم الدين بالسياسة ، وسيأتي بيان ذلك في قابل هذا الكتاب .

ولكن ... ألم يقل أحد الفريقين : ان الوصية نصاً واعلاناً تمت يوم الغدير ؟؟

والفريق الثاني يرى ان الصلاة بالمسلمين في مرضه هي بمثابة النص؟؟

٤- مما لا جدال فيه : ان طلب الرسول جاء بصيغة الحاضر والمستقبل : ائتوني ، لأكتب ، والآية جاءت بصيغة الماضي المنقطع : أكملت ، أتممت ، رضيتُ .

و ..... ؟؟؟؟

أبو سفيان بعد فتح مكة

المدافعون عن ابي سفيان والمترضون عنه (١) والمؤمنون بحسن اسلامه يوردون حديث: الاسلام يجبّ ما قبله، وقد عرفنا سيرة ابي سفيان قبل الاسلام، وانه كان ذروة الخلاف والعداء الاموي لبني هاشم، ولذلك مثّل ذروة العداء لمحمد منذ فجر الدعوة، ودخل الاسلام مكرهاً يوم فتح مكة وانتصار الاسلام على الشرك والوثنية، ولولا صداقة العباس عم الرسول لأبي سفيان، وشفاعته به عند ابن اخيه الرسول، لكان مصيره عير ما صار اليه، ومع هذا فقد اطلق الرسول عليه، وعلى من كان معه، اسم الطلقاء، وللطلقاء معناها.

ولكن ماذا عن أبي سفيان بعد الاسلام ؟؟

١- يحدثنا التاريخ أن الرسول أطلق عليه، وعلى اصحابه اسم << الطلقاء كما تقدم >>

٢- وكان رأس المولفة قلوبهم، وماذا يعني اسم المؤلفة قلوبهم ؟ ولماذا ؟

٣- لم يبايع أبا بكر مباشرة !!

٤- حاول اثارة الفتنة، وتحريض علي والعباس ضد خلافة أبي بكر، وبالغ في التحريض حتى وصفهما - أي علي والعباس - بالأذلّيْن المستضعفين !!

---

(١) البخاري ص١٠٨ باب وجوب الزكاة

٥- قال يوم بيعة أبي بكر: أرى عجاجةً لايطفئها إلاّدمُ !!

٦- قال: ما لأبي فصيل - ويعني أبابكر- وهذا الأمر ؟ هذا الأمر في بيت عبد مناف!!

٧- قال لعلي: أبسط يدك أبا يعك !!

٨- قال لعلي ايضاً: إن شئت لأملأنها عليه خيلا ورجالاً، ويقصد أبا بكر !!

٩- بايع أبا بكر بعد أن ترك له ما كان في يده من مال الصدقات، عندما قال عمر لأبي بكر دَعْ له ما بيده لقد كان رسول الله يتألفه !!

١٠- امر عبيده ان يقودوه - وقد كف بصره - إلى قبر الشهيد وسيّد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، ثم وقف عليه مخاطباً قائلاً: يا أبا عُمارة إن الأمر الذي تنازعنا عليه قد صار الينا !!

١١- قال لعثمان عقب توليه الخلافة: أدرها - ويقصد الخلافة - كما تدار الكرة ، واجعل عمادها من بني أمية !!

هذا هو ابو سفيان فيما بعد الاسلام

وكنا قارنا بينه وبين أبي طالب فيما قبل الاسلام ، وموقف كل منهما من الدعوة الجديدة، والدين الجديد، وأيهما الناصر لمحمد ودعوته، وأيهما الخاذل لهما !!

وقال أحد المؤرخين: لولا أبو طالب لم تتمكن الأرض أن تنعم بدفء السماء، وان تغفو وتصبح على هتاف الله أكبر (١)

---

(١) العقاد عبقرية محمد

وكنا تساءلنا كيف تجاوز المؤرخون كل هذه الحقائق الواقعية وافتروا على أبي طالب، وأماتوه كافراً، وخلدوه في ضحضاح من النار ؟؟

وكيف باركوا أعمال أبي سفيان وأفعاله، وأطروا حسن إ سلامه!! وترضوّا عنه؟؟

والآن يجب أن نجيب عن تساؤلنا:

علينا أن ننظر إلى ولديهما: علي ومعاوية المتخاصمين .
أبو سفيان لا يمكن ردّ اعتباره في الاسلام ليباهي به ابنه معاوية خصمه علياً، لما لأبي سفيان من السابقه في الجاهلية والاسلام .

اذن على المؤرخين، ورواة الأحاديث أن يتذكروا هذا الأمر، ليرضوا معاويه الحاكم وينعموا برفده وعطاه ورضاه، ويقطع كل حجة على خصمه، وذلك بالنيل من أبي طالب والترضي عن ابي سفيان الحسن الاسلام !!

الم يقل أحد رواة الحديث المكثرين : ان الصلاة وراء علي بن أبي طالب أقرب إلى الله وأثوب، ولكن الطعام على مائدة معاوية أدسم وأطيب، وهكذا انتصر دسم الطعام ووفرة الصّلات، على مثوبة الصلاة.

السقيفة

الرسول الأعظم سيد الجزيرة العربية، ونبيّها البشير النذير، والداعي إلى الله بإذنه والسراج المنير، ومشرع نُظم الحياة الجديدة فيها، من السياسة والدين وشؤون الحياة العامة، وحقوق الفرد والأسرة والجماعة، وموته يجب أن يهزها هزالزلزال من أقصاها إلى أقصاها، ويروع النبأ العظيم كل قبيلة وكل فرد من قبيلة، وإن تهب هبة واحدة لتقف جانب الجسمان المسجي لتذرف الدمعه، وتلقي النظرة الأخيرة.

هذا ما يجب أن يكون ولكن في التاريخ، أو أكثر المؤرخين يذكر أن وفاته كانت ضحى يوم الأثنين ودفن مساء الأربعاء (على اختلاف في تقدير المدة)

يورد التاريخ صورة لاتليق بعظمته ولاتفي بحق شأنه ، فيرينا أن المأتم يكاد يقتصر على أهله الأقْربين ، أي بيت هاشم والمطلب ، ونجد حَمَوِيْة الصديق والفاروق أحدهما يهدّد من يقول: إن محمداً قد مات والثاني يقول : من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لايموت .

ماذا يعني تهديد الفاروق ؟

وماذا يعني قول الصديق: من كان يعبد محمداً؟؟

التاريخ على تعدّد رواته لم يوضح ذلك !!!

لم يذكر التاريخ أن أحداً من أصحابه المبشرين بالجنة كان قريباً من الجسد المسّجى إلا من ذكرنا !!!

لم تهرع الأنصار بقسميها الأوس والخزرج لتقف أمام المشهد الحزين على نبيهم الذي هداهم الصراط المستقيم، وقاد إليهم قبائل العرب، ومكن لهم من الجزيرة العربية، وأغدق عليهم الخير والثراء، والعزة والمنعة، وبشرهم بخزائن كسرى وقيصر ومجدّهم في كتاب الله، لأنهم عزروه وآووه ونصروه .

لم يذكر التاريخ شيئاً من كل هذا، بل ذكر ما يدل على عكس ذلك، فما كاد يبلغهم نبأ الوفاة، حتى تداعوا وتسارعوا، إلى سقيفة بني ساعدة لينتقوا خليفة منهم يخلف رسول الله فيهم !!

لم يشعروا بعملهم هذا أحداً من المهاجرين ، ولا من أهل الرسول الأقربين .

بماذا تفسر موقف الأنصار هذا ؟

هل اعتبروا أنفسهم ورثة الرسول لأن الأسلام انتشر من بيوتهم وبسيوفهم؟
هل اعتبروا المهاجرين مطرودين لاجئين إليهم، منبوذين من قومهم، ليس لهم الحق في تقرير السياسة العليا ولأنهم قلة بالنسبة إليهم ؟؟

ولكن الأسلام ساوى بينهم في المصير ، والرسول أزال كل فارق بينهم «بالمواخاة» هل يرضى الرسول أو يقر الأسلام شرعية الأنقسام ؟؟

إن الأستئثار بالأمر دون المهاجرين يعتبر انتهازية واستغلالاً والأسلام لايقرهما لأنهما من أخلاق الجاهلية !!

كل هذه الأسئلة لانجد لها جواباً حتى ولاتعليلاً عند المؤرخين

يقول أبن قتيبة – بعد عنعنة الخبر – لمّا قبض الرسول (ص) اجتمعت الأنصار – الأوس والخزرج – في سقيفة بني ساعدة لمبايعة سعد بن عبادة زعيم الخزرج بالخلافة.

ويقول أبن الأثير بينما المهاجرون في حجرة الرسول (ص) وقد قبضه الله إليه أذ جاء معن بن عدي وعويم بن ساعدة فقالا لأبي بكر: باب فتنة عسى الله أن يغلقه بك !! هذا سعد بن عبادة والأنصار يريدون ان يبايعوه .

وقيل: أرسل عمر بن الخطاب إلى أبي بكر يخبره باجتماع السقيفة، ويطلب إليه أن يسرع إليه. والتاريخ هنا لا يشير إلى اسم من أخبر عمر بأمر المجتمعين بالسقيفة، ولا يذكر اسم من أوفده إلى أبي بكر، كما يشير إلى أن عمر لم يكن قريباً ساعتئذ من محتضر الرسول (ص) ويأتي أبو بكر، ويذهبان معاً باتجاه السقيفة، وفي طريقهما يلتقيان بأبي عبيدة عامر بن الجراح فيطلعانه على النبأ، ويمضي الثلاثة إلى حيث الأجتماع، وهذا يظهر أيضاً أن أباعبيدة لم يكن قريبا من مسجّى الرسول (ص)

فاجأ المهاجرون الثلاثة مجتمع الأنصار في السقيفة، وهم يديرون الأمر بينهم لأنتخاب سعد بن عبادة زعيم الخزرج خليفة للرسول، وكان مريضاً بينهم .

وقبل أن نستعرض الجدل والحوار والمفاخرة والمنافرة التي حصلت بين المهاجرين الثلاثة وبين قادة الأنصار، ومنهم سعد بن عبادة وولده قيس الخزرجيان وبشير بن سعد أحد زعماء الخزرج والمنذر بن الخباب وأ سيد بن خضر الأوسيين نلفت نظر القارىء إلى ثغرة في مجتمع الأنصار.

الأنصار يتشكلون من قبيلتين: هما الأوس والخزرج، وهما متحاسدتان فيما بينهما شأن القبائل وطبيعة علاقاتها الأجتماعية، ولأن يهود المدينة المجاورين للقبيلتين يعملون لبث الشقاق ونشر الخلاف

بينهما ليتسنى لهم أن يظلوا متفرقين فيتمكنوا من السيطرة على تجارة المدينة والأحتفاظ بشخصيتهم المتميزة .

الجدل والمنافرة اللذان بلغا درجة التهديد، وأوشكا على الأحتكام إلى السيف دارا في فلك القربى من الرسول، وشأن قومه قريش في العرب وسابقة المهاجرين في الأسلام، كما أدلّ الأنصار فخاراً بنصرة النبي وايوائه ومنعه من قومه ووضع سيوفهم في نصرة رسالته .

وعرض حل وسط من قبل الأنصار : منا أمير ومنكم أمير، وسقط هذا باقتراح المهاجرين : نحن الأمراء وأنتم الوزراء، والعرب لاترضى أن تكون الخلافة في غير قوم نبيّها .

وحجة كل من الفريقين هي بما قدماه لمحمد (ص)

ولما شعر الأنصار بتصدع جبهتهم، وتفرق كلمتهم، لما بينهم من التحاسد والمنافسة وهزيمتهم امام حجة المهاجرين الثلاثة، وخاصة احتجاجهم بالقربى من الرسول ، وانهم اهله وعشيرته، اعلن المنذر بن الخباب: اذن نبايع علياً او لا نبايع الا علياً، فلم يأخذ احد بقولة ،واعتبر مغلوباً مهزوماً في المعركة .

في هذا الجو المشحون بالقلق وتوتر الاعصاب، والنزوع الجاهلي، والنزوة القبلية، مضافة الى عظمة الحدث، وضخامة الامر، تتجلى عبقرية عمر بن الخطاب السياسية ونفاذ بصره في الأمور،

وفهمه لطبيعة الموقف، فيصفق على يد ابـي بكـر مبايعـاً ، ويعقبـة ابـو عبيدة، فبشير بن سعد الأوسي منتهزاً الفرصة مهتبلاً الغّرة ليسبق قيس بن سعد بن عبادة الخزرجي، لما بينهما من المحاسدة كما سبق واشرنا، هذةالمحاسـدة التـي استغلها عمـر بـن الخطـاب ووظفهـا فـي مصلحـة المهاجرين وبمبايعة بشير بن سعد بادر الأوس للمبايعة، وتفرق مجمـع الأنصار، وبدأ الـتزاحم علـى المبايعـة حتـى كـادوا ان يطـأوا سـعد بـن عبادة المريض، فقال بعضهم : قتلتم سعداً : فيبادر عمـر بـن الخطـاب قائلاً : اقتلوه قتله الله إنه صاحب فتنة .

ولم يبايع سعد بن عبادة وعاش " معارضاً " فقيـض اللـه لـه الجـن فقتلوه وأذاعوا نبأ مقتله شعراً !! وكم فـي الجـن مـن شـاعر ورجّـاز ، وهمّازٍ لمهازٍ ؟!!

أننا نحمل الجن وزركل مكروه ينزل بنا ، وننسى جن الأنس

تحليل موقف الأنصار

قلنا : أن مكة والمدينة كانتا حاضرتي الحجاز في ذلك الزمن، وأشرنا إلى مابينهما من المنافسة، وأن مكة أستأثرت بطريق القوافل التجارية، والسيطرة على التجارة ومواسمها أكثر من المدينة، كما أنها تحوى البيت الحرام وأصنام العرب ولهذه الأسباب الأقتصادية والدينية استقبلت المدينة النبي أبن مكة لأنه على خلاف مع قومه، وآزرته، ونصرته، وكان أبناؤها في طليعة الجيش الذي فتح مكة، وممّا لاشك فيه أنهم ظلّوا يدلّون على المهاجرين بجلائل أعمالهم في سبيل الإسلام

ولما توفي الرسول رأوا أن لهم الحق بتراثه ، كما كان لهم شرف السبق في دعمه، وتثبيت سلطانه، ونشر دينه، فأجمع أمرهم مبدئياً على القيام بالخلافة مباشرة بعده ، ولم يشاركوا المهاجرين بالرأي ولا بالمشورة في هذا الأمر .

لم يراعوا تلك " المواخاة " التي شدهم بها الرسول إلى المهاجرين.

لم يضعوا آل الرسول بحسابهم .

أما قول الخباب بن المنذر: لانبايع الاعلياً فهي ذريعة للرد على الخزرج والمهاجرين الثلاثة بعد أن خسر الموقف .

الاحتمالات

ماذا لو تم للأنصار أمر البيعة ؟؟

لو تم لسعد بن عبادة زعيم الخزرج أمر الخلافة لحدث أمران لا مفر منهما، ولا محيص عنهما .

١ – أنتفاض المهاجرين فقريش، فالقبائل العربية على الأنصار خزرجيهم وأوسيهم – وكانت الحرب .

٢ – مواثبة الأوس على الخزرج لما بين القبيلتين من المنافسة على السيادة والقيادة والجاه، وقد تجلى ذلك واضحاً في أجتماع السقيفة وكان سبباً للتعجيل في مبايعة أبي بكر وأنتصار كلمة المهاجرين الثلاثة.

٣ – حال أجتماع الأنصار العاجل بالسقيفة عقب وفاة الرسول مباشرة دون حصول الشورى بين المسلمين وتمكنهم من الاجماع .

فما هو الأجماع ؟؟

١ – كل أصحاب الأصول عرّفوا الأجماع : أنه عبارة عن أتفاق جميع أهل الحلّ والعقد أي المجتهدين وعلماء المسلمين على أمر من الأمور في وقت واحد

٢ – هل الأجماع أمر ممكن ؟ أم محال ؟ وعلى تقدير أمكانه هل تحقق أم لا ؟؟

٣ – وعلى التقادير كلها : هل هو حجة ودليل على شيء أم لا ؟؟

٤ – وعلى تقدير كونه حجة ودليلاً، هل هو كذلك ما لم يصل ثبوته إلى حّد التواتر ؟

٥ – هل يشترط في حقيّة الأجماع أن لايتخلف أو لايخالف أحد من المجتمعين إلى أن يموت الكل أم لا ؟؟

٦ – هل الأجماع وحده حجة ؟ أم لابّد له من سند ؟؟

٧ – هذا السند هل هو قياس فقهي ؟ أم حجة نقليه ؟ وعقلية ؟ وهذا ما عليه علماء الشيعة والظاهرية من علماء السنة كداوود الأصبهاني وتلميذه ابن حزم، والمعتزلة، لأن أثبات حجة القياس أمر في غاية الأشكال !!

٨ – يقول الإمام أحمد بن حنبل : من أدعى الأجماع فهو كاذب(١)

ويرى أيضاً : أن الرأي والقياس باطلان ويخالف بذلك الأئمة الثلاثة

ويقول : أصحاب الرأي والقياس مبتدعه ضلاّل(٢)

وقال عمر بن الخطاب على المنبر: ألا أن أصحاب الرأي أعداء السنن، أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها، فأ فتوا برأيهم، فضلوا وأحتلوا، إلا إننا نقتدي، ولا نبتدي، ونتّبع ولا نبتدع

والسؤال : هل تم الأجماع في أستخلاف الراشدين الأربعة ؟

---

(١) طبقات الحنا بلة ج١ ص٩١

(٢) ابن الجوزي تاريخ عمر بن الخطاب ص١٤٥

١ – في خلافة الصديق نجد أن الذين مهدوا للخلافة وقاموا بالبيعة هم المهاجرَون الثلاثة، ثم تبعهم الأوس والخزرج، ألا من تخلف مع سعد بن عبادة، تم ذلك كمرحلة أولى أما المرحلة الثانية فقد تمت في المسجد، وتخلف عنها بنو هاشم وأنصارهم !!

٢ – واستخلاف الفاروق كان بكتاب من الصديق تلي على الصحابة والناس !

٣ – واستخلاف ذي النورين قام به واحد من الستة، هو عبد الرحمن بن عوف!!

٤ – واستخلاف علي خرج عليه الأمويون وأنصارهم (١) وبعض الأنصار،كما خرج عليه طلحة والزبيروالأجماع يجب أن يكون سابقاً.

ولقد أشار الفاروق عمر بن الخطاب إلى بيعة الصديق قائلاً : أن بيعة أبي بكر كانت "فلتة" وقىالله شرها وتضيف بعض الروايات ومن عاد إلى مثلها فاقتلوه !!

وهنا يأتي دور الشاعر المكزون فيناقش ويحاج من يقول بالاجماع والنص .

قلتم لنا: الاجماع والنص في خلافة الشيخ أبي بكر
قلنا فلم صيرها<< فلتة>> وليته في ظاهر الأمر
وقال من عاد إلى مثلها من بعدها يقتل بالبتر
ولا يحل القتل إلا زنى المحصن والعود إلى الكفر

(١) وامتنع عن بيعته سعد بن وقاص، وعبد الله بن عمر، واسامة بن زيد، ومحمد بن مسلمة

أنه كشاعر شيعي "معارض" يحتج على من يقول : أن خلافة أبي بكر تمت بالأجماع ، وقد حسم هذا الخلاف عمر بن الخطاب في قوله : أن بيعة أبي بكر تمت " فلتة "

أما احتجاج المكزون على " النص " فإن لمعسكري الإسلام أقوالاً وأجتهاداتٍ حول هذا، لم تعد على المسلمين بما يفيد، بل كانت أداة هدم في بنيان وحدتهم، وتفريق كلمتهم،
وللشاعر المكزون رأي في الأجماع، والقائلين به فهو يقول :

قالوا الدليل على أن الرشاد لهم ... "إجماعهم" أن من ناوأهم غاوي
وان حزبهم الحزب القليل،وفي ... كهف التقية كل منهم آوي
ولو تمكن من اظهار حجته ... بما رووه أبانوا الطعن في الراوي
فليعتبر منصف برهانهم، ليرى ... أي الفريقين في حكم الهوى هاوي

فهو يقول : أن القائلين بالأجماع مجمعون، ولكن على أن كل خارج عن أجماعهم هو من الغواة، وهكذا يكون الأجماع الذي يدعون إليه هو عين الفرقة وإذا كان دعاة الاجماع يعتبرون أنفسهم حزباً قليلاً، فكيف يكون الأجماع في القلة ؟؟ وما محل الكثرة ؟؟
وتكرر له هذا المعنى بصور متعددة

الخلافة

قيل: الخلافة في الأسلام منطلق الخلاف والأختلاف، فمن الخلافة الأولى انطلقت " المعارضة " الأولى، وحول الخلافة صيغت الأخبار، وتعددت الروايات، ووضعت الأحاديث، ونظمت الأشعار، وفي سبيلها سُلّت السيوف، وأريقت الدماء .

قلما يخلو كتاب تاريخي، أو أخباري، أو تحديثي، أو سيرة اسلامية من الأشارة إليها، أو التبسط والأسترسال فيها .

ولعل خبرَيْ الغدير، وصلاة أبي بكر بالمسلمين أثناء مرض الرسول يعتبران محور الروايات والأخبار، والأحاديث، عند جمهور المسلمين.

الخبران أوردهما المعسكران حتى بلغا درجة التواتر، وعلى أختلاف أحياناً بالتعبير، واتفاق في القصد .

ليس الخلاف على وقوع الخبرين تاريخياً . ولكن الخلاف على التّفسير.

١ - **حديث الغدير .**

أورد هذا الخبر معسكراً الأسلام - الشيعة والسنة - وعلى صيغ تختلف أحياناً بالألفاظ كما أشرنا ولكن وقف البعض منه متحفظاً وحيناً منكراً !!

٢ - **صلاة أبي بكر في المسلمين .**

هذه الواقعة أوردتها كتب السير والأحاديث ، وفي أختلاف في الصيغ أحياناً وأجماع على المعنى، ولكن وقف البعض الآخر منها متحفظاً وحيناً منكراً !!

هذا " التحفظ " وهذا التبادل في الانكار، أنتهى بهما إلى هذه الحدة والشدّة والتنابذ والتنافر والتشادّ .

وأننا - وبدافع من الأخلاص لأمتنا ، ودیننا وتاريخنا - نلتمس من الفرقين أن نطرح التساؤلات التالية :

١ - لماذا لم يُثر الأنصار حديث الغدير، وخبر الصلاة، ويقفون عندهما أو عند أحدهما ؟ باعتبارهما " نصّاً " من الرسول ؟؟ عندما أجتمعوا في السقيفة لمبايعة سعد بن عبادة ؟

٢ - هل يعتبر ذلك جهل أم تجاهل من الأنصار بموضوع الواقعتين؟ أم تجاوزوا أرادة الرسول ؟ أم أعتبروا أن الحادثتين تلزمان المهاجرين ولا تلزمانهم ؟؟

٣ – ألم يكن الأنصار أكثر ميلاً وحباً للهاشميين آل الرسول منهم إلى بقية المهاجرين وقريش ؟؟

٤ – لماذا لم يحتج المهاجرون الثلاثة على الأنصار بصلاة أبي بكر في المسلمين كسند يدعم حجتهم ؟؟

٥ – لماذا أقتصر احتجاج الفرقين على جهادهم في سبيل محمد وقرباهم منه ؟ ولم يرد في هذا الموقف الحرج والحاسم أي ذكر لواقعة الغدير، وصلاة أبي بكر!! مع أن كل فريق يرى أنه يملك " نصّاً " في الخلافة من الرسول الأعظم !!

٦ – وأخيراً: كيف نوفق بين " نصّين " أثنين عن رسول الله في موضوع واحد؟؟

ونقول: لقد تمت الخلافة الأولى بحدود ظروفها الزمانية، وطبيعتها المكانية، وفي حدود سياقها التاريخي !! أنها مقدمات سابقة، ترتبت عليها نتائج لاحقة !!

موقف أبي بكر

من دراسة التاريخ . وتعدّد مصادره، وتوالي رواياته، يظهر لنا أن أبا بكر لم يكن راغباً بالخلافة. ولا طامعاً فيها، والدلائل التاريخية على ذلك متوفرة ومنها :

١ – في اجتماع السقيفة، وبعد تلك المشادّة الكلامية والمنافرة الحادّة، رشّح أبو بكر لمنصب الخلافة المتنازع عليه أحد رفيقيه : عمر بن الخطاب، أو أبا عبيدة عامر بن الجراح، ودعا الأنصار إلى أنتخاب أحدهما، ولم يرشح نفسه، ولكن عمر بن الخطاب وفقاً لنظرة بعيدة وعميقة، وفهم نافذ لواقع الأحداث، ونفسية قريش بصورة خاصة ، وتحقيقاً لمخطط وضعه خوفاً من الفتنة ، لم يمهل أبا بكر بل صفق على يده مبايعاً !!

٢ – خرج من بيت فاطمة الزهراء بعد محاجتها له في مسألة الميراث، فاجتمع عليه الناس فقال: يبيت كل واحد منكم معانقاً حليلته ، مسروراً بأهله، وتركتموني وما أنا فيه لاحاجة لي في بيعتكم ، ولست بخيركم، أقيلوني !! أقيلوني !!

٣ – قال : والله لولا ماأخافه من رخاوة هذه العروة ما بت ليلة ولي في عنق مسلم بيعة بعد ماسمعت ورأيت من فاطمة(١)

---

(١) الإمامة والسياسة ص١٣-١٤ الصواعق المحرقة ص٣٠، ذيل مجمع الزوائد ج٥ ص١٨٣

٤ – خطب بعد تولّيه فقال: وأيم الله ما حرصت عليها ليلاً، ولا نهاراً، ولا سألتها الله قط في سر ولاعلانية، ولقد قلدت أمراً عظيماً مالي به طاقة، ولايد ثم بكى، وقال: أعلموا أيها الناس أني لم أجعل لهذا المكان لأني خيركم، ولوددتُ، لو أن بعضكم كفانيه، ولئن أخذ تموني بما كان الله يقيم به رسوله من الوحي، ما كان ذلك عندي، وما أنا إلا كأحدكم، فإذا رأيتموني قد أستقمت فاتبعوني، وإن زغت فقّوموني ، وأعلموا أن لي شيطاناً يعتريني أحياناً فإذا رأيتموني غضبت فاجتنبوني (١) أطيعوني ما أطلعت الله، فإن عصيت فلا طاعة لي عليكم .

---

(١) الإمامة والخلافة لإبن قتيبة

موقف عمر

يحتفظ التاريخ الأسلامي لعمر بن الخطاب في هذه المرحلة – وفي كل مراحل حياته – في الجاهلية، والأسلام، وفترة خلافته، بصورة تجمع العزم إلى الحزم الى الشدة أحياناً لقد كان رجل هذه المرحلة الحرجة، فدبر الأمور، ووجّه الأحداث، وسيطر عليها، وطبقها وفق خطة مدروسة، وبصيرة نفاذة ، وبسرعة تركت التاريخ مشدوهاً!!

عمر يدرك ما تبطنه قريش الموتورة بأبنائها، وخاصة بنوأميه وأنصارهم، ويدرك مابين الهاشميين والأمويين من عداء متوارث، لم تنقطع سلسلته منذ عهد هاشم وأميه فالحقد يملأ الصدور، و الثأر لم يمض عليه طويل الوقت !! كما يعلم ما تبطنه القبائل من الحسد لقريش والغيرة من سيادتها وسادتها، وأنها – أي قريش – ومحمد منها قضت على آلهتها وعاداتها، وحدّت من تجارتها، وألزمتها الاسلام كرهاً، فهي تنتظر الفرصة المواتية لتنقض عليها، وعلى هذا الاسلام الذي جاءت به !!

لم يتأصل الأسلام كعقيدة وسلوك في قلوب الكثيرين من العرب، لم يتوا شج في الصدور، بل ظل في قلوبهم لماضيهم ظل ومسرح، وحنين، ومقيل، ظل يختلج ويعتلج ولايستكين !!

وحده عمر الفاروق كان يدرك هذه الخفايا. وما تكن النفوس من النوايا، ويعمل فكره، ويجهد عقله لمنع هذه الأحقاد من الأنطلاق من عقالها خيفة على الأسلام في مهده ، ولايحتاج الباحث إلى دليل، فما كاد الأمر ينتهي إلى أبي بكر حتى أضطرب الحال وأنتفض العرب مرتدين إلى جهالتهم .

ولقد عبر الحطيئة الشاعر الخبيث عما في نفوس القبائل العربية من التذمر والحقد على الأسلام حيث قال :

أطعنا رسول الله إذ كان بيننا فيا لعباد الله ما لأبي بكر؟!!
أيورثها بكراً أذا مات بعده وتلك لعمر الله قاصمة الظهر!!؟

عمر يعلم لو أن الأمر تم للأنصار لحدثت الفتنة واقتتلوا مع بعضهم، ولو أتفقوا لقاتلهم العرب !!

عمر الذي يدرك كل هذا، لم يمهل القوم – كل القوم – لأنه يعلم عواقب المهلة، وشر التواني في حسم الأمور .

الهاشميون مشغولون بتجهيز دفن الرسول. بينما الأنصار يعدّون للأمر عدته، متجاهلين وجود المهاجرين بما فيهم آل الرسول !! أذن المسألة سباق مع الزمن، وكان عمر بطل هذا السباق !!

أنظر إلى. عمر وقد زحم الناس سعد بن عبادة المريض، المرشح للخلافة فقال أحدهم : قتلتم سعداً فيقول عمر: أقتلوه، قتله الله أنه صاحب فتنة !!

لم يرهب عمر الأنصار، وجموع الخزرج، وهو المهاجر بينهم، ولاعون له ألارفيقيه. وحين رجع من السقيفة إلى المسجد هتف صارخاً بالناس: ما لكم فرق شتى قوموا بايعوا أبا بكر فقد باع الأنصار، فانسال الناس للمبايعة !!

ولما تحرك الزبير في بيت علي صاح عمر أقتلوا هذا الكلب ثم أخذ سيفه وضرب به الحائط .

ولما تمت البيعة، وهدأت الأمور، لغط الناس فيما بينهم، بأن بيعة أبي بكر تمت بلا أجماع، وأدرك عمر ما وراء هذه الدعاية، وأنها تعنيه قبل غيره، فانبرى غير متردّد، ولا متحفظ، ولاهيّاب ولاوجل قائلاً: بيعة أبي بكر كانت " فلتة " وقى الله المسلمين شرها، ومن عاد إلى مثلها فاقتلوه !!

وسبق أن ذكرنا : أن الشاعر المكزون موضوع كتابنا هذا، أورد في شعره هذه المقولة، لما لها من أثر في تاريخ الخلافة، ولما أثير حولها من المحاجة بين معسكري الأسلام – السلطة والمعارضة – يومئذ أو السنة والشيعة بعدئذٍ .

بيعة عليّ لأبي بكر وأختلاف الروايات

أختلف الرواة وكتبة السّير،ومدونو التاريخ في بيعة علي لأبي بكر،وكيف تمت،ومتى؟

ونورد هنا أربع روايات حول هذا الموضوع،ولكل رواية سندها وأشخاصها وزمانها ومكانها

١- حدث عبيد الله بن سعيد قال:أخبرني عمي، قال: أخبرني سيف عن عبد العزيز بن سياه، عن حبيب بن أبي ثابت، قال: كان علي في بيته، أذ أُتي فقيل له: قد جلس أبو بكر للبيعة فخرج في قميص ما عليه أزار،ولا رداء عجلاً، كراهة أن يبطيء عنها، حتى بايعه، ثم جلس إليه وبعث إلى ثوبه فأتاه، فتخلّله، ولزم مجلسه(١)

٢- حدث أبو صالح الضراوي قال: حدثنا عبد الرزاق بن همام، عن معمر عن الزهري، عن عروة، عن عائشة، أن فاطمة والعباس جاءآ يطلبان من أبي بكر أرث النبي من فدك(٢) وسهمه من خيبر، فقال أبو بكر: سمعت رسول الله يقول: نحن معشر الأنبياء لا نورث، ما تركنا فهو صدقة، فغاضبت فاطمة أبا بكر، ثم زارها في بيتها محاولاً أسترضائها فبقيت على مغاضبته، وتوفيت بعد ستة أشهر من وفاة والدها .

---

(١) الطبري المجلد الثاني ص٤٤٧ موسسة الأعلى بيروت

(٢) الطبري المجلد الثاني ص٤٤٨ موسسة الأعلى بيروت

بعد وفاة فاطمة أرسل علي إلى أبي بكر: أن أئتنا ولم يأت معك أحد،فانطلق أبو بكر فدخل على علي وقد جمع بني هاشم عنده،ثم قام عليّ فحمد الله،وأثنى عليه،ثم قال:أما بعد فأنه لم يمنعنا أن نبايعك يا أبا بكر أنكار لفضلك،ولا نفاسة عليك بخير ساقه الله إليك،ولكننا كنا نرى لنا في هذا الأمر حقاً فاستبدد تم به علينا،ثم ذكر قرابته من رسول الله وحقهم،ولم يزل علي يقول ذلك حتى بكى أبو بكر.ثم تشهد أبو بكر وحمد الله واثنى عليه، ثم قال: والله لقرابة رسول الله أحبّ إليّ أن اصل قرابتي، ثم أورد الحديث عن الرسول،ثم قال علي(ع) موعدك العشية للبيعة،ثم صلى أبو بكر الظهر،واقبل على الناس ثم عذر علياً ببعض ما أعتذر،ثم قام علي فعظم من حق أبي بكر،وذكر فضله وسابقته، ثم بايعه (١)

إلى هذه الواقعة يشير المكزون السنجاري قائلاً بلسان المحاجّ:

أليس في مسند صدّيقكم ان علياً عاقه أشهراً
ومدّ دعاه قال:ياغاصبي حقي..وذا ماليس فيه مراً

فهو يشير إلى قول علي لأبي بكر:كنا نرى إن لنا في هذا الأمر حقاً فاستبدد تم به علينا،ويؤكد بلسان المحاج أن قول علي لا مرية ولا شك فيه.

---

(١) الطبري المجلد الثاني ص٤٤٨ مؤسسة الأعلى بيروت

٣- أخرج ابن سعد، و الحاكم، والبيهقي عن أبي سعيد الخدري:لمّا بايع الأنصار والمهاجرون أبابكر صعد المنبر، ونظر في وجوه الناس فلم ير الزبير، فدعا به فجاء، فقال أبو بكر:قلت أبن عمة رسول الله وحواريه، أردت أن تشق عصا المسلمين، فقال: لاتثريب ياخليفة رسول الله ثم قام فبايعه.

ثم نظر في وجوه القوم فلم ير علياً فدعا به فجاء، قال أبو بكر: قلت ابن عم رسول الله(ص) وختنه على أبنته، أردت أن تشق عصا المسلمين: فقال لاتثريب ياخليفة رسول الله ثم قام فبايعه.

وأخرج موسى بن عقبة في مغازيه والحاكم وصححه عن عبد الرحمن بن عوف قال: خطب أبو بكر فقال: والله ماكنت حريصاً على الإمارة يوماً ولاليلة، ولاكنت راغباً فيها، ولاسألتها الله في سر ولاعلانية، ولكني اشفقت من الفتنة..إلخ فقال علي والزبير ماغضبنا الا أننا أُخرنا في المشورة.

٤- والرواية الرابعة لخصها شاعر النبيل حافظ أبراهيم في قصيدته "العمرية" وعرضها عرضاً مثيراً قال يصف فضائل الفاروق:

وقولة لعليّ قالها عمر ... أكرم بسامعها أكرم بتاليها
حرقت دارك لاأبقى عليك بها ... أن لم تبايع وبنت المصطفى فيها
من كان غير أبي حفصٍ بقوه بها ... أمام فارس عدنان وحاميها

هذه الرواية أوردها المتشددون، وهي كما يظهر تنال من مقام صحابة الرسول، وذلك-إن صح-أجتراء ومخالفة على مقامه (ص). فالذين تربوا في مدرسته وتخلقوا بأخلاقه، وتمسكوا بدينه وتقيدوا بسنته، فهل يهددون بيت صهره وابنته الزهراء بالحرق والتخريب.

نحن أمام أربع روايات، ثلاث منها تنص على المسالمة والموادعة والحرص على وحدة المسلمين، وهذا يعتبر خلقاً وطبيعة في أصحاب رسول الله، وخاصة في ربيبه وأخيه، وابن عمه، وزوج ابنته سيدة نساء العالمين!!

والسؤال الملح الذي يطرح نفسه:

لماذا لانفضل الروايات الثلاث التي تمثل روح الموادعه والمسالمة والإخاء، ونقف من الرواية الرابعة متحفظين؟؟ لأنها تكرس الخلاف واستمراريته؟؟

المعارضة النبيلة

بدأت المعارضة في الأسلام عقب وفاة الرسول مباشرة.
أجتمع الأنصار-الأوس والخزرج- في السقيفة- سقيفة بني ساعدة- يدبرون أمر الخلافة بينهم وبدون أن يشركوا المهاجرين فيه!!

انتهى اجتماع السقيفة بتصدع جبهة الأنصار، وغلبة حجة المهاجرين الثلاثة عليهم، وتمت البيعة لأبي بكر كما ذكرنا ذلك في موضعه من هذا الكتاب.

امتنع عن البيعة المباشرة سعد بن عبادة الخزرجي وبعض انصاره وامتنع من المبايعة بعض انصار بني هاشم كسلمان الفارسي والمقداد بن عمر بن ثعلبة بن الأسود الكندي وابو ذر جندب بن جنادة العفاري وعمار بن ياسر:

ويحفظ لنا التاريخ صورة عن أحتجاج سلمان الفارسي الذي خاطب الناس بالفارسية قائلاً: نكريد ونكرد يد وعرب المؤرخون قوله هذا بـ "أصبتم وأخطأتهم" أي أصبتم بأنتقاء الخليفة الشيخ، وأخطأ تم بتجاوزكم آل بيت نبيكم!!

ويطيب لنا، أو يحق لنا أن نتساءل:
١- لماذا كلم سلمان جمهور المدينة بالفارسية؟

٢- هل كان هذا الجمهور يفهم اللغة الفارسية؟
٣- هل يظهر سلمان في قوله هذا معارضاً أم مؤيداً؟
٤- لايقع في القضايا الإ واحد من أمرين: إما خطأ، وإما صواب ولاثالث لهما كما لم يجتمعا!!
٥- إذا كانَ القومْ أصابوا فأين الخطأ؟
٦- وإذا كان القوم أخطأوا فأين الصواب؟
٧- لانرى سلمان أعطى رأياً واضحاً!!
٨- هل خاف السلطة فتكلم بغير لغة القوم؟
٩- هل بلغه موقف عمر بن الخطاب من سعد بن عبادة وقوله: أقتلوا سعداً!! فأثر السلامة، وقال قولاً يحتمل المعارضة، كما يحتمل التأييد؟؟!!

امتنع بنو هاشم عن البيعة المباشرة لسببين أثنيين:
الأول أنهم لم يدعوا إلى الأجتماع ولم يستشاروا في الأمر.
الثاني محتجين بأنهم يرون أنهم أحق بالأمر لقرباهم من الرسول وهي نفس الحجة التي أحتج بها المهاجرون الثلاثة في السقيفة، وانتصروا بها على الأنصار.

ومع ذلك فهذه "الرؤية" لم تصل بالهاشميين- وعلى قيادتهم علي بن أبي طالب- إلى درجة منازعة الخليفة الجديد أمر الحكم، وما يتعلق به، خوفاً على الإسلام الوليد، وحفاظاً على وحدة المسلمين في تلك المرحلة الدقيقة حيث بدرت- وقبل وفاة الرسول- بوادر الردة والخروج والتمرد من بعض القبائل اليمنية، وظهور المتنبئين الكذبة.

ولقد أشار الخليفة الأول عقب تولّيه إلى خطورة المرحلة حيث قال: "والله لو لا خوفي من رخاوة هذه العروة مابتُ ليلة ولي في عنق مسلم بيعة"

وأذا كان علي- رأس الهاشميين- يعلن عن حقه بالخلافة وتمسكه بهذا الحق في كثير من المناسبات، فإن هذا الأعلان لم يمنعه من التعاون مع الخلفاء الثلاثة الذين تقدموه، ولم يمتنع عن مبايعتهم إلا مدة الأشهر الستة الأولى من خلافة أبي بكر لغضب زوجه فاطمة منه.

لمنعه ميراثها، وضم فدك- نحلتها من أبيها- إلى بيت مال المسلمين، كما تروي لنا مصادر التاريخ. وكما يروي أيضاً لنا التاريخ أن الخلفاء الثلاثة لم يقصروا في الأعتماد على مشورة غلي ونصحه، والأفادة من علمه وفقهه.

ألم يحفظ لنا التاريخ قول الخليفة عمر بن الخطاب: اللهم لاتبقني لمعضلة ليس لها أبو الحسن؟؟

ألم يقل أبعد من ذلك: لولا علي لهلك عمر؟؟ ألم يعترف بعلمه بقوله: أقرؤنا أبُي، وأقضانا عليّ.

ألم يدخل علي بين عثمان والثائرين عليه، ويصلح بينهما، ويحرر عهدا عليهما، يلتزم كل منهما بما جاء فيه، وتنفض الفتنة على أثر ذلك، لولا أن ينقضها مروان بن الحكم، وزير عثمان كما يدعوه

التاريخ، وبدون علم الخليفة عثمان، وكان هذا "النقض" الشرارة التي انطلقت لتخرق دنيا الإسلام فيما بعد، وحتى الآن!!

ألم يكن مجلس الأستشارة في عهد أبي بكر وعمر مؤلفاً من العباس بن عبد المطلب، وعبد الله بن عباس، وعلي بن أبي طالب، والثلاثة هاشميون، ومن عثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام؟؟

ألم يستخلف عمر علياً على المدينة عندما سافر إلى الشام شهراً و كان يرجع إليه في القضاء ويعول عليه في الأفتاء؟؟

أما كان عمر بن الخطاب يوزع الأموال على ترتيب الأنساب أبتداء من قرابة رسول الله، وما بعدها، الأقرب فالأقرب، وكان يقول: ما أدركنا الفضل في الدنيا، ولا رجونا الثواب في الآخرة إلا بمحمد فهوا أشرفنا، وقومه أشرف العرب(١)

وكان يقول: والله لاجعل من قاتل رسول الله- وكأنه يشير إلى أبي سفيان وأنصاره- كمن قاتل معه(٢)

وعلى قاعدة الأقرب فالأقرب من رسول الله فقد حدّد أعطيات

---

(١) البلاذري فتوح البلدان ص٣٥٣

(٢) الطبري ج ٤ ص١١٦

هؤلاء الأقارب، فأعطى عائشة زوج الرسول ١٢ ألف درهم في السنة، وأعطى لكل واحدة من أزواج النبي ١٠ الأف درهم في السنة، ولكل من الحسن والحسين ٥ آلاف درهم في السنة ولمن شهدا بدراً ٤ آلاف درهم في السنة، ولمن هاجر قبل فتح مكة ٣ آلاف درهم، ولمن أسلم بعد الفتح ٢٠٠٠ درهم (١)

ثم ألم يقل علي: ولكنه الخوف على رسالة محمد، ودين محمد، الخوف على الأسلام من المسلمين الذين يؤثرون الدنيا على الدين؟؟ ألم يقل لأبي بكر عندما بايعه: لم يمنعنا من مبايعتك يا أبابكر أنكار لفضلك، ولانفاسة عليك بحق ساقة الله إليك ولكنا كنا نرى لنا في هذا الأمر حقا فاستبددتم به علينا؟؟

ألم يقف علي في وجه أبي سفيان عندما رفع شعار وحدة بيت عبد مناف قائلاً: مالأبي فصيل- ويقصد أبا بكر- وهذا الأمر، أن هذا الأمر في بيت عبد مناف؟؟

ألم يدعو أبو سفيان مجاهراً وينادي محرضاً: أين المستضعفان الأذلان علي والعباس؟؟ وقال لعلي: أني أرى عجاجة لايطفئها إلا دم، وإن شئت- يخاطب علياً- لأملأنها عليه- أي على أبي بكر- خيلاً ورجالاً!! أبسط يدك يا أبا الحسن أبا يعك.

---

(١) الخراج لابي يوسف ص٥٠-٥٥

هل استجاب علي لدعوة أبي سفيان بالثورة على أبي بكر؟ هل وافق على الدعوة للتوحيد- توحيد بيت عبد مناف، أموييهم، وهاشمييهم ضد بيعة أبي بكر؟؟ هل أعار دعوته لمبايعته أهتماماً؟؟

ألم يزجره ويرفض كل عروضه قائلاً له: ماأردت إلا الفتنة!! لا حاجة لنا بنصحك!!

أما الروايات التي تقول: أن علياً عقب مبايعة الأنصار لأبي بكر أركب زوجه فاطمة الزهراء على دابة ومر بها على بيوت الأنصار، يذكرهم بحقه في الخلافة، ويستثيرهم لرد هذا الأمر، فهي رواية موضوعة يقصد بها النيل من الإمام، وأظهاره بمظهر الحريص المتهالك على الخلافة، وشهوة الحكم، وإنه لم يتورع في هذا السبيل عن أتخاذه زوجه بنت الرسول وسيلة لهذه الغاية، وتحريض الأنصار على التنكر لبيعة سلفت في أعناقهم.

والأمام- كما قدمنا- عارض نبيلاً، وشكى مظلوماً، ولم يلجأ إلى أية وسيلة أخرى ورحم الله المعري الذي أشار إلى زهده وورعه وترفعه عن متع الدنيا وزخرفها:

يا ابا السبطين لا تحفل بها اعتيق فاز فيها، أم عمر

وحتى يوم يصبح علي خليفة بعد ربع قرن من هذه الأحداث يكون هو الخليفة الحق في الزمن الباطل، ولاتعرف فترة خلافته الراحة

ولاالهدوء، بل انقضت في صراع مع "الروح القرشية" التي تسير بخط معاكس لسياسته، سياسة الأسلام كما شرعها الكتاب.
أنها معارضة، وتمسك بالحق، ولكنها معارضة نبيلة لم يشتم فيها عرض، ولم يلطم فيها وجه، ولم يُسلّ فيها سيف.

أنها معارضة أشبه بالمعاتبة لاالمجانبة، ولاالمواثبة، معارضة أقرب إلى الإدلال بالحق أدلالاً لايصل بصاحبه إلى الأعتزال والمقاطعة.

ولقد أورد كثيرون من المؤرخين الحياديين النزهاء أن علياً (ع) كان على علم مسبق بأحداث تلك المرحلة بما أطلعه الرسول(ص) عليه، ووقف عند الأمر الذي أوصاه به، ولم يتجاوزه.

وقريش- كما سبق وقلنا- قريش التي لم يمض عليها في الأسلام الا أقل من ثلاث سنوات أي الفترة مابين فتح مكة ووفاة الرسول، قريش التي دخلت الأسلام كرهاً، لم تنس مانالته من بني هاشم سدنة الدين الجديد، قريش المتربصة بالاسلام وأهله شراً، وأنتها الفرصة- فرصة وفاة الرسول- فانقضت على بني هاشم بدعوى: عدم جمع النبوة والخلافة. وهي- كما يقال- كلمة يرادبها باطل.

ولقد أشار علي كثيراً إلى حقد قريش عليه، وكيدهم له، ومن أقواله :

اللهم اني أستعديك على قريش ومن أعانهم، فأنهم قطعوا رحمي، وأكفأوا إنائي، وأجمعوا على منازعتي حقا كنت أولى به من غيري، وقالوا: الا أن في الحق أن تأخذه، وفي الحق أن تمنعه، فأصبر مغموماً، أومت متأسفاً !!

ثم يذكر تكتل قريش كلها ضده فيقول: فنظرت فإذا ليس هناك ذآب، ولارافد، ولامساعد، إلاأهل بيتي فضننتُ بهم على المنية، فأغضيتُ على القذى، وجرعت ريقي على الشجي وصبرت من كظم الغيظ على أمر من العلقم، وآلم للقلب من حر الشفار.

وهكذا وكما يدل عليه قول علي ظهر بنو هاشم بدون أعوان ولاأنصار، والقاعدة الشعبية – كما يقال في المصطلح الحديث– هي التي تتكلم في مثل هذه المواقف.

القاعدة الشعبية هي التي تضر وتنفع، وتعز وتمنع، وتجادل وتدفع ولم تكن هذه القاعدة متوفرة لبني هاشم!!

بهذه الروح، بهذه الرؤية يجب أن ننظر إلى الحكم والمعارضة في الأسلام في تلك الفترة، لابما تركه لنا التاريخ من الراويات المتناقضة، والأخبار المتضاربة، والمواقف المتأزمة، التي لا تليق بمن تربّوا في مدرسة محمد، وتأصل الاسلام في أرواحهم، وتجسّد في أعمالهم.

وأقرب تفسير، وأصدق تعليل لهذه الروايات القول: إنها وضعت في وقت لاحق، وأخذت سبيلها إلى التاريخ من قبل مؤرخين أملتها عليهم السلطة الحاكمة، أو التزلّف إليها، أو الروح الشعوبية التي انتشرت في أواخر القرن الأول، أو المذهبية السياسية الضيقة المثيرة المستثاره .

رجال لهم السابقة في الاسلام، ولهم الصحبة الطويلة لباني الأسلام، ولهم تضحياتهم المختلفة في سبيل الأسلام، فبعضهم هاجر مرتين إلى الحبشة ثم إلى المدينة، وبعضهم بذل مايملكه من مال ومتاع، وبعضهم بذل نفسه، وآخر قام عماد الأسلام بسيفة.

إذا أخذنا بتلك الروايات، وأنزلناها منزلة "المسلّمات" فإننا سنهبط بهولاء الأشخاص إلى مستوى يحاسبنا عليه الضمير.

ومع كل هذا- أرضاءً للتحليل الدقيق ومن خلال العقل المعاصر- يمكن القول: أنهم بشر يخطئون ويصيبون، ولكنهم أقل من غيرهم أخطاء لما ذكرنا من نشأتهم، وتربيتهم في مدرسة سيد الأولين والأخرين محمد بن عبد الله (ص) وإنّ هذه الأخطاء- أن وجدت- فإن وراءها حسن النية، وسلامة الطوية، وليست مقصودة لذاتها، ولايجوز لنا أن نبني عليها ماتدل عليه ظواهرها!!

ونرجع إلى القول: أن هذه الروايات التاريخية المتضاربة في مبناها ومعناها، وهذا التراكم الكمّي والنوعي، وهذا الشتيت المتنافر

من الأخبار، قد أُلحق بالفترة الراشدة بعد أن أصبح الحكم في الأسلام دكتاتورياً، مستبّداً كسروياً، وأصبحت "المعارضة"- نتيجة لذلك- عنصراً ثورياً، يرمي إلى أنصاف نفسه، أو تقّويض الحكم.

انطلق الحاكم المستبدّ، والمعارض المتربص وتحللا من كثير من القيود الدّينية، والألتزامات الشرعية، التي جاء بها الأسلام، وأجازاً لنفسيهما تخطّي كل التزام خُلقي، فوضعت تلك الروايات، واستفاضت تلك الأحاديث، وانتشرت تلك الأخبار التي تنتصر للحاكم، وتحطّ من قدر "المعارض" وكلها متّشحة ببرود الدين، ليكون لها سيرورتها، وقوتها، وأثرها في النفوس ومن لايعمل بها، أعتبر - في رأي صانعيها ومروجيها والمنتفعين بها- خارجاً عن الدين وأجماع الأمة، مفسداً في الأرض ويجب أخذه بالجرم الأكبر!!

ملوك الخلفاء

قال المكزون :

جعلـــوا ملوكهـــم الطغـــــا ةَ أئمـــــــةً للرا شديـــــــــنا

ثـــم ادعـــوا أن السلامـــــــــة فـــي اختـــلاف المسلميـــــــنا

ضمير الجمع في لفظة "جَعَلُوا" يقصد بـه بعض العلماء والفقهاء والمؤرخين الذيـن باركوا، وبرروا تحول الخلافة من الشورى إلى الملك العضـود، وأقروها وراثيـة، تُفرض بالسيف، وتعزّز بالفتوى، وتمكّن بالأخبار، وتدعم بالأحاديث، فكان للمسلمين نتيجة لذلك- أئمة وأمراء مؤمنين، مثل يزيد،ويزيد والوليد. وكان لهؤلاء الأئمة قادة وحماة مثل عقبة بن مسلم، وابن سعد، والحجاج بن يوسف.

وعرف التاريخ القواعد الفقهية التالية "الخلفاء لاحساب عليهم ولاعقاب" "من استخلف ثلاثة أيام لاتمسه النار" "من خرج وعلى الأمة أمام فملعون فاقتلوه" وبعض هذه القواعد تعزّز بأربعين شاهداً!!

من هو الخليفة؟؟

الخليفة الشّرعي الذي تجب أطاعته هو من خلف رسول الله على الأمة، وأجرى فيها وعليها حكم الكتاب والسنة.

هذا التعريف ينطبق قولاً و فعلاً على الخلفاء الأربعة الراشدين الهادين المهديين، وعلى الراشد الخامس عمر بن عبد العزيز، الذي سار بسيرة رسول الله وسيرة خلفائه دنيا و فعلاً وزهداً وعدالة. الأمر الذي أغضب أقاربه الأمويين وأحنقهم عليه لأنه حدّ من مكانهم في المنصب والجاه والمال والسلطة، ولذا قيل: أنه مات ميتة غير طبيعية على أشهر الروايات!!

مات الرجل الصالح الزاهد العادل شهيد مطامع أقاربه، كما استشهد ابن عمه الخليفة عثمان بن عفان بفعل تلك الأطماع من ذوي قرباه!!

أن من يشرب الخمر، ويغدو ويضحي، ويمسي ويصبح نديماً للمجان، وسميراً للمغنيّن، وجليساً أنيساً للمغنيات، ويضرب بالعود، والجنك، والبربط، والطنبور، ويضجّ قصره بالمئات بل بالألوف، من الجواري والسراري، والغلمان والخصيان (١) لايكون خليفة لرسول

---

(١) يروي التاريخ أنه كان للمعتصم أربعة آلاف جارية، ويقال أنه وطأهن جميعاً ويحتاج الى احدى عشرة سنة ليقوم بهذا العمل المبارك بإعتبار ليلة واحدة لكل جارية

رب العالمين، ولا أماماً للراشدين من المسلمين، بل هو ملك، عاتٍ طاغٍ، تطغى عليه النزوات، وتأسره الشهوات، وتصرفه دنياه وميوله عما في روح الأسلام من زهد وقناعة، وعفة وتقىً.

آراء الأئمة في شرعية حكم الأمويين والعباسيين

أختلف الأئمة الأربعة في شرعية حكم الأمويين والعباسيين،

١- الإمام أبو حنيفة لايرى حكم بني أمية شرعياً، ولم يتحرّج عن مناصرة زيد بن علي لما خرج على الأمويين ،كما يرى نفس الرأي في حكم بني العباس، و يحضّ الناس على مناصرة ابراهيم الإمام، واخيه محمد المعروف بالنفس الزكية، ويرى أن نضامهما ملكياً كسروّياً بعيداً عن شورى الاسلام ، ولكنه مع هذا كله يرى أن الخلفاء الراشدين ثلاثة وأن علياً واحد من الصحابة (١) وهذه نزعة أموية !!

٢- الإمام مالك بن أنس لم يؤيد حكم الأمويين ولا العباسيين كأبي حنيفة.

٣- الأمام الشافعي يرى أن الخلافة في قريش، ويرى أن كل قرشي غلب على الخلافة فهو خليفة، وهذا رأي عبد الله بن عمر، ولكن بعد موقعة الحرة، واستباحة المدينة، حرم رسول الله لجيش عقبة بن مسلم، قائد جيش يزيد بن معاوية، حيث قال: نحن مع من غلب، واعتبرت قاعدة، وحلت محل الشورى والإجماع.

٤- الأمام أحمد بن حنبل يرى الإمامة في قريش، ويرى إمامه ولد

---

(١) الإسلام بلا مذاهب للدكتور مصطفى الشكعة

العباس، وإمامة الراشدين، ويقف متحفظاً من علي، ويقول: وقف جماعة عند عثمان، وهذه نزعة أموية أيضاً (١)

ولابن النقيب قصيدة تصوّر جانباً من حياة الملوك الأمويين اللاّهية، وقد نشر ديوانه، وقدم له، وحققه شاعر الشام خليل بك مردم (٢) وعبد الله الجبوري.

ولأبي فراس قصيدة مشابهة في ملوك بني العباس، والفارق بين القصيدتين أن ابن النقيب (٣) يتناول الملوك الأمويين وفق التسلسل التاريخي، بينما أبو فراس يتناول العباسيين وأعمالهم بصورة عامة.

وقصيدة عبد الرحمن بن النقيب هذه كما يصفها علامة الشام وشاعرها خليل مردم بك، رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق: فريدة في بابها، ليس لها نظير، تصف "الملوك" الأمويين والعباسيين منذ يزيد بن معاوية، حتى زمن الراضي العباسي.

تصف مجالس الأنس والطرب، والخلاعة والقصف، وكل ما كانت

---

(١) إسلام بلا مذاهب للدكتور مصطفى الشكعة

(٢) ديوان ابن النقيب تحقيق عبدالله الجبوري تقديم خليل مردم بك مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق

(٣) هو عبد الرحمن بن محمد بن كمال الدين محمد الحسيني الدمشقي الملقب بابن حمزه وابن النقيب ١٠٤٨-١٠٨١ هـ

تضجّ، وتعجّ، وتمور به تلك القصور من القيان والغلمان، والندماء والخلعاء، والمغنين من قارع طبلَ، ونافخ زمر، وعازف وتر، وناقر دفّ، وصاحب صوت وصانع لحن.

لقد أطلق الشاعر المكزون عليهم- وبحق- اسم الملوك، لا اسم الخلفاء خلافاً للتاريخ!!

هل يكون خليفة لرسول الله من يشرب بنت ألحان وينادم الخلعاء والمجان والجواري والغلمان؟؟

لقد كانت حياة هؤلاء الملوك الخاصة في منأى عن زهد الأسلام، ومساواته، ونهيه عن المنكر، وقصيدة ابن النقيب وثيقة دامغة، وحجة قاطعة، وصورة ناطقة بتلك الحياة اللاّهية

كلما جدّد الشجيُّ ادكارَهْ ... أزعج الشوق قلبه واستطارَهْ
ليت شعري، أين استقل عن اللهو ... بنوه، وكيف أخلوا مزاره؟؟
بعد ماراحتهم صفوة العيش ... ونالوا طوع الهوى أوطاره
وجروا في مطارد الأنس طلقاً ... واجتلوا من زمانهم أبكاره
بين كأس وروضةٍ، وغدير ... وسماع، ولذة وغضاره!
أين حلّوا فمعشب، ومقيل ... أو أنا خوا فوردة، وبهارَهْ
من مليك زفت بحضرته الكا ... سَّ، قيانُ يَعْزفنَ خلف الستاره
ووزير قد باتَ يسترق اللذاتِ ... وهناً، والليلُ مرخٍ إزارهْ
وأمير ممنطق بندا ما ... ه، وكأس الطلا لديهم مُداره
كم فتى من بني أمية أمى ... وخيول الهوى به مستطارَهْ؟؟

كيزيد (١) وشأنه في أبي قيـــس ... وما قد عـراه في عمـــّارَهْ (١)
ونداماه كابن جعـدة والأخظـــل ... إذ عاقـراه صفـــواً عقـــاره
وقضى ليلـه مـع ابـن زيـــاد ... وقتيـب بـن مسلـم، ونهـــاره
وكمروان وابنـه حيـن ولـــّى ... بـلذاذات عيـشه سمـــّاره
نادمتـــه أبنـــاء "باليـــة" الاّ ... ئي قضى في ربوعهم اسحـاره
وكمثل "الوليد" ذي القصف إذ كـا ... ن يغـب اصطباحه وابتكـاره
ولديـه الغريض وابـن سُـرَيج ... اظهـــرا كل صنعـة مختـاره
مـن غنـاء الـذ من نشوة الكـا ... س، واشهـى من صبـوة مستثارَه
وسليمـان ذي الفتـوة اذ كـا ... ن لنحـو "الذلفاء" يبـدي افتراره
ويزيد ابن خالـد، وأبو زيـدٍ ... نديمـان يشفيـان أواره
بحديث يستعجل الـراح بالـرا ... ح، ويحتثّ أنجمـاً سيـاره
إذ بمغنى سنـان كان يغالـي ... ويجلّي بشـدوه أكـداره
وابن عبد العزيز إذ راوح الكـا ... س، ووالاه في زمان الأمـاره(٢)
و "يزيـد"المعمود إذ خامرتـه ... نشوة الـراح ليلـه ونهـاره
وسبت لبـه حُبابـة، وأستهـو ... ته، حتـى أباح فيهـا اشتهـاره
واستمالـت بـه سُلامـةُ حتـى ... أقلـق الوجـد فكـره، وأثـاره
إذ يناجيه لحـن معبـد بالشـجو ... كمـا شـاء معمـلاً أوتـاره
ولكم ألـف الغنـاء لديـه ... ضـرب عـوّادة، على زمـّاره

---

(١) يزيد بن معاوية بن ابي سفيان كان له قرد ينادمه يسمى أبو قيس، وربما وثب فقعد على عاتقه وربما عبَ معه في الكأس، ولما مات القرد كفنه ودفنه، وأمر الناس فصلوا عليه،وعزوه فيه(ديوان ابن النقيب تعليق شاعر الشام خليل مردم بك اختصار).

(٢) عمر بن العزيز أيام كان أميراً، أما بعد أن أصبح خليفة فقد كان أقرب الناس سلوكاً الى الخلفاء الراشدين ولذلك قال عنه بعض المؤرخين انه الخليفة الخامس، وهو الذي رفع ومنع سباب علي بن أبي طالب.

وهشـام إذا استبـد أختيـــــاراً بالرساطـون واستلـذّ أختـياره
من شراب ظلـت أفاويه المطـر بـه ذاتَ نفحـــة سيـــــّاره
والوليـد المليـك إذ واصل الكـا سـات واللهـو جهـده واقتـداره
واغتـدى فـي تهتـك ومجـــون كان يجنـي قطوفـه وثمـــاره
ومناه ذكرى سليمـى، لوجـــد ظـل يذكـي لهيبـه واستعـارّهْ
إذ يغنّيه مـالك بـن أبـي السّمـح وعمـرو الـوادي فينفـي وقـاره
ولكم خفّف ابن عائـشة اللـــحن لـه، فاستخفّـــه واستطـــاره
وابن ميادة ابن أبـرد والقاسـم كانـا يحثحثـانِ عقـــــاره
بندامٍ ألـذ من زورة الُحـــبّ، وأبهـى من روضـة فـي قـراره
ويُذيحٍ أتـى بأمـرٍ عُجـــاب إذ تولـّي علـى القرود الإمـارة
ويزيـد المليـك إذ كان بهـــوى صوت حدو الحداة في كل تـأرة
وتغني الركبان إذ كان منشـــاه البوادي حتى أعترته الحضـارَهْ
وكمروان ذي الفتـوة إذ كـــان يـولـي في غبطـــة اسفـــاره
فيرى اللهـو والسمـــاع منـــاه ويـرى الحـرب قطبـَه ومـداره

قلنا سنقتصر من قصيدة ابن النقيب على ماجاء من لهو وعبث ومجون الملوك الأمويين، وندع وصف حياة الملوك العباسيين للشاعر أبي فراس الحارث الحمداني.

أبو فراس في قصيدته يتناول سياسة العباسيين تجاه أبناء عمهم العلويين وعسفهم وظلمهم وامعانهم في الجور، والملاحقة قتلاً وتشريداً وأضطهاداً ويختتمها بعرض عبثهم وأستهتارهم.

ألديـن مختـرم، والحـق مهتضم ... وفـيءُ آل رسـول اللـه مقتسـمُ
والناس عندك لاتاس فيحفظهـم ... سَوْمُ الرعاة، ولاشاء، ولانعـم
إني أبيت قليل النـوم، أرقنـي ... قلب، تصارع فيه الهـمّ والهِمَـمُ
وَعزَمة لاينام الليـل صاحبّهـا ... إلاعلى ظَفَر، في طيّـه كـرَمُ!
يُصان مهري لأمر لاأبـوح بـه ... والدرع والرمح والصمصامة الخذمُ
وكل مائرة الضبعين، مَسْرحهـا ... رمثُ الجزيرة والخذراف، والعنَمُ
وفتية قلبهـم قلـب إذا ركبـوا ... يوماً، ورأيهـُم رأيَ إذا عزمـوا
ياللرجـال!! أمـا للـه منتصـف ... من الطغـاة؟؟ أمـا للدين منتقـم؟؟
بنـو عليّ رعايـا فـي ديارهـم ... والأمـر تملكه النسوان والخـَدمُ!
محلّلُون، فأصفـى شربهم وشـل ... عنـد الورود، وأوفـي ودّهم لَـمَـمُ
فالأرض، إلاعلى مُلاّكها سَعـَةٌ ... والمال، إلاعلـى أربابـه، دِيـَـمُ
ومالسعيد بهـا إلا الـذي ظلمـوا ... ومالغنـيّ بهـا إلا الـذي حرمـوا
للمتّقين من الدنيـا عواقبهـا ... وإن تعجل منهـا الظالـم الأثـِمُ
لايطغينّ بني العبـاس ملكهـُم ... بنـو عليّ مواليهم، وأن زعمـوا
أتفخرون عليهـم لا أبا لكـُمُ ... حتـى كأن رسـول اللـه جدُ كـُمُ
وماتـوازن يومـاً بينكـمْ شـرف ... ولاتساوت بكم فـي موطـن قـدمُ
ولالكم مثلهـم في المجد متّصـل ... ولا لجدكـم مسعـاة جَدهُـم
ولا لعرقكم من عرقهـم شبـَهُ ... ولا نفيلتكـم من أمهـم أمـمُ
قـام النبي بهـا يـوم الغـدير لهـم ... و اللـه يشهـد والأملاك والأمـم
واللـه ما جهل الأقوام موضعهـا ... لكنهـم ستروا وجـه الـذي علمـوا
ثم ادّعاهـا بنـو العبـاس إرثهـم ... ومالهـم قـدَم فيهـا، ولا قـِدَمُ
لا يذكرون إذا ما معشر ذكـروا ... ولا يحكـم فـي أمـر لهـم حكمٌ !
ولا رآهـم أبو بكر وصاحبـه ... أهلاً لما طلبو منها ، وما زعمـوا
فهل هـم مدعوهـا غيـر واجبـة ... أم هل أثمتُهـا في أخذها ظلمـوا؟
إمـا عليّ فقـد أدنـى قرابتكـم ... عنـد الولاية إن لم تكفـر النعـم

هل جاحد يابني العباس نعمتـــه ... أبوكم؟ ام عبيد اللـه؟ ام قُثـــم؟؟
بئس الجزاء جزيتم في أبي حســن ... أبوهـم العلـمُ الهـادي وأمهـــم
لا بيعـة ردعتكـم عـن دمائهـــمُ ... ولا يمين، ولاقربى، ولا ذِمـــم
هلا صفحتم عن الأسرى بلا سبب ... للصافحين ببدرعن أسيركـــم؟
هلا كففتم عن "الديباج" ألسنكـــم ... وعن بنـات رسول اللـه شتمكـم؟
مانزهـت لـرسول اللـه مهجتـــه ... عن السياط فهلا نزّه الحـــرم؟
ما نال منهم بنوحرب وان عظُمت ... تلك الجرائـــر، الادون نيلكـــمُ
كم غدرةٍ لكم في الدين واضحـــة ... وكم دم لـرسول اللـه عندكـــم؟

أأنتـــم آلـه فيمـــا ترون؟ وفـــي ... أظفاركم من بنيه الطـاهرين دم؟
هيهات، لا قربَت قربي ولا رحـم ... يوماً، إذا أقصت الأخلاق والشيم!
كانت مودة سلمـــان له رَحِمـــاً ... ولم يكن بيـن نـوح وابنـه رَحِم
ياجاهداً في مساويهـم يكتمهـــا ... غدر الرشيد بيحي كيف ينكتـــم؟
ليس الرشيد كموسى في القياس ولا ... مأمونكم كالرضا لو أنصف الحكم
ذاق الزبيري غب الحنث وانكشفت ... عن ابن فاطمـة الأقوال والتهـم!
باءوا بقتل الرضـا من بعد بيعتـه ... وأبصروابعض يوم رشدهم وعموا
ياعصبـة شقيت من بعـد ماسعدت ... ومعشراً هلكوا من بعد ما سلمـوا
لبئـس مالقيت منهـم وان بليـت ... بجانب الطف تلك الأعظم الرمـم
لاعن ابي مسلم في نصحة صفحوا ... ولا الهبيري نجى الحلف والقسَم
ولا الأمان لأزد الموصل اعتمدوا ... فيه الوفاء ولا عن عمهم حلمـوا
أبلـغ لديك بنـي العبـاس مألكـــة ... لاتدعوا ملكهـا مُلاكهـا العجـم!!
أي المفـاخر أمست في منابركـــم ... وغيركـــم آمر فيهـــن محتكـــم!
وهل يزيدكـم من مفخـر علـــــم ... وفي الخلاف عليكم يخفق الْعلـــَم
خلّوا الفخـار لعلأمين ان سئلـوا ... يوم السؤال وعمّالين ان علمـــوا
لا يغضبون لغير اللـه ان غضبـوا ... ولايضيعون حكم اللـه إن حكمـوا

يبدو التلاوة من أبياتهم أبداً ... وفي بيوتكم الأوتار والنغم
منكم "عُلَيّة" أم منهم ؟ وكان لهم ... شيخ المغنين "ابراهيم" ام لكم؟
ما في ديارهم للخمر معتصرٌ ... ولابيوتهم للسوء معتصم!!
ولا تبيت لهم خنثى تنادمهم ... ولا يرى لهم "قرد" له حشم
الركن والبيت والأستار منزلهم ... وزمزم والصفا، والحجر والحرم
صلى الأله عليهم كلما ذكروا ... فانهم للورى كهف ومعتصم!

الأخطاء القاتلة

حكم الأمويون مروانيهم وسفيانيهم ٩١ عاماً بعد الخلافة الراشدة وارتكبت الأخطاء العديدة على النطاق الداخلي وأهمها :

١- التشدّد والمغالاة والأفراط في ملاحقة معارضيهم من بني هاشم ، واسرافهم في القتل والتنكيل بهم وبأنصارهم ، ويكفيهم فاجعة كربلاء!!

٢- غالوا في القومية العربية فأحنقوا العناصر الأخرى فظهرت الشعوبية .

٣-رغم مغالاتهم في القومية العربية فقد عمدوا إلى ضرب القبائل العربية ببعضها ، ويمثل المثلث الأموي جرير ، الفرزدق ، الأخطل ، بمهاجاتهم هذه الظاهرة

٤- استخدموا العلماء والفقهاء والشعراء والمؤرخين ليضعوا الأحاديث ، والروايات ، في شرعية حكمهم وتثبيت دولتهم ، ومنها القول بالجبر والقضاء والقدر !!

ولعل فيما رواه المدائني وابوالفرج الأصبهاني عن معاوية بن أبي سفيان ما يمثل الروح الأموية أصدق تمثيل .

عندما دخل معاوية الكوفة بعد صلحه مع الحسن بن علي قال مخاطباً أهل الكوفة : اني والله ماقاتلتكم لتصلوا ، ولا لتصوموا ، ولا

لتحجوا ، ولا لتزكوا، وانكم لتفعلون ذلك ، ولكني قاتلتكم لأتأمّر عليكم، وقد أعطاني الله ذلك وانتم كارهون !!

كما يمثل روح العداء التاريخي المستحكم بين الأمويين والهاشميين ما رواه سبط ابن الجوزي عن الشعبي ، عن يزيد بن معاوية وماقاله بعد موقعه الحرة ، واستباحة المدينة ، وأخذ البيعة له بعد عرض أبناء الصحابة على السيف !!

ليت اشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل
لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل
قد قتلنا القرم من ساداتهم وأقمنا ميل بدر فأعتدل

ولقد أشار أحد الشعراء إلى هذا العداء المتوارث المستمر في البنين عن الآباء وإلى الأحفاد :

عبد شمس قد أضرمت لبني ها شم ناراً يشيب منها الوليدُ
فابن حرب للمصطفى وابن هند لعلي وللحسين يزيد

وحكم العباسيون ٥١٨ عاماً قبل سقوط بغداد بأيدي المغول والتتار، وارتكبوا أخطاء كثيرة على الصعيد الداخلي ومنها :

١-أنزلوا بأخصامهم الأمويين أضعاف أضعاف ما أنزله الأمويون بالهاشميين ، فقد لاحقوهم في كل بلد ، وكل دسكرة ، وكل فج ومخرم، وبلغ بهم الأمر أن نبشوا القبور ، وجلدوا الرفاة ، وأحرقوها، وذروا رمادها !!

٢- طاردوا أبناء عمهم العلويين شركاءهم في قلب الدولة الأموية ، وفعلوابهم الأفاعيل .

وقال دعبل الخزاعي في تلك الأفاعيل -أفاعيل بني العباس -

أرى أميـــة معذوريـــن إن قتلـــوا وما أرى لبني العباس من عـــذْر

قتل، ونفي، وتحريق، ومنهبـــــة فعل الغزاة بأرض الروم والخزر

٣-أسقطوا العناصر العربية من صدارة الدولة ، وأحلّوا محلهم الفرس، ثم الأتراك ، ثم الديلم ، فانقسمت الدولة العربية الأسلامية إلى ممالك متعددة !!

٤- سَيسوا الدين ، أي وضعوه في خدمة سياستهم ، فقربّوا طوعاً أوكرها العلماء والفقهاء والمؤرخين والشعراء ، وأغدقوا عليهم نعمهم وعطاءاتهم ، فوضعوا لهم الأحاديث والروايات والأخبار لتبرير سلوكهم ، وتمكين حكمهم ، ودوام سلطتهم !!

ومن الأحاديث الموضوعة : إذا انتقلت الخلافة إلى ولد العباس فستظل في أيديهم حتى يسلموها إلى المهدي ، أو إلى عيسى بن مريم.

ولكن بعد هذا كله -على صحته وواقعيته - بعد تلك الأخطاء التي قلنا أنها " قاتله "على الصعيد الداخلي ، نرى من الإنصاف ، وتقرير الحقائق ، أن هؤلاء الملوك - على علاتهم - وإن أترفوا وأسرفوا في حياتهم الخاصة وأخطأوا، وما أنصفوا ، على الصعيد الداخلي ، فإنهم على المستوى الخارجي كانوا بُناة دولة ، وقادة جيوش، وساسة شعوب، امتلأت أيامهم بالجهاد في سبيل الإسلام، والدفاع عن حوزته وكيانه، فسيّروا الجيوش دفاعاً وردعاً وفتحاً، فاتسعت رقعة الدولة، وانتشر الدين، واللغة العربية، حتى بلغت الدولة حدود السند والهند

شرقاً، وجبال البيرينة غرباً، وأسوار القسطنطينية شمالاً، وباب المندب جنوباً، ونعمت تلك الشعوب بعدالة الإسلام ومساواته.

ورافق كل هذا نهضة ثقافيةفكريـة، شملت كل ضروب المعرفة ليس هنا محل دراستها وعرضها .

وعودة إلى البيت الثاني من ثنائية المكزون التي صدّرنـا بهـا هذا البحث.

ثم أدّعوا أن السّلامة في " إختلاف " المسلمينا

الضمير في لفظة "أدّعوا " يعود للفقهاء والمجتهدين الذين جمعوا في أقوالهم بين الصحيح ونقيضه ،وسَاوَوْا في أفعالهم بين رفع الأمر وخفيضه أرضاءً للساسة ، وتمكيناً للسياسة هذه الأقوال والإجتهادات المتناقظة بلبلت الأفكار، وأضاعت الحقيقة وتداركاً لذلك وضعوا قاعدة " أختلاف الأئمة رحمة با الأمة" أو قول الرسول أختلاف أمتي رحمة (١) والمكزون لايقر هذه القاعدة ، ولايؤمن بصحة هذا الحديث، ولايرى في الخلاف أية رحمة، ولايقود الأختلاف أية سلامة!!

ما أشبه الليلة بالبارحة

بعد تراخي الزمن ، ومرور قرون وقرون ، نرى المشابهه ، والمطابقة، الموافقة بين ما جرى في العصور الأموية والعباسية على

---

(١) رواه المقدسي في الحجة، والبهيقي في الرسالة الأشعرية، وأورده إمام الحرمين، والسيوطي في جامع الأحاديث ٧١٦/ص١٥٧

الصعيد الداخلي ، وبين ما يجري في حاضر أيامنا ، فما كتبه مؤرخو وعلماء تلك العصور السحيقة في الخلاف والأختلاف ، والأثارة والأستثارة بين جمهور الأمة ، تعاد الأن كتابتة ، والتعليق غلية والحضّ على نشره واحياءة، قولاً وفعلاً وغايةً ، إن ماتنفثة أقلام القصيمي، والجبهان، وبدوي، والخطيب، والحسيني، والتدمري، ومهدي العسكري، وسيد طنطاوي ، وأنيس منصور ،لايخدم التاريخ ، بل يشوه التاريخ ، ويزلزل كيان الأمة ، ويمزق وحدتها !!

إنه جميعه يصب في قناة المستشرقين – رسل الأستعمار – ودعاة المركزية " الأوربية " التي يمثلها في المنطقة العربية كتبة " الحقيقة الصعبة "

بلادنا تنتقص من أطرافها ، ويُدال من شعوبها ، ويهدّد أمنها ومستقبلها ، ونحن نشحذ قرائحنا ، ونرهف أقلامنا ، ونكد أذهاننا، ونصرف أوقاتنا في الكيد لاخواننا في الدين واللغة ، والوطن والمصير، بفعل مذهبيّة ضيقة ، أو شعوبية حاقدة !!

الإرهاب : والمعارضة

واتل عليهم نبأ ابني آدم إذ قربا قرباناً فتقبل من أحدهما، ولم يتقبل من الآخر ، قال : لأقتلك ، قال : انما يتقبل الله من المحسنين ، لئن بسطت يدك إليّ لتقتلني ماأنا بباسطٍ يديّ اليك لأقتلك أني أخاف الله رب العالمين اني أريد أن تبوء باثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين . فطّوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين . من أجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً ، ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم أن كثيراً منهم بعد ذلك في الأرض لمسرفون(١)

وكم في الناس والتاريخ من قتلوا الناس جميعاً لأنهم "عارضوهم" !!

قتل قابيل اخاه هابيل حسدا ولأنه " عارضه " في زواجة من أخته "عناق"

وارغم سقراط على شرب سم " الشوكران " لأن تعاليمه "تعارض" نظام السلطة وتفسد شباب اثينا كما زعم الحاكمون !!

---

(١) المائدة ٢٧

واحرق " برونر" حياً لأنه عارض آراء رجال الدين ، وقُتل "غاليلو" لأنه قال بكروية الأرض "وعارض" رجال الكنيسة وأطاح "هيرودس" برأس " يوحنا المعمدان " لأنه "عارض" في زواجه من البغيّ "هيروديا" زوجة أخيه ولأنه اعتبر هذا الزواج خطيئة، وخرقاً للناموس، ورقصت ابنتها في رأسه المقطوع والموضوع في طبق على رأسها بين الحاضرين !!

وسُمّر المسيح في يديه ورجليه على الصليب لأنه "عارض" السنهدرين ، والفريسيين والعشارين ، مع أنه اعطى مالقيصر لقيصر ليسلم من التجربة ، فلم يسلم ، ولم يفده التبشير باسم أبيه السماوي . وأجمعت سيوف قريش وقبائل مكة ، على قتل محمد بن عبد الله لأنه "عارض" وثنيتهم، ودعاهم الى عبادة الاله الواحد !!

وقتل حجربن عدي وأصحابه لأنهم "عارضوا" سياسة والي أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان على العراق .

وقتل ابن زياد ، وابن مرجانة الحسين بن علي حفيد محمد وسيد شباب أهل الجنة لأنه " عارض " سياسة "أمير المؤمنين" يزيد بن معاوية !!

واوقف معاوية بن أبي سفيان ٤٠ سيفاً سنيناً على رؤوس ابناء الصحابة الكرام ليبايعوا ابنه الخمّير السكير يزيد ، ولا " يعارضوا " بيعة بن أمير المؤمنين(١)

واستل لسان رشيد الهجري من قفاه لأنه " عارض " قولاً فكيف لو عارض عملاً .

وهدمت الكعبة بيت الله الحرام بمنجنيق الطاغية الحجاج بن يوسف لأن عبد الله بن الزبير لجأ اليها " معارضاً " سياسة عبد الملك بن مروان بن الحكم طريد رسول الله ولعينه !!

وتناول السفاح العباسي عشاءه على جثث ٧٠ رجلاً من بني أمية وهم مشدوخون بالعمد، ويئنون تحت النطوع التي يجلس عليها الخليفة فوقهم لأن أجدادهم "عارضوا " اجداده في الخلافة وغصبوهم حقهم.!!

وجلد المنصور العباسي أبا حنيفة وحبسه ، ثم سمّه لأنه لم يقبل أن يتولى القضاء فاعتبر " معارضاً " وجلد مالك عارياً مكشوف العورة امعاناً باذلاله لأنه " عارض " رغبة الخليفة بايراد ه حديثاً عن رسول الله لم يحقق رغبة حامي حمى المسلمين . !!

---

(١) وكان معاوية يقتل معارضيه بجند من دالعسل> ويقول: ان لجنداً من العسل حيث يوعز لبعض انصاره ليديف السم بالعسل ويسقي معارضيه، وممن قتلهم جند العسل بإشارة من معاوية الحسن بن علي، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد، والأشتر، وعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق

وأطعم أبن المقفع الأديب الكبير قطعاً من لحمه، لأنه كتب صورة عهد لعبد الله بن علي عم المنصور " المعارض " له . وكثيراً وكثيراً وكثيراً.

وهناك نوع من الأرهاب التاريخي المستمر وهو أخطر أنواع الأرهاب، وأوسعها فتكاً وأنتشاراً في الأمة ، يقوم به العلماء والفقهاء بأشارة من السلطة وذلك بأصدار تلك "الفتاوى" المعروفة في التاريخ والتي تبيح مال "المعارض" وعرضه، ودمه مهما كان مبلغ معارضته من الحق والدين !!

ولم يكتف العلماء والفقهاء بفتاويهم وأدانة "معارضي" السلطة بل عززوها بتأليف الكتب وتضمينها الأحاديث المكذوبة التي وضعوها لتبرير عملهم، وحماية أعمال السلطة الغاشمة !!
وهكذا أنتشر الأرهاب بنوعيه السياسي "والديني"
الحاكم يوعز، والفقيه يفتي .والمعارض يتلقى ويلات التعذيب .

ومتى ألتقى الحاكم والكاهن علىعرش القيادة فبشر الشعب بالعبودية، وسوء المصير !!

لقد أصبح " المعارضون " بين نارين لاتخمدان، وسيفين لا يغمدان، وجلاّدين لا يرحمان، بين تهمة "الخروج" على السلطة الشرعية وتهمة "المروق" من الدين !!

وإلى هذا أشار الشاعر المكزون، أشار إلى نوع من الأرهاب الفكري الذي يمارسه أنصار السلطة من الفقهاء على معارضيها،لخنق صوتها، والحيلولة دون السماح لها بالادلاء بحجتها،وأبداء رأيها مهما كان نصيبهمامن الحق :

ما كابر أحقّ مثل قوم ... قد سخطت ما أرتضى العقولُ
قالوا : لنا قولٌ ما أردنا ... وما لكم فيه أن تقولوا
ومن بحق أحق منا ... ومدّعانا هو الدليلُ
وفي خطانا لنا صواب ... والله فينا بنا الفَعول(١)

وهو في هذه الرباعية ينكر على أنصار السلطة من العلماء والفقهاء أستبدادهم بالرأي، وفرضه بالقوة على الأخرين، والتعسف باستعماله، ويتجلى هذا التعسف والأعتساف في قولهم: لنا قول ما نريد، وليس لكم أن تقولوا شيئاً، ولنا كل حق، ولا نحتاج إلى دليل لأثباته، لأن مجرد أدعائنا أنه الحق كافٍ لهذا الإثبات !!

وفي هذه الرباعية أشارة إلى القاعدة القائلة بثواب المجتهد في حالتي خطئه وصوابه ويلحقها بهذ الإرهاب الفكري ، والإستبداد بالرأي.

كما يشير إلى " جبرية الأفعال " وإيمانهم بأنها من الله سواء كانت خيراً أم شراً !!

---

(١) ديوان الكزون تحقيق ونشر الدكتور أسعد علي ومخطوطة الظاهريه

وله حجج حول أمثال هذه القضايا الهامة العامة، أوردناها في الأجزاء السابقة من هذا الكتاب(١)

ونسوق مثالاً على تبعية العلماء والفقهاء للسلطة ، وتسخير أقلامهم لخدمتها،

ما وقع للأمام الغزالي .

الغزالي هو بحق حجة الإسلام , وخاصةً في مجال "العقليات"ومن قرأ "المنقذ من الضلال " أدرك ما يتميز به هذا الأمام من قوة المنطق والحجة، في مجال علوم العقل(٢)

الإمام الغزالي الذي قيل فيه : قطب الوجود والبركة التامة لكل موجود، وقيل في كتابه "إحياء علوم الدين" إنه تنزيل من التنزيل(٣) أويكاد يكون قرآناً !!

عقد الإمام الغزالي فصلاً مطولاً في الجزء الثاني من كتابه "الأحياء" تحت عنوان "<< في ما يحل من مخالطة السلاطين >> وما يحرم ، ننقل منه بعض المقاطع قال :

---

(١) راجع المكزون السنجاري ج١ و ٣

(٢) أما في علم الحديث فقد استدرك عليه الحافظ العراقي كثيراً في تخريج الأحاديث التي أوردها في الأحياء

(٣) مقدمة كتاب الأحياء ص هـ

وإما السكوت - أي عن أعمال السلاطين - فهو أنه سيرى في مجالسهم من الفرش .والحرير وأواني الفضة، والحرير الملبوس عليهم، وعلى غلمانهم ما هو حرام ، وكل من رأى سيئة وسكت عنها، فهو شريك في تلك السيئة، بل يسمع من كلامهم ما هو فحش، وكذب، وشتم وإيذاء، والسكوت على جميع ذلك حرام ، بل يراهم لابسين الثياب الحرام ، وأكلين الطعام الحرام ، وجميع ما في أيديهم حرام والسكوت على ذلك غير جائز !!

وينابع قائلاً : أما الدعاء له - أي للسلطان - بالحراسة ، وطوال البقاء , وأسباغ النعمة مع الخطاب بالمولى ، وما في معناه فغير جائز، وقال الرسول (ص) من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصي الله في أرضه : فإن تجاوز الدعاء إلى الثناء فذكر ما ليس فيه فيكون كاذباً ومنافقاً ومكرماً لظالم .... الخ.

وهكذا يمضي الغزالي في سرد ما يحرم على العلماء تجاه السلاطين ويبلغ عشر صفحات من كتابه نتركها أختصاراً (١) .

نحن مع الإمام الغزالي في كل ما قاله بحق السلاطين، ولكن هل تقيد الغزالي بما قاله؟ وهل وقف من السّلاطين موقف المستنكر لأعمالهم ؟ وهل قام ناصحاً ورادعاً لكل سلطة طاغية؟

---

(١) الغزالي احياء علوم الدين الجزء الثاني ص١٤٣-١٥٣

لنقارن بين ما أوردناه هنا ، وما سنورده من كتابه "المستظهري" الذي ألفه بأشارة من الخليفة العباسي المستظهر بالله وسماه بأسمه، بينما يأبى الدكتور عبد الرحمن بدوي إلاّ أن يسميه "فضائح الباطنية" إستجابة لنزعة ، وميلاً لنزغة ، قال الغزالي مشيراً إلى بواعث تأليف هذا الكتاب .

أما بعد : فإنني لم أزل مدة المقام بمدينة السلام متشوقاً أن أخدم المواقف المقدسة، النبوية، الأمامية، المستظهرية ضاعف الله جلالها، ومد على طبقات الخلق ظلالها ، بتصنيف كتاب في علم الدين أقضي به شكر النعمة ، وأتم به رسم الخدمة، وأجتني بما أتعاطاه من الكلفة، ثمار القبول والزلفة ...إلى أن يقول : حتى خرجت الأوامر الشريفة المقدسة النبوية المستظهرية بالاشارة "إلى الخادم" بتصنيف كتاب في الرد على الباطنية... فرأيت الأمتثال حتماً والمسارعة إلى الإرتسام حزماً، وكيف لا أسارع إلى أمر زعيم الأمة، وشرف الدين، أمير المؤمنين لقوله تعالى : أطيعوا الله، واطيعوا الرسول، وأولي الأمر منكم، وقد شرفت بالخطاب من بين سائر العالمين، ورأيت المسارعة إلى الأذعان والأمتثال من فروض الإيمان !!... الخ

هل هذا ينطبق على ما قررّه وأشترطه الغزالي على العلماء تجاه السلاطين ؟ في المثال الذي أوردناه من كتابه " إحياء علوم الدين " ؟؟

كم في هذا القول من الاذلال والخنوع والرضوخ للسلطة ومتطلبات السياسة ؟؟

كم فيه من المبالغة وإغداق الألقاب على الخليفة العباسي الذي يستدرجه على الإيقاع بخصمه الخليفة المستنصر الفاطمي وأنصار خصمه من المسلمين ؟؟

فالخليفة العباسي ذو مواقف مقدسة نبوية "إمامية" وهو شرف الدين ، وأمره فرض كالصلاة وغيرها من المفترضات ، والخليفة الفاطمي باطني النزعة وخارج من الإسلام .

والغزالي الإمام "خادم" ممتثل للأوامر، مسارع للإجابة(١) لينال القبول والزلفة !!

هذا نموذج تاريخي بسوقه دليلاً على سلوك العلماء والفقهاء تجاه السلطة في ذلك الزمان.

ومن هذه الأمثلة ندرك قيمة أثار العلماء والفقهاء في تكريس الخلاف و الشقاق في صفوف المسلمين !!

---

(١) المستظهري مقدمة الكتاب

ثـــالثـــة

يقول المكزون من قصيدة :

ولقد هزمت الناكثين لبيعتي لما عقرتّ بحيهم جملاً رغا

إنه يشير بهذا البيت الى طلحة والزبير اللذين با يعا عليا" بن ابـي طالب ونكثا بيعته وأخرجا ام المؤمنين عائشة ، أو أخرجتهما ، وكـانت تلك الحرب – حرب الجمل – فما هي الاسباب ؟ ومن هم المسببون؟؟

مما لاجدال فيـه أن مقتـل الخليفـة عثمـان بـن عفـان كـان منعطفـا "هاما" حادا" في مسـيرة التـاريخ الأسـلامي ، هـذا المنعطـف الحـاد هـو إراقة دماء المسلمين بسيوف المسلمين .

وقـد كـانت حروبهـم خارجيـة فتحولـت الـى داخليـة : الجمـل، الهـروان، صفيـن . بـدأت هـذه الحـرب الداخليـة بمقتـل خليفـة وأنتهـت بمقتل خليفة ، وقيام ملك .

هنالك ثلاث شخصيات لعبت أدوارا " كبرى في تهيئة وتوجيه تلك الأحداث ، ثلاث شخصيات يقوم بينها قاسم مشترك فـي التحكـم بمسـار التاريخ في تلك المرحلة .

وهم مروان بن الحكم ، وعائشة زوج النبي ، وعمرو بن العاص .

١- مروان بن الحكم .

مروان بن الحكم الأموي صهر عثمان زوج ابنته أم أبان، والأصح أن نسميه وزير الخليفة عثمان . أبوه الحكم بن العاص الذي طرده رسول الله(ص) من المدينة وحرم عليه دخولها لشدة إيذائه للرسول قولاً وفعلاً، وقال الرسول فيه أقوالاً حفظها التاريخ ورددها الناس . ولما توفي الرسول واستخلف أبو بكر سعى الأمويون بكل وسائلهم لدى أبي بكر للسماح له بالعودة إلى المدينة فأبى قائلاً : لا آوي طريد رسول الله . كما قاموا بنفس السعي والمحاولة بعد خلافة عمر فأبى قائلاً : لا آوي طريد رسول الله وطريد خليفته ، ولما آلت الخلافة إلى عثمان أعاده عزيزاً كريماً ، وألقى إلى ابنه مروان بمقاليد أمور الخلافة وإدارة شؤون الدولة والأمصار ومن هنا يبدأ دور مروان ، أو الدور الأموي في تكوين أسباب مقتل الخليفة(١).

انطلق مروان يحقق أحلام الأمويين في السيادة والزعامة والجاه والمال ، تلك الأحلام التي انكمشت واضمحلت بعد فتح مكة ، وبسط سلطة الإسلام أيام الرسول وخليفتيه أبي بكر وعمر .

يروي التاريخ أن أبى سفيان شيخ بني أمية دخل على عثمان بعد

---

(١) راجع الباب الثالث من كتاب (فضائل الخمسة من الصحاح الستة) وما جاء في مروان وأبيه وابنه

مبايعته بالخلافة قائلاً: أدرها – أي الخلافة – كما تدار الكره ، واجعل عمادها من بني أمية .

وتضيف بعض الرويات أنه قال أيضاً: أنـه الملك !! ولا أدري مـا جنة و لا نار!!

هذه الرواية دليل على مافي نفوس الأمويين من التطلع والتوق والشوق إلى الرئاسة ، والإستئثار بالثروة وإحتكار مصالح الأمة ، وقد تحقق لهم ذلك .

وحقق مروان بن الحكم رغبة ابي سفيان فاستأثر بكل شيء وسيطر على كل موارد الخلافة ، وأمور الخليفة مستغلاً قرابة الخليفة، وحبّه لأقاربه الأمويين ، ولينه ، وكبر سنه .

أخرج أحمد في المسند ٦٢/١ عن طريق سالم بن أبي الجعد : ان عثمان دعا نفراً من أصحاب رسول الله فيهم عمار بن ياسر فقال : أني سائلكم وأني أحب أن تصدقوني ، نشدتكم الله ، أتعلمون أن رسول اله كان يؤثر قريشاً على سائر العرب ، ويؤثر بني هاشم على سائر قريش ، فسكت القوم ، فقال عثمان : لو أن بيدي مفاتيح الجنة لأعطيتها بني أميه حتى يدخلوا عن أخرهم .

أنتدب مروان بن الحكم لولاية الأمصار أقاربه الأمويين ، وفيهم المرتدّ الذي اهدر الرسول دمه كعبد الله بن سرح أخ عثمان من

الرضاعة والوليد بن عقبة بن أبي معيط السكّير الذي صلى بالناس الصبح أربع ركعات وهو سكران ، وقال : إن شئتم زدتكم ، والغلام الذي لم يتجاوز الخامسة والعشرين من عمره كعبد الله بن كريز خال عثمان ، وكثيراً من امثال هؤلاء ممن لاصحبة لهم ، ولاتجربة ، ولا حصانة من خلق ودين !!

هذا نموذج من الولاة الذين أوكل إليهم عثمان إدارة الشؤون العامة والخاصة على مرأى ومسمع من أصحاب رسول الله الذين مات وهو راض عنهم ، وفيهم المبشرون بالجنة ، وأهل السابقة ، وأهل بدر، والأنصار والمهاجرون .

أما مابذله الخليفة على اقاربه من الأموال فقد حفلت به كتب التاريخ . ونشير هنا إلى بعضه للدلالة على مقدمات خاطئه ، انتهت إلى نتائج فاجعة .

١- منح أبو سفيان شيخ بني أمية مئة الف درهم(١).
٢- أعطى الحكم بن العاص طريد الرسول وابنه الحارث ثلثماية ألف.
٣- بذل لعبد الله بن خالد بن أبي أسيد الأموي ثلاثماية ألف .
٤- أكرم على كل واحد وفد مع خالد هذا مئة ألف .
٥- أعطى طلحة مئة ألف .
٦- أعطى الزبير بن العوام ستماية ألف .

---

(١) عبد السلام عبد المقصود في كتابه الإمام علي ج٢ ص٢٠-٢١

(٢) طه حسين الفتنة الكبرى ص ١٦٣ وأنساب الأشراف ٥/٢٧-٢٨ وطبقات ابن سعدا

٧- وأعطى سعيد بن العاص مئة ألف .
٨- منح كل واحد من أضهاره الثلاثة مئة ألف دينار(١) وغير هذا كثير .

اين هذا من حياة الرسول الزاهدة ، وحياة خليفتيه ؟؟ فقد روي أن أبا بكر لما استخلف عين له الصحابة مقدار، ما كان ينفقه على أهله قبل الخلافة ، وخصصوا له ثوباً يعيده إذا بلي ، ويأخذ بدلاً عنه ، وظهراً يركبه إذا ارتحل .

وروي عن عمر أنه حج ذات سنة وفي عودته سأل أبنه عبدالله كم انفقنا في حجنا هذا فقال ستة عشر دينارا فقال : لقد اسرفنا !
صحيح أن الفتوحات في عهد عثمان أفاءت على المسلمين أموالاً طائله، ولكنها من حق مال بيت المسلمين لتوزع عليهم أعطيات ، وليست حكراً وحصراً في أقارب عثمان .

أنها أفاعيل مروان ، ولكنها تنفق باسم عثمان كخليفة .

قال رسول الله : هلاك أمتي على يد أغيلمة سفهاء(٢)
وقال أبو هريرة : سمعت الصادق المصدوق يقول، هلكة أمتي على يد غلمة من قريش .

---

(١) طه حسين الفتنة الكبرى ص١٦٣، وأنساب الأشراف ٧/٥ - ٢٨ ، وطبقات ابن سعد

(٢) البخاري المجلد٤ ص٨٨

فقال مروان : لعنة الله عليهم غلمة ! فقال أبو هريرة ، لو شئت لقلت بني فلان ، وبني فلان(١)

ولما ثارت الأمصار احتجاجاً على ولاة عثمان، وحوصر في بيته جاء علي وطلحة والزبير وعبد الله بن عمر ،هم أهل الشورى والسابقة ،وجمعوا بين عثمان وبين الثائرين .الذين كان في أول مطالبيهم عزل هؤلاء الولاة الذين يحكمون وفق أهوائهم ، بعيدين عن عدالة الإسلام ومساواته ، والذين اقتصر همهم على استغلال الناس، واستنزاف أموالهم، وجمع الثروة والأستخفاف بالمقدسات، فاستجاب عثمان لكل مطالب الثائرين نزولاً عند رغبة صحابة الرسول، وكتبوا عهداً بذلك وقعه الطرفان وطلب ثوار مصر عزل ابن أبي سرح، وتولية محمد بن أبي بكر مكانه لما لأبيه الخليفة أبي بكر من مكانة وتقدير وحب في نفوس المصريين، وانفض الثائرون .

في طريق عودة ثوار مصر اكتشفوا مصادفة الكتاب الذي أرسله، عثمان مع غلامه، وفيه يطلب من الوالي ابن أبي سرح أن يعاقب الثائرين فور وصولهم، ويبقى على رأس عمله .

واصيب الثائرون بالدهشة ، وضاعت ثقتهم بالخليفة ، وما تعهد لهم به ، وعادوا من فورهم ، ومعهم الكتاب والغلام والبعير الذي كان يركبه .

---

(١) البخاري المجلد٤ ص٨٨

وفي المدينة اجتمع ثوار مصر بغيرهم من الثائرين الذين لم يكونوا غادروها بعد، وأطلعوهم على المكيدة التي أكتشفوها ، ودخلوا على عثمان وكاشفوه بالأمر فاعترف بأن الغلام غلامه ، والبعير بعيره، والخاتم خاتمه ، ولكنه لم يأمر بذلك ، ولم يؤخذ رأيه، ولا علم بشيء من كل ذلك، واقتنع الثائرون بصدق الخليفة ، ووضح لهم بأن القضية من تدبير مروان ، وطلبوا اليه تسليمه لهم فأبى، فتشددوا في الطلب، فتشدد في المنع، وكان هذا المنع سبباً مباشراً في مقتله على تلك الصورة الفاجعة كما ترويها المصادر التاريخية .

والى أفاعيل مروان ورهط مروان أشار المكزون مقارناً بين ماكان عليه العرب في جاهليتهم من الأخلاق ، وإلى ماانتهت اليه بعد الأسلام على يد مروان وغلمة قريش،

كانوا على الشرك يولون الجميل، ويحمون النزيل،ويرعون المواثيقا
حتى إذا ما نفى التوحيد شركهم بأحمد، واستبانوا الحق تحقيقا!
ولّوا غداة تولوا عن مكارمهم ومزقوا عدله بالجور تمزيقا

لقد مزق مروان ورهط مروان عدالة الإسلام .. الإسلام الذي لم يدخل الى نفوسهم، ولم يختلج في صدورهم ، ولم يعتلج في مشاعرهم، مزقوه بجورهم وشوهوه بفجورهم، وحاولوا القضاء عليه ببغيهم وغيهم وزورهم، وحادوا عنه الى ترفهم وقصورهم وأسلمهم غرورهم، وسوء امورهم إلى نهاية مصيرهم .

٢- عمرو بن العاص(١)

الشخصية الثانية في ليّ مسيرة التاريخ الاسلامي والتي هيأت وقود الفتنة ووظفتها لصالحها هو عمرو بن العاص .

أسلم عمرو بن العاص وخالد بن الوليد معاً في السنة السابعة للهجرة فهما إذن لم يهاجرا ولم ينصرا، ولم يشاركا في معارك الاسلام الأولى لكنهما شاركا في المعارك ضد الاسلام فخالد كان بطل معركة "أحد" التي الحقت بالمسلمين ابشع الهزائم .

هجا عمرو بن العاص الرسول وللرسول فيه أقوال ، وتعاون مع ابن أبي معيط في إيذاء الرسول مباشرة في بدء الدعوة ، وكان والده العاص يَشْنأ الرسول ويعيره ويطلق عليه اسم الأبتر اذ لم يكن للرسول ولد ذكر فأنزل الله : ان شانئك هو الأبتر .

عمروبن العاص من أكبر دهاة العرب، وأوسعهم حيلة ، وابرعهم خديعةً، وانفذهم في الأمور بصيرة ، وأقدرهم على الحركة في الملمات، وأصحهم رأياً في النازلات ، وقد استطاع بهذه الصفات ان يفلت ناجياً من اشراك قيصر والمقوقس في خبرين حفظهما لنا التاريخ ليس هنا محلهما . وهو الذي لوى عنان التاريخ في معارك صفين

---

(١) يراجع الهيثمي في المجمع ج٧ ص٢٤٧ و ج٩ ص٢٧٧ والذهبي ج٣ ص٣١١ كنز العمال ج٦ ص٨٨ وابن سعد ج٧ ص٥٥ القسم الأول ابن الأثير أسد الغابه ج٤ ص٣٨٧

وانتصر بمكره ، وبراعة حيلتـه، وعمق بصيرتـه ودقة تدبيره، على الهزيمة المحققة المحدقة بجيش الشام برفع المصاحف ودعوة الطرفين المتقاتلين إلى كتاب الله والرضاء بحكمه، فحقق من الهزيمة نصراً ، ومن المكيدة هدنة .. وأتم هذا المخطط في التحكيم ، ورفع صاحبه معاوية على سدة الملك .

كان عمرو بن العاص من أكبر المؤلبين على عثمان بعد أقصائه عن ولاية مصر، ولم يفتر عن التحريض عليه ولكن بطريقته الخاصة البارعة السرية التي يتقنها.

قال يوماً لعائشة : كنت أتمنى أن تقتلي في يوم الجمل ، فقالت لماذا ؟ لا أب لك قال : كنا نجعلك أكبر للتشنيع على علي بن أبي طالب(١).

ولما ظهرت بوادر الفتنة – الفتنة الكبرى كما يسميها الدكتور طه حسين – غادر المدينة إلى اعمال له في فلسطين ليكون بعيداً عن مسرح الأحداث المباشرة ، بعد أن هيأ لها وأدرك أبعادها !!

كان يقول : والله مالقيت راعياً إلا وحرضته على عثمان(٢) ، ولما بلغه مقتل عثمان قال لأبنه عبد الله : أنا أبوك ما حككت قرحة إلا أدميتها (٢)

---

(١) البلاذري الأنساب ٥/٧٤ الصراع بين الأمويين ومباديء الإسلام ص١٧٤

(٢) طه حسين الفتنة الكبرى ص٦٧-٦٨

لم يكن ابن العاص شجاعاً ، ولكنه كان حاذقاً وحكيماً، ذا رأي وخدعة ودهاء.

ويحتفظ التاريخ لنا بصورة مضحكة تدل على جبنه ورعادته، ولكنه وان احتفظ له بهذه الصورة فقد حفظ له بالمقابل ما كان يتمتع به من صفات – ذكرنا بعضها – تفوق بها على الكثيرين من الرجال .

روى المؤرخون ان معاوية في معارك " صفين " كان يجلس في سرادق يطل على المعركة يحيط به قادته وأنصاره ، وكان خصمه علي بن أبي طالب (١) ينزل إلى ميدان المعركة متنكراً يطلب المبارزة ، وهي طريقة فردية معروفة في حروب ذلك الزمن ، فتتحاشاه الفرسان لعلمهم انه علي .

وذات يوم قال معاوية لعمرو بن العاص : اكفنا شر هذا الفارس وهويعلم انه علي بينما ابن العاص لم يعلم ذلك ، ولم يسع عمرو أمام طلب معاوية المتحدي إلا أن يجيب .

توسط عمرو المضمار فاسفر الامام عن وجهه ، ولما عرفه عمرو اطلق العنان لجواده هارباً فوكزه الامام بكعب الرمح ، فالقى بنفسه على الأرض كاشفاً عورته ، فصرف الامام عنه وجهه .

---

(١) نور الأبصار للشبلنجي

رجع عمرو إلى سرادق معاوية خذلان ذليلاً ، فأخذ معاوية وجلساؤه يضحكون منه وكان بسر بن ارطأة أحد قادة معاوية البارزين قد مثل نفس الدور الذي قام به ابن العاص فقال الشاعر الحارث بن نصر السهمي هاجياً ومتهكماً ومعرضا بالأشخاص وواصفاً الواقعة

أفي كل يوم فارس بعد فارس ... له عورة تحت العجاجة بادية
يكفّ علاً عنه علي سنانه ... ويضحك منها في الخلاء معاوية
فقولاً لعمر وابن ارطاة انظرا ... سبيلكما، لا تقربا الليث ثانية
ولا تحمدا إلا الحيا وخصاكما ... فانهما والله للنفس واقيه
فلولاهما لم تنجيا من قناته ... وتلك بما فيها من العود كافية(١)

هذا هو ابن العاص استخدم ذكاءه ودهاءه ضد خليفة المسلمين الثالث، وضد الخليفة الرابع ليصل إلىغايته، مطبقاً مبدأ : الغاية تبّرر الوسيلة، قبل ان يصوغها "ميكافيلي" مبدأ سياسياً.

ولكن لا يفوتنا ان عمرو بن العاص قاد جيوش الأسلام على بطاح فلسطين وتم له فتحها ، وغزا مصر غزاته الموفقة التي وضعت في يده مفتاح افريقيا .

ونختم هذا البحث بما قاله عمرو بن العاص جواباً لمعاوية عندما سأله : صف لي مصر .
فقال ارضها ذهب ، ونساؤها لُعب ، وشعبها لمن غلب .

---

(١) نور الأبصار الشبلنجي

ونقول : ان عمرو في قوله هذا صور نفسه، أو نوازع نفسه، فهو لايرى من الحياة ولا في مصر على ما فيها – إلا الثروة، والشهوة، والقوة .

٢ - عائشة زوج الرسول .

عائشة أم المؤمنين ذات أثر بالغ وبعيد في التاريخ الإسلامي الديني والسياسي ويكفي للدلالة على الأثر الديني ما تحتفظ به كتب التاريخ وصحاح الأحاديث والسنن من الأحاديث النبوية المنسوبة إليها روايتها ، والأخبار المرواة عنها، وكانت الصحابة ترجع إليها في تثبت الرواية(١) وقد بلغت الأحاديث التي روتها ٢٢١٠ أحاديث وبذلك تأتي الثالثة بين خزنة الحديث ورواته أي بعد أبي هريرة ٥٣٧٤ حديثاً وأنس أبن مالك ٢٢٧٦ حديثاً .ولا غرابة في ذلك فقد رافقت النبي عشر سنين متوالية وكانت أثيرة لديه، وقد خصها بليلتين زيادة عن نصيب أزواجه منه .

تزوجها وعمره ٥٣ عاماً وكان عمرها ٩ سنوات على أكثر الروايات وتوفي عنها وعمره ٦٣ عاماً.

أما أثرها السياسي فيمتاز بقوة الشخصية، وما يرتبط بذلك من الجرأة، والصراحة بالرأي ، فقد قالت يوماً للرسول : أنت الذي تزعم

---

(١) أمهات المؤمنين اللواتي توفى الرسول عنهن تسع وهن عائشة، ميمونة، صفيه، حفصة، هند، زينب، جويرية، رملة، سودة، وبناته أربع وهن زينب، رقية، أم كلثوم، فاطمة الزهراء. والسؤال لماذا لا نجد في الصحاح والسنن المعتمدة لهن أحاديث عن النبي(ص) إلا نادراً؟؟. وكلهن عايشن النبي وآكلنه وشاربنه وتحدث اليهن، وحادثنه، وكذلك زوجته الأولى خديجة وكانت أثيرة عنده.
لماذا انفرزت عائشة بهذه الثروة من الأحاديث؟؟

أنك نبي الله (١) ويوم زواجه بزينب بنت جحش ونزول الآية : وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك، وتخفي في نفسك ما الله مبديه، فلما قضى زيد منها وطراً زوّجناكها لكيلا يكون على المؤمنين جرح في أزواج أدعيائهم ...الآية

قالت : ما أرى إلا أن ربك يسارع في رضاك .

وكانت تغار من خديجة كلما ذكرها الرسول وتناقشه بشأنها .

قال عمر بن الخطاب لصيهب لما شرع يبكيه عندما ضربه أبو لؤلؤة مولى المغيرة : أتبكي عليّ يا صهيب ، وقد قال رسول الله: إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه .

قال ابن عباس فذكرت ذلك لعائشة، فقالت: رحم الله عمر، والله ما حدث رسول الله، إن الله يعذب المؤمن ببكاء أهلة عليه.

وإلى هذه الواقعة أشار المكزون إلى خلاف الصحابة أحياناً في رواية الحديث قائلاً :

عن أحمد بالنوح فاروقكم روى عذاب الميت في القبتر

وأقسمت أن نبي الهدى ما قاله، بنت أبي بكر

وقبل وفاة عمر قالت له: أوص عليهم, ولا تدعهم بعدك هملاً , وهذا يدل على تدخلها بالسياسة العليا.

---

(١) الغزالي الأحياء ج٢ أدب النكاح وفي الباب ٩٤ من كتاب مكاشفة القلوب ص٢٣٨

ولقد أدرك الفاروق عمربن الخطاب قوة شخصية عائشة ومطامعها السياسية فمنعها من الخروج من المدينة وحتى للحج والعمرة (طبقات ابن سعد ٦/٣٧٠) .

كانت عائشة تدافع عن عثمان (مسند أحمد) ولكن عندما أنقص عطاءها (١) وسوّاها ببقية أزواج الرسول أمهات المؤمنين، إنقلبت عليه (٢) ووصفته بـ "نعثل" وقد بلغ من عدائها له : أنها دلت ثوب رسول الله من نافذة بيتها الملاصق للمسجد ، وصاحت بالمصلين وفيهم عدد من الصحابة، قائلةً : هذا ثوب رسول الله لم يبلَ، وقد أبلى عثمان سنته .

ولما سمعت بمقتل عثمان قالت: بعداً لنعثل وقتلاً . إيهٍ ذا الإصبع _تعني طلحة- إيه أبا شبل ، إيه إبن عم لكاني أنظر إلى إصبَعَه وهو يبايع (٣) وكانت إحدى أصابع يد طلحة اليمنى شلاء.

ملاحظة : يظهر من خبر إنقاص عثمان لعطاء عائشة أنها كانت تتقاضى زيادة ؟ أمن الرسول ؟ وليس هذا من العدل !! والرسول أعدل الناس ، أم أبوها ؟؟ أم عمر ؟ وهذان لا يحدثان أمراً بعد رسول الله بين أزواجه !!

---

(١) عائشة والسياسة ص٣٥

(٢) الطبري ٢/١٧٢

(٣) النهاية لابن الأثير ٥/١٨٠، تاج العروس ٨/١٤١، لسان العرب ٤/١٩٣، أنساب الأشراف ٢/٢١٧.

وبعد هذا العداء السافر لعثمان ، وتحديها له بذلك اللقب التي أطلقته عليه، نراها أول المطالبين بدمه، وأخرجت طلحة والزبير(١) أو أخرجاها بعد بيعتهما لعلي ، وقادت الجيش الناكث ، وسميت تلك الحرب حرب الجمل ، لأنها كانت تركب جملاً ، وهي أول حرب أقتتل فيها المسلمون، وأراقوا دماء بعضهم، وقد أشار المكزون بلسان الحال إلى الناكثين وإلى الجمل _ جمل عائشة وإلى هزيمتهم .

ولقد هزمت الناكثين لبيعتي لم عقرت بحّيهم جملاً رغا

وللعلامة سعيد الأفغاني كتاب بعنوان : عائشة والسياسة ، جاء فيه:

تزعمت معارضة عنيفة ، وزحزحت خليفة ، وحاولت نصب خليفة، وزعزعت أركان خليفة ، وقادت جموعاً، وخاضت حرباً.

ولكنها بعد حرب الجمل قالت : ياليتني كنت نسياً منسيا، أو ليتني كنت لقى في فلاة .

---

(١) كان الزبير بن العوام يطمع بولاية البصرة وطلحة بولاية الكوفة ولما لم يحقق لهما علي ما يطمعان به ويطمحان اليه نقضا بيعته وحارباه
(تاريخ الإسلام السياسي للدكتور حسن إبراهيم ج١ ص٣٤٥-٣٤٦)

وروى الهيثمي في مجمعه ج٩ ص١١٣ عن جميع بن عمير إن أمه وخالته دخلتا على عائشة، وقالتا أخبرينا عن علي، قالت عن أي شيء تسألاني ؟ عن رجل وضع من رسول الله موضعاً فسالت نفسه بيده فمسح بها وجهه .

وكانت إذا ذكرت حرب الجمل تبكي حتى يتبلل خمارها وكذالك إذا قرأت : وقرن في بيوتكن (١).

---

(١) السيوطي في الدر المنثور

أسباب عداء عائشة لعلي

عائشة هي الزوجة الثالثة للرسول أي بعد خديجة، وسودة بنت زمعة دخلت بيت الرسول فوجدت منافسيها أو مشاركيها ومثيري غيرتها في حب الرسول .

١- فاطمة إبنته، وهي أحب الناس إليه وأقربهم من قلبه .

٢- علي بن أبي طالب ربيبه، وإبن عمه، "وصهره " والأثير لديه .

٣- ولداهما الحسن والحسين، قرة عين الرسول،

٤- ذكرى خديجة - الضرة بعد الموت - التي كان الرسول يذكرها كثيراً .

٥- رأي علي في طلاقها يوم حديث الأفك .

٦- وزاد في الأمر زواج علي بأسماء بنت عميس زوجة أبيها، بعد وفاته ونشأة أخيها محمد بن أبي بكرفي كنفه .

٧- إخفاقها في إستخلاف طلحة إبن عمها، وفوز علي بالخلافة بدلاً منه .

كل ذلك كان مدعاة لغيرتها . ومشكلاً لحقدها، ولما كان علي محور هذه الأمور فقد إنصب حقدها عليه وأعلنت عداءها له .

قالت مرة وقد خلا الرسول وقتاً طويلاً مع علي : ليس لي من رسول الله الا ليلة واحدة من تسع فهل لك أن تدعها لي يا إبن أبي طالب؟؟

قالت للرسول وقد ذكرت خديجة :لقد أبدلك الله خيراً منها ووصفتها بالعجوز الحمراء الشدقين .

فأجابها الرسوالكريم بما لا يرضيها .

ولما بلغها إنتقال الخلافة إلى علي قالت : لو أن هذه وأشارت إلى السماء إنطبقت على هذه وأشارت إلى الأرض لكان الأمر أهون علي من ذلك !!

وقالت عن عثمان لقد قتله علي بن أبي طالب، والله لأنملة أو ليلة من عثمان خير من علي الدهر كله(١) .

بعض هذه الأسباب لها ما يبررها بالنسبة لنفسية المرآة، وما خرجت أم المؤمنين عن كونها إمرآة لها طبيعتها، ولكن تبقى قيادة المعسكر ، وركوب "عسكر" (٢) لاتنطبق على الآية : وقرن في بيوتكن.

ولعل أمير الشعراء أحمد شوقي خير من لخص سيرة السيدة ووصف طبعها وطبيعتها ، وحبّها وبغضها، وغيرتها ، وحقدها على

---

(١) الطبري ١٧٤/٥، تذكرة الخواص ٦٤، الكامل في التاريخ ١٠٥/٣ ، الأنساب ٩١٨/٥

(٢) عسكر اسم الجمل الذي ركبته عائشة في حرب الجمل

علي بن أبي طالب فلنستمع إليه يخاطب الأمام :

ياجبلاً تأبى الجبـال مـا حمـــلْ	ماذا رمت عليك ربّة الجمـــل؟؟
أثأر عثمـان الـذي شجاهـــا	أم غصّـة لـم ينتزع شجـاهـــا
قضيـــة مـن دمـــه تبغيهـــا	هبت لهـا وإستنفـرت بنيهـــا
ذلك فتق لـم يكـن بـالبـــال	كيـد النسـاء موهـن الجبـــال
وإن أم المؤمنيـن لإمـــرآة	وإن تَكُ الطـاهـرة المبـــرأه
اخرجهـا من ركنّهـا وسنّهـا	ما لم يَزُل طول المدى من ضغنها
جهـزهـا طلحـة والزّبيُـر	ثلاثة فيهـم هـدى وخيـرُ(١)
صاحبـة الهـادي وصاحبـاه	فكيـف يمضـون لمـا يأبـاه؟؟
ياليت شعري هل تعدوا وبغـوا	أم دم ذي النورين بالحق بغـوا؟؟
وجاء بالأسـد أبـو تـراب	علـى متـون الضمـّر العـراب
يرجو لصـدع المؤمنين رأبـا	وأمهـم تدفعـه ، وتـأبـى
وظفـرت ألويـة الإمـام	وألقت البصـرة بالزمـام

ولقد أمد الأمويون عائشة بالسلاح والرجال، ولولا خروجها ما ضعف موقف علي بن أبي طالب ، وقوي موقف معاوية بن أبي سفيان وأصبح ملكاً (٢) .

---

(١) كان طلحة يطمع بولاية البصرة، والزبير يطمع بولاية مصر، ولما لم يحقق لهما علي مطلبهما نقضا بيعتهما له وخرجا عليه، وهما من المبشرين بالجنة.

(٢) عائشة والسياسة ص٣٠٠ للأفغاني

التصوف

لايستطيع من يدرس أشعار المكزون السنجاري النفاذ إلى خفايا مضامينها ودقة إشاراتها ورقيق عباراتها وبعد مقاصدها إلا من درس التصوف الإسلامي دراسة معمقة وتتبع تاريخه ومناهجه ومدارسه وحياة أعلامه وسلوك أبنائه،وسبق لنا أن أوردنا شيأ من ذلك في كتابنا المكزون السنجاري الجزء الأول وأفردنا له بحثاً خاصاً وأستعرضنا فيه مجموعة من أعلامه وما قيل في التصوف وحياة سالكيه ونشرنا قاموساً بمصطلحاتهم لأن للقوم لغة خاصة تحمل رموزاً وأشارات تختلف عن معاني الألفاظ المباشرة ويستحيل فهمهم أن لم تعلم مرامي هذه اللغة .

واليوم نضيف إلى ما سبق لنا نشره ونتدارك ما فاتنا خطره وذكره، ونأمل أن يجد القراء في هذا العرض التاريخي للتصوف ما يشبع تطلعهم ويغني نفوسهم من هذه الثروة الروحية في هذا العصر المادي الذي أوشك أن يطفىءجذوة الروح ، وجل إعتمادنا على الكتب لخاصة ، والموسوعات العامة ،
ومنها الموسوعة العربية الميسرة .

التصوف لغة : مشتق من فعل " تصوّف " أي لبس الصوف ، كما يقال تقمص لبي القميص وتدّرع أي لبس الدرع .

وإصطلاحاً : هو منزع علمي وعملي نزعت إليه الحياة الروحية الإسلامية منذ أول نشأتها في صدر الإسلام وعلى تعاقب الأطوار التي مرت بها في تطورها التاريخي فالتصوف بهذا المعنى هو مرآة هذه الحياة الروحية الإسلامية التي يخضع فيها الإنسان نفسه لألوان من الرياضة والمجاهدة ، ويعدّ فيها قلبه لمعرفة الحقائق من طريق الكشف والمشاهدة .

وإذا كنا نتحدث هنا عن نشوء التصوف الإسلامي ومقاصده فلا يعني أننا نجعل هذه الظاهرة – ظاهرة التصوف – محصورة في الإسلام وإنها لم تعرف أو تمارس قبل الإسلام بل إننا نقول ونؤمن ونعرف أن التصوف معروف كنزعة زهدية وممارسات عملية عند كثير من الشعوب كالهند واليونان والفرس وغيرهم ولكننا هنا نحصر بحثنا في الإسلام لأن الشاعر الذي ندرس آثاره هو من متصوفي الإسلام في القرن السابع الهجري وهذه المرحلة حفلت بالتصوف والمتصوفين . وأشعارهم وآثارهم .

التصوف الإسلامي يقوم أولاً على ما أقتدى به المسلمون الأول بالنبي (ص) في غار حراء قبل البعثة وفيما كان يقبل عليه ويأخذ به نفسه بعد البعثة وإبّانها .

لكن هذه الحياة ذات النزعة الزاهدة التي عاشها الرسول وأصحابه الأولون مالبثت بحكم أتصال العرب المسلمين بغيرهم من الأمم ذات الحضارة أن اختلطت فيها عناصر دينية وفلسفية تحوّل معها التصوف

الذي يمثل الحياة الروحية الاسلامية إلى علم لبواطن القلوب ثم إلى فلسفة روحيّة بعد أن كان في أول عهده تصفيةً للنفوس وتطهيراً للقلوب . أي أن التصوف الإسلامي قدانطوى في تطوره على عناصر نظرية وعملية وروحيه تكشف دراستها عن قواعده في السلوك ومبادئه في الأخلاق ، ومناهجة في تذوق الحقائق ومعرفة الدقائق . ولاسيما ماكان متصلاً بمعرفة الحقيقة العلمية أو الذات الإلهية التي يعدّها الصوفية المتفلسفون المنبع الفياض لكل ما يتجلى في الكون من آيات الحق والخير والجمال.

وعكفت على الحياة الروحيه طوائف شتى من المسلمين وتسمى كل فريق منهم باسم

١- تسمى أفاضل المسلمين بعد الرسول الله (ص) بالصحابة.

٢- تسمى من صحب الصحابة بالتابعين.

٣-تسمى من بعدهم باتباع التابعين

٤-تسمى من عنوابعد هؤلاء بأمور الذين بالزّهاد أو العبّاد أو النسّاك.

٥-ولما افتتن الناس بالدنيا وظهر الترف بعد اتساع ملك المسلمين سمي المقبلون على الله المنصرفون عن زخرف الدنيا وملاذها ومتعتها باسم الصوفية (١).

---

(١) راجع الرسالة القشيرية

وعند أواخر القرن الثاني للهجرة صار هذا الاسم عاماً يميز به السالكون طريق الله من خواص المسلمين عن غيرهم من عامة المتدينين وعن غيرهم من علماء الظاهر المشتغلين بالدين وللباحثين والمؤرخين القدامى، وللمتأخرين آراء مختلفة في أصل كلمة «صوفي» وأرجح هذه الآراء هو أن الصوفي نسبة إلى الصوف الذي اختص الصوفية بلبسه تمييزاً لهم عمن يلبسون فاخر الثياب ممن فتنتهم الدنيا، وهذا يعطينا رأياً جديداً في فهم بعض دوافع التصوف في الاسلام، وهو ردّ الفعل على الحياة المترفة اللاهية، وانغماس المجتمع في الملاذ، والركض وراء الحطام الزائل.

وللصوفي والتصوف تعريفات عديدة عرف بها بعض الصوفية انفسهم (١) وأبو علي الروز بادي يقول: الصوفيّ من لبس الصوف على الصفا، واطعم الهوى ذوق الجفا، وكانت الدنيا منه على القفا، وسلك منهج المصطفى.

ومن تعريفات التصوف قول الجنيد: التصوف تصفية القلب من موافقة البرّية، ومفارقة الأخلاق الطبيعية ، واخماد الصفات البشرية، ومجانبة الدواعي النفسانية، ومنازلة الصفات الروحانية، والتعلق بالعلوم الحقيقية، واستعمال ما هو أولى على الابدية، والنصح لجميع الأمة، والوفاء لله على الحقيقة، واتباع الرسول في الشريعة.

---

(١) راجع التعرف على منهج أهل التصوف للكلاباذي

والتصوف في تكونه العلمي أحد قسمَيْ علم الشريعة الذي انقسم في تطوره إلى علمين: علم اختص به الفقهاء في الاحكام العامة والعبادات والمعاملات ويسمى بعلم «الظاهر» وعلم اختص به الصوفية وأهل «الباطن» ويشتمل على أحوالهم وأحكامهم في المراقبات والمحاسبات والرياضة والمجاهدة والاذواق والمواجيد(١) وغير ذلك مما يتصل ببواطن القلوب، ولذلك سمي هذا العلم بعلم «الباطن» ونظر الصوفية إلى انفسهم على أنهم أهل أرباب الحقائق، وأهل الباطن، ونظروا إلى العلماء والفقهاء على أنهم أهل ظواهر ورسوم، كما نظر الفقهاء إلى الصوفية نظرة سخط وإعراض كما يتبين من تاريخ الصراع بين الفقهاء والصوفية منذ القرن الثالث الهجري، ولقد أوذي في هذا الصراع كثير من الصوفية مثل ذي النون المصري، والحسين بن منصور الحلاج المصلوب، والسهروردي المقتول والنسيمي المسلوخ، ومحي الدين بن عربي.

ولكن الغزالي استطاع ببراعته، وحرارة ايمانه أن يحبّب أهل السنة بالتصوف، اذ جعل منه طريقاً ذوقياً روحياً للمعرفة اليقينية. والسعادة الحقيقية، وبالتالي اسمى من علم الكلام الذي لايزيل شكّاً، وارفع من الفلسفة التي لاتحقق معرفة، ولاسعادة، ولذلك آثر الغزالي التصوف على غيره من العلوم لأن جميع حركات الصوفية من ظاهرهم وباطنهم هي عنده مقتبسة من نور مشكاة النبوة الذي ليس وراءه على وجه الأرض نور يستضاء به علماً أن التصوف الذي

---

(١) راجع كتابنا المكزون السنجاري ج٢ الأحوال والمقامات

انتهى على يد الغزالي إلى طريق المعرفة والسعادة. مخالف لطريق المتكلمين والفلاسفة، وقد اختلط في القرنين السادس والسابع للهجرة بعناصر كلامية وفلسفية فاصطبغت المواجيد والأذواق الصوفية، بصبغة الانظار والمذاهب الفلسفية، وكان من ذلك فلسفة صوفية كتلك التي تجدها عند السهروردي المقتول في حكمته الاشراقية، وعند ابن عربي في وحدته الوجودية وعند ابن الفارض في حبه الالهي ووحدته الشهودية، وعند ابن سبعين في وحدته المطلقة.

وجاء بعد هؤلاء الصوفيين المتفلسفين طائفة من الصوفية وقفوا بالتصوف عند حد الشرح والتعليق على باقي مصنفات المتقدمين، ومن هؤلاء عبد الرزاق القاشاني ١٣٣٨ الذي شرح فصوص الحكم لابن عربي والتائية الكبرى لابن الفارض، وعبد الغني النابلسي الذي شرح فصوص الحكم أيضاً، كما شرح ديوان ابن الفارض بكتاب عنوانه كشف السر الغامض.

وظهرت طائفة آخرى تأثرت بمذاهب المتقدمين، ووضعت مذاهبهم في صور جديدة أضيفت اليها عناصر طريفة كما فعل عبد الكريم الجيلي في كتابه «الإنسان الكامل» الذي تأثر فيه مذهب ابن عربي في وحدة الوجود، وكما فعل عبد الوهاب الشعراني في كتبه الكثيرة التي لخص فيها مذهب ابن عربي، ومذاهب غيره من الصوفية مثل كتابه «اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الاكابر» وكتابه الكبريت الأحمر في بيان علوم الشيخ الأكبر، وكتاب الطبقات الكبرى.

وإلى جانب هذه الحركات الصوفية ذات الطابع العلمي والفلسفي كانت هناك حركات عملية تتمثل في الطرق الصوفية التي نشأت في القرن الثالث للهجرة، وظلت تظهر على مر العصور وحتى الآن، وقوامها الشيوخ الذي يلتف حولهم مريدوهم يسلكون طريق الله، على وجه يحققون فيه كمال العلم والعمل. ومن هذه الطرق الطريقة «السقطية» نسبة إلى السري السقطي، و«الطيفورية» نسبة إلى ابي يزيد طيفور البسطامي، و«الجنيدية» نسبة إلى ابي القاسم الجنيد، و«الملامتية» و«القصارية» نسبة إلى حمدون القصار، و «القادرية» نسبة إلى عبد القادر الجيلي، و«الرفاعية» إلى أحمد الرفاعي، و«البدوية» نسبة إلى أحمد البدوي.

والتصوف بما فيه من علم وعمل قد استقى مبادئه الأولى من مصادر اسلامية في مقدمتها القرآن الكريم، وسنة الرسول العظيم، لامن مصادر يونانية، أو فارسية، أو هندية، أو مسيحية كما يرى فريق من المستشرقين الذين يريدون أن يسلبوا الاسلام كل عطاءاته وفي كل المجالات.

وليس بيسير أن يدرس التصوف دراسة علمية موضوعية لأنه يقوم في قسط كبير منه على احساس ووجدان، وكشف والهام، وهذه لاندركها على نحو ما صورها المتصوفة أنفسهم، ولهم دراسات في الاحوال والمقامات شبيهة بالدراسات السيكولوجية، وإن أنكر بعض علماء النفس التصوف من أساسه، ومما يزيد التصوف صعوبة غموض ألفاظه، وتعقد عبارته، كما يلجأ المتصوفه إلى الرمز والمجاز

فتصبح لهم لغة شبه مستقلة لايفهمها الا الخاصة، ولقد أشار المكزون إلى ذلك

علم التصوف ليس يدرك بالإشارة والعبارة
إلاّبقلبٍ مخلـــص بالـــروح ملقيهـــا اماره
فجلا اليقين الظّن عنـه بحقه وجـــلا غُباره

وفيها تعبيرات أحياناً غير لائقة لاترضي أهل الظاهر مما جر على المتصوفة وأهل الباطن ايذاء وعنتاً.

وهناك اتجاهان متقابلان في نظر المتصوفة يذهب أحدهما إلى أن الله سام متعالٍ وعلى المتصوف أن يجد ويجتهد ويصفي نفسه، ويصعد مَرتبته حتى يصل اليه.

ويقوم الاتجاه الثاني على أن الحقيقة الأزلية كامنة في أعماق النفس، وغير منفصلة عنها، وكل هم المتصوف أن يتعمق ذاته كي ينفذ إلى الحقيقة الكبرى.

وتصوف الافلاطونية الحديثة يتمشى مع الاتجاه الأول، فهو تصوف يتدرج صاعداً. في حين أن بعض الفرق البروتستانتية تنحو المنحى الثاني، وتصوفها متعمق نازل.

ولكن مذاهب التصوف في اليهودية، والمسيحية، والاسلام، بوجه عام تنحو المنحيين وتأخذ بالاتجاهين، والله في نظرها جميعاً متعالٍ، ونافذ إلى أعماق النفوس، غير منفصل عنها، والوصول اليه من الداخل والخارج.

للتصوف في الجملة مسيحياً كان أو اسلاميّاً مراتب يبدأ المتصوف فيه بتطهير نفسه من الدنس والأقذار، والاهواء والنزعات المنحرفة، بحيث يصبح اهلاً للتجلي، وما التجلي الاشعور بمزيد من محبة الله، والقرب منه، وكلما قوي هذا الشعور اطّرد رقيّ النفس، حتى تحّس بوجود الله في قرارها، بل باتحادها به،'اتحاداً كليّاً. (ابن عربي- البسطامي) ولايسلم هذا التدرج من أزمات وصعوبات،قد يضل المزيد فيها، ويأس من رحمة الله، ويشعر بحزن ويأس، وربما كان هذا اختباراً، فإن نجا من محنته نعم بالبهجة الكاملة، والسرور التام.

ويمتاز التصوف المسيحي، برغبة تامة في خدمة الغير، وتعّرف خفايا نفوسهم، إلى جانب الاتصال بالله، وفي هّذا مايبعده عن التصوف الهندي الذي ينحو منحى عدم الاكثرات بالغير.

ورغم أن متصّوفة المسيحيين يعتمدون جميعاً على الانجيل، وتعاليم الكنيسة ، فإنهم ينقسمون إلى فرق وطوائف ، تبعاً لبيئتهم، ومسلكهم في الحياة، ومن هنا كان التصوف البندكتيني والكرملي، والدومنيكي والفرنسيسكاني واليسوعي...الخ ولسنا بحاجة أن نشير إلى أن الرهبنة ضرب من التصوف، ولكنها تتميز فيما بينها أحياناً (١)

---

(١) من الموسوعة الميسرة بتصرف

المفترون على المكزون

وعلى التاريخ

١-الحسيني عبد الله	في كتابه الجذور التاريخية
٢-الدكتور عزت حسن	في فهرست مخطوطات الظاهرية
٣-أنور الجندي	في كتابه الشعوبية الجديدة

المنصفون المكزون

والتاريخ

١-الدكتور مصطفى محمود	في كتابه الوجود والعدم
٢-الزركلي	في كتابه الاعلام
٣-رجب البرسي	في كتابه مشارق انوار اليقين

١- الحسيني عبد الله

هذا الاسم والكنية مجهولان لدينا، فلم نقرأه كاتباً ولاشاعراً، ولا مؤرخاً، والذي يلوح لنا بل نجزم به إنه أسم مستعار كغيره من الكثيرين الذين يتخفّون وراء أسماء مستعارة لما يحسّون ويشعرون من فداحة مايعملون، وحماقة مايكتبون، وعواقب مايثيرون ، من الفتن، ويجترحون بحق وطنهم وأمتهم من الآثام!!

واننا على يقين، وصحة اعتقاد، أنه لم يقرأ المكزون، ولايعلم عن شعره وأدبه وتصوفه وشخصيته المميزة أي شيىء، وانما قرأ شيئاً مما كتبناه عنه ، فجاء تعليقه علينا، وعلى ماكتبناه نحن والدكتور أسعد علي متهافتاً لايحطّ من قيمتنا، وقيمة ما كتبنا عن المكزون، ولايرفع من قيمة ماكتب عنا.

كثيرون هم الذين يتصدون لنقد آثار الآخرين ، وجميل أن يتصدى النقد لكل الآثار الأدبية التي تطالعنا بها دور النشر، وأجمل منه أن يكون المتصدّي موضوعياً ونزيهاً، ولكن هناك من يدفعهم حبّ الظهور، وتَورّم الذات ، فكيف اذا اجتمع هذان وأضيفت اليهما النوازع النفسية الحاقدة من الذين لايرون الاأنفسهم ، ولايؤمنون الابأفكارهم، ولايختزنون في صدورهم الا الشحناء لمن لايشاركهم تفكيرهم، وما يرون ويعتقدون، وسنرى أكثر من نموذج من هؤلاء في ما سيأتي:

يشير هذا «الحسيني» في كتابه «الجذور التاريخية» الى قصة «درة الصدف» ابنة سعد الأنصار، وإلى تحريضها الغازي المجتاح

«تيمور لنك» على أهل الشام، والايقاع بهم، ويعلم تاريخياً أن هذا الغازي الغاشم أنزل بكل بلد حلها واحتلها أشأم النازلات، وسام أهلها الخسف والاذلال وتجاوز في عمله الوحشي كل الحدود، وقد يبيح المدن، ويحرق المساجد - وهو المسلم كما يدعي - ويبيد كل معالم الحضارة فيها، ويقتل ويمثّل، ويبيح كل المقدسات والحرمات، ولكن ما علاقة كل ذلك بالنصيرية؟ ماذنبهم اذا امرأة موتورة - هذا أن صحت الرواية حرّضت غازياً بربريّا متوحشاً على مدينة آمنة مطمئنة؟؟ ماعلاقة النصيرية اذا اتخذ هذا المجتاح من تحريض هذه المرأة وسيلةً وذريعة للقتل والنّهب والتخريب؟ واتخذت هذه المرأة منه ذريعةً وأداةً انتقام. مع أنه يقول- أي الحسيني نفسه- أن سعد الأنصار هو من أعوان الملك الظاهر.

وما علاقة النصيرية بنصير الدين الطوسي وهو وزير الخليفة العباسي؟؟

وما علاقتهم بهولاكو المغولي - التتري- الذي قتل الخليفة العباسي، واجتاح بغداد عاصمة الخلافة الاسلامية يومذاك؟؟

لاعلاقة ولاصلة للنصيرية - العلويين- بكل ذلك ، ولكن صاحبنا بحاجة إلى تفسير ذلك الخزيان والخذلان لكيل التهم للأبرياء ، وهذه طريقة معروفة لدى الكثيرين من كتبة التاريخ قديماً وحديثا ً،

قصة درة الصدف- ان صح وقوعها - اتخذ منها السيد الحسيني تكأة ومنطلقاً ليقحم أسم النصيرية اقحاماً ليحملهم وزر وتبعات حوادث تاريخية هم منها براء، وبرءآء، ولايستطيع- ولن يستطيع -مهما

حاول وفحّص، ونقّب، وكد ذهنه وأتعب، وشرّق في التاريخ وغرّب، وصعد في الأرض وصوب أن يوثق أقواله. أو يسوق عليها أيّه دلالة، وهذا يدل القاريء - كل قاريء- على مدى نزاهة القصد، وحياد البحث، وأمانة التاريخ عند هذا المؤرخ، وليس لديه في هذه القضية من سند إلامدّعاه، وهذا ما أشار اليه المكزون، وسبق تدوينه في قوله:

ومن بحقّ أحق منا ومدّعانا لنا الدّليلُ

ونجد أنفسنا مضطرين، وغير مختارين، لأن نضع أمام أنظار السّيد الحسيني، وأمام القراء بعض الأحداث التاريخية الموثقة بالزمان، والمكان، والأشخاص، وفيهم الخلفاء الملوك، والولاة، والقادة وكلهم رجال تجاوزواحدرة الصدف>الامرأة في الكيد لبني قومهم، ودينهم، لتحقيق أغراضهم، ولا يجهلهم السيد الحسيني ولكنه يتجاهلهم!!

١-معاوية بن أبي سفيان هادن هرقلاً عدّو العرب والمسلمين، لقاءّ دارهم دفعها الوالي المسلم من اموال المسلمين، ليتفرغ لحرب علّي بن أبي طالب خليفة المسلمين، وابن عم رسولهم(١)

٢-وعين ما فعله معاوية فعله عبد الملك بن مروان، ليتفرغ لحرب عبد الله بن الزبير (٢)

٣-وهذا عين مافعله هرون الرّشيد مع شارلمان عدوّ المسلمين في الاندلس

٤-لجأ قبجق المنصوري، إلى غازان ملك التتر، وزّين له اجتياح الشام، وفعل غازان ماأشار به عليه، وانهزم في المعركة سلطان مصر

---

(١) لتوثيق الأرقام (١) (٢) تراجع المصادر التالية: الطبري، البلاذري، الأدب الجاهلي لطه حسين وذيل الصفحة ٣٩ من الأدب الجاهلي

والشام، تلك المعركة المسماة بمعركة «وادي الخزندار» قرب «حلمية»

٥-في سنة ٧١٢ اتصل «آقوش الأفرم» والي دمشق، فطرابلس، بملك التتر «خربندة» والتحق به والي دمشق «قراسنقر» فأقطعه ملك التتر همدان، وأقطع قراسنقر مراغة، وعملا معاً على أقناع ملك التتر بالحملة على دمشق، وزينا له احتلالها.

وآقوش هذا هو الذي جهز حملة على بلاد كسروان في لبنان لابادة أهلها بعد أن أفتى له ابن تيمية باستحلال دمائهم، وأموالهم، وسبي نسائهم، واسترقاق ابنائهم، حتى وفي قطع أشجارهم، واتلاف زروعهم، وشارك في هذه الحملة «الانسانية» ابن تيمية بنفسه.

وهكذا انتهى الأمر بآقوش إلى الخيانة العظمى، وسفك دماء المسلمين!!

٦-وفي سنة ٦٣٨ تآمر «الصالح» اسماعيل مع الصليبيين ضد عمه الصالح نجم الدين أيوب، وتجهز مع الصليبيين لغزو مصر بعد أن أعطى الصليبيين قلعه الشقيف، وصيدا وقلعة صفد، وطبريا، وجبل عاملة، وسائر بلاد الساحل لقاء تعاونهم معه ضد عمه الصالح نجم الدين أيوب.

٧-وفي عام ٦٤١ جهز «الصالح» اسماعيل جيشاً شارك فيه صاحب حمص، وصاحب حماه، و انضم الجميع إلى المعسكر الصليبي في حصن عكا، وساروا إلى غزة لمحاربة الجيش المصري الذي انضمت اليه الجنود الخوازرمية.(١)

---

(١) المقريزي

يقول: المقريزي: أن الفرنج رفعوا الصليب على معسكر دمشق، وفوق رأس الملك المنصور صاحب حمص!!

وفي المعركة الطاحنة انحازت عساكر الشامّ إلى الجيش المصري ضد أمرائهم الخونة، وتم النصر للجيش المصري.

فهل يدرك السيد الحسيني كم كانت كثيرة ، وفاجعة، وواجعة خيانة الكثيرين من اشباه الرجال، ودرة الصدف، ونسأله: هل هولاء من النصيرية؟ ورحم الله الذين يخجلون!!

وعلق السيد الحسيني في ذيل الصفحة ٧٨ -٨٧ قائلا: يبدو أن بعض المثقفين ينسلخون من هذه المعتقدات لسخفها!! ويقصد مالفقه وزيّفه وأورده عن العلويين- بينما- والقول للحسيني - يلجأ بعضهم إلى صياغتها في قالب فلسفي تمهيداً لنشرها، والدعوة اليها، كما يتضح من المؤلفات التالية:

١-المكزون السنجاري لاسعد علي

٢-المنتجب العاني لاسعد علي

٣-المكزون السنجاري لحامد حسن

٤-مابعد القمر لعلي(؟) حيدر

ونحن بدورنا نسأله وبكل مانقتضيه صيغة السؤال من إلحاح، والحاف، وتهذيب!!

١-من هم المثقفون الذين ينسلخون- على حد تعبيره-؟ واين هم

٢-اين هي السخافات التي اشار اليها؟؟
٣-لماذا لم يناقش- وبطريقة موضوعية هذه المؤلفات التي يحاول أصحابها صياغتها بقالب فلسفي تمهيداً لنشرها، والدعوة اليها؟؟

وعلق هذا «الحسيني» في ذيل الصفحة ١٤٨ قائلا: يقول النصيرية: بأن الخلق تم بفيض النور ونظرية الفيض هذه أوردها حامد حسن في كتابه المكزون السنجاري الجزء الثاني!!.

جاء في الجزء الثاني من كتابي المكزون السنجاري تحت عنوان المدرسة الاشراقية. الاشراق والفيض يعطيان معنى لغويا واحداً.

لم أقل محدداً، أو معتقداً أن الخلق تم بفيض النور، وانما أوردت اراء الفلاسفة في «نظريةالفيض» والاشراق، ومنهم افلاطون وأفلوطين والفارابي وابن سينا وابن عربي، وابن طفيل وابن سبعين، والسهروردي، فاذا لم ترضه آراء هؤلاء الفلاسفة من يونانيين واسلاميين فذلك له وراجع اليه.

ونستنتج من آرائه التي تدور في فلك مذهبي تقليدي ضيق، بأنه لايؤمن بمعطيات العقل، ولابالفلسفة بنت العقل، وانما مذهبه النقل- على علاته - بعيداً عن رقابة العقل، والعقل الذي امتدحه القرآن الكريم، واثنى عليه الخلاق العظيم، في ٤٠ آيه من آياته البينات، وانقسم الناس لذلك إلى قوم يعقلون وقوم يجهلون ولايعقلون.

واننا اذا قدسنا العقل لماورد في الكتاب الكريم، واحتكمنا اليه في معضلات الفكر فلا يعني – والعياذ بالله – باننا ننكر أو نتنكر لصحيح النقل.. ولكن نشترط لصحة النقل التواتر، أو أن ينطبق على قاعدة عامة من كليات القرآن، أما أقوال الرجال – بعض الرجال– فهي عرضة للخطأ والصواب. وكل أقوال لاتدخل أو تنطوي تحت كليات القرآن فمردودة في رأينا، وحسبنا ما في تراثنا من الاسرائليات والأحاديث الموضوعة!!

ويقول في الصفحة ٧٤ قال القدماء (؟) هم اتباع نصير غلام علي بن أبي طالب لقد جاء بهذا الزعم نقلاً عن عبد الرحمن بدوي في كتابه مذاهب الاسلامين الجزء الثاني

واننا نسأله من هم القدماء الذين جعلوا لعلي بن أبي طالب غلاماً اسمه نصير فالمراجع التاريخية لم تورد هذا الاسم

وعلق في ذيل الصفحة ١٣٧ قائلاً: توجد مفهومات عند النصيرية آخرى للصيام وجميعها تبيح الطعام والشراب في نهار رمضان. ويقول: انظر كتاب المكزون السنجاري تأليف حامد حسن ج٢

واجيب : دعوى بدون بينة، وصاحبها دعيّ ، وذكرني هذا القول بطريقة المستشرق لامنس اليسوعي الذي درج في كتبه عن الاسلام وخاصة في كتابه «بنات النبي» على طريقة لم يسبقه إليها أحد ، ولايبررها عرف ، ولاقانون ، ولاضمير، وهي الاشارة إلى مصادر غير موجودة مطلقاً ، وانما يوردها كذباً ليدعم رأيه وليعتبرها القراء وثائق!!

فهلا أشار صاحبنا إلى الصفحة التي ورد فيها ما يزعمه ليدفع عن نفسه تهمة التشويش ومظنة الافتراء.إن ارسال الكلام على عواهنه، وكيل التهم جزافاً، والعقوبة بلا جريرة كل هذا تعودناه من أمثاله عبر التاريخ قديماً وحديثاً، وهنا نجد انفسنا مساقة للاشهاد بقول الشاعر المكزون

قد بدت البغضاء منهم لنا كما لهم منا بدا الحب

وما لنا الا موالاتنا لآل طه عندهم ذنب

هذا ما قاله الشاعر في مطلع القرن السابع الهجري، وهذا مانردده نحن في مفتتح القرن الخامس عشر الهجري، وما أشبه الليلة بالبارحة، فتاريخ هذه الأمة ثابت متمرد على حركة الحياة. والزمن.

٢- أنور الجندي

وهذا كاتب بليغ العبارة، واضح الأسلوب، صحيح اللغة، واسع الاطلاع، لكنه مشدود العاطفة كأقوى ما يكون إلى الماضي، بكل ماتعنيه لفظة الماضي فكراً وتاريخاً وثقافة ودعوةً وهذا لايعيبه، لكنه يتنكر- وبعناد واصرار- لكل عطاءات الحاضر، والحياة المعاصرة، ولايرى في هذا الحاضر ما يغني الفكر ، أو يثري الثقافة ، أو يترف ذوق الدارسين ، وطالبي المعرفة.

ينكر ويتنكر ويعادي ويخاصم الأدب الحديث بكل الوانه ، شكلاً وضوعاً ، ويرى فيه بعثاً وتجديداً وامتداداً للشعوبية !!

يرى في ادونيس ، وبدر شاكر السياب ، ونازك الملائكة - وهم رادة وقادة الشعر الحديث - المثل الأعلى للشعر الشعوبي ، والفكرة الشعوبية العنصرية .

يرى ويجزم بما يرى ، ويؤمن أن أدونيس ينشر مبادء الثورة القرمطية وهي : العقل قبل النقل ، والحقيقة قبل الشريعة ، والابداع قبل الاتباع ، ويتابع قائلاً : ولاندري من أي كتب القرامطة أستقى أدونيس هذه المباديء ، اذ ليس لهؤلاء الهمج (!!) ولا لأبناء عمهم اتباع الخصيبي كتب معروفة ، أو سرية !! (١)

---

(١) أنور الجندي المصري الشعوبية الجديدة ص١٧١

ونسأله : اذا لم يطّلع – وهو الواسع الاطلاع – على كتب لهؤلاء << الهمج >> ولا لأبناء عمهم اتباع الخصيبي لا معروفة ، ولا سرية ، ، فكيف عرف أن أدونيس يستقي مباديء الثورة القرمطية عقلاً وحقيقة وابداعاً ، لا نقلاً ولا شريعة ولا اتباعاً ؟؟ .

واذا ظل مصراً على أنه يجهل من أين استقى أدونيس مباديء الثورة الفكرية ، فإننا نحيله ونأمل أن يأخذ بهذه الاحاله – الى رسائل اخوان الصفا ، والكرماني والسجستاني ، والمكزون السنجاري واضرابهم من الفلاسفة الالهيين ، وبعد ذلك يتضح له ويتحقق عنده من هم << الهمج >> ومن بنو عمهم !! .

وتصحيحاً لهذه الآراء الساذجة التي يعيش عليها السيد الجندي وأمثاله ، ولا ترتفع ثقافتهم إلى ما سواها ، نورد له ، ولهم لمحة من أفكار << اخوان الصفا >> تظهر النزوع الانساني الشامل الجامع القائل بوحدة الأديان والشرائع غايةً وهدفاً لسعادة الانسانية ، وهي النظرية التي حاولها ابن الفارض ، وابن عربي وامثالهما ولكنهما لم يصلا بها إلى ما وصل اليه اخوان الصفا من عمق النظرية،وسعتها، وشمولها ، وانطباقها على الكتاب الكريم – القرآن – وروح الاسلام .

قل آمنا بالله ، وما أنزل الينا ، وما أنزل على ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط ، وما أوتي موسى وعيسى ، وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون(١) وتعتبر

---

(١) آل عمران ٨٤

هذه الآية شعاراً ، ومبدأ عقائدياً لاخوان الصفا .

لقد نادوا بوحدة الأديان ، وقالوا : ان غرض الأنبياء عليهم السلام وواضعي الشرائع والنواميس جميعاً هو غرض واحد وان اختلفت شرائعهم ، وسنن مفترضاتهم ، وازمان عبادتهم ، واماكن بيوتهم ،وقرابينهم وصلواتهم ، كما ان للأطباء كلهم هدفاً واحداً، وقصداً واحداً في حفظ الصحة الموجودة ، واسترجاع الصحة المفقودة، وان اختلفت علاجاتهم ، وهكذا غرض الأنبياء ، وغرض جميع واضعي النواميس الالهية من الفلاسفة والحكماء (١)

فالتوارة والانجيل والقرآن وغيرها من الكتب الدينية عندهم سواء ما دام الرب الخالق الرازق واحد، فلا حاجة للاختلاف في الآراء والمذاهب والأديان ، لأن المقصود بهذه الديانات واحد ، وهو التوجه الى الله ، ومن أجل ذلك فهم يعتقدون ان أهل الأديان يقتتلون طلباً للملك والرئاسة .

ووصيّتهم الكبرى لاتباعهم : أن لايعادوا علماً من العلوم ، ولا يهجروا كتاباً من الكتب ، ولا يتعصبوا على مذهب من المذاهب لأن رأيهم يستغرق كل المذاهب(٢)

---

(١) الرسالة ٦

(٢) الرسالة ٣

وهذه الآراء على صحتها ووضوحها ، لا ترضي الاستاذ عمر الدسوقي ، ويابى الا ان يستدل منها، بأنهم يلبسون لكل حالة لبوسها ، ويظهرون الموافقة لأصحاب الأديان الأخرى لاستدراجهم الى مذهبهم(١)

ويلتقي الدكتور محمد احمد الخطيب مع الأستاذ الدسوقي فيقول : ان هدف اخوان الصفا النهائي هو محو الأديان والوقوف على اطلالها(٢)

ومن أقوال الشاعر المكزون وسبحاته الصوفية ، ونظرته الشمولية التي تلتقي مع نظرية اخوان الصفا قوله :

ولا ارى في الكون شخصاً واحداً يهوي هوىً الا وبي فيه اقتدى
لأن داري لم تزل دائرةً تجمع من ضل السبيل واهتدى
وكل شيء خارج عنها ، اذا حققته رأيته منها بدا !! (٣)

هذه النظرية التي تلف الانسان ، والكون بالحب الالهي ، وتنير بصيرة العارفين بضياء المعرفة يستحيل على النفوس المظلمة ان تنعم بأشعة نورها !!

هذا ، ولايهمنا ان يختلف السيدأنورالجندي المصري مولداً وموطناً مع أدونيس ، ودعاة الشعر الحديث ، والقائلين بالثابت

---

(١) اخوان الصفا لعمر الدسوقي ص١٠٦

(٢) محمد حمد الخطيب الحركات الباطنية في الإسلام ص١٨٥

(٣) ديوان المكزون تحقيق ونشر أسعد علي ومخطوطتا الظاهرية والاسكوريال

والمتحول في الفكر والشعر ، فهذا ليس من موضوع كتابنا ، ولكن الذي يهمنا ويعنينا هو قوله : ان الامامية الصوفية الباطنية التي يقول بها أدونيس جاء بها الجنبلاني الايراني المتطرف ، وربطها جذرياً بالتلمود ، وحمل اليهم التجسيد والتثليث (١)

ونقول : هذا يدل على جهل فاضح في الأديان فالعقائد المربوطة جذرياً بالتلمود لا تتفق مطلقاً مع فكرة التجسيد والتثليث المسيحية ، ولقد صلب اليهود المسيح عندما اشاع تلامذته انه ابن الاله المتجسد ، وأحد اقانيم التثليث !!

وأخيراً يقول السيد الجندي : ان شاعرهم – شاعر ابناء عم الهمج – الحسن بن مكزون السنجاري هو شاعر تافه ، مسخ شعر ابن الفارض !! (٢)

همج ، تافه ، ماسخ ، مسخ شعر ابن الفارض هذه الكلمات لا تدل على نزاهة الباحث وحياده ، وخاصة على اخلاقيته ، ولا تجعل القاريء مطمئناً الى ما يقوله ويقرره !!

ولعل خير رد على مزاعم السيد الجندي وخير وثيقه نضعها بين أيدي القراء ، والمثقفين منهم خاصةً هي عقد مقارنة بين بعض شعر المكزون ، وشعر ابن الفارض ليرى القراء اين هي << التفاهة >> التي يراها السيد الجندي ، ويحكموا على مدى جدّية بحثه ، وعقلانيته

---

(١) الشعوبية الجديدة أنور الجندي ص١٧٤

(٢) الشعوبية الجديدة أنور الجندي ص١٧٤

وموضوعيته ككاتب ، ومدى فهمه للشعر كأديب ودعوته للاصلاح كمسلم وانسان !!

ا- قال سلطان العاشقين عمر بن الفارض (١)

١- أبرق بدا من جانب الغور لامعُ أم ارتفعت عن وجه ليلى البراقعُ؟؟
٢-أنارالغضا ضاءت وسلمى بذي الغضا أم ابتسمت عما حكته المدامعُ؟
٣-انشر خزامي فاح أم عرف حاجر بأم القرى؟ أم عرف عزة ضائعُ؟
٤-الا ليت شعري هل سليمى مقيمة بوادي الحمى حيث المتيم والعُ؟
٥-وهل لعلع البرق الهتون بلعلع وهل جادها صوب من المزن هامعُ؟
٦-وهل أردن ماء العذيب وحاجر جهاراً، وسر الليل بالصبح شائعُ؟
٧-وهل قاعة الوعساء مخضرة الربى وهل ما مضى فيها من العيش راجعُ؟
٨-وهل بربى نجد، فتوضح مسند اهيل النقا عما حوته الأضالعُ؟
٩-وهل بلوى سلع يَسل عن متيم بكاظمة ماذابه الشوق صانعُ
١٠-وهل أثلات الرند يقطف نورها وهل سلمات بالحجاز يوانعُ؟

ويقول المكزون (٢)

١-مرابع سُعدى للعيون مراتع وفيها لآساد العرين مصارع
٢-مرابع تخشى النائبات ربوعها وترجو بها الأمن القلوب الجوارع
٣-بهن شموس الحسن تمسي غواربا وفيهن أقمار السعود طوالع
٤-عصيت نهى الناهي عليهن طائعاً لأمر الهوى والصبّ عاصٍ وطائع
٥-وواخيت فيهن الصبابة يافعاً وشبتَ وتبريح الصبابة يافع
٦-وجامعة الاحسان والحسن من بها فوأدي للأشجان والحزن جامع
٧-لبرق الثنايا من عقيق شفاهها شجتني بروق بالعقيق لوامع
٨-اذا شمته عن مزنة من رضابها وشحت به سحت عليه المدامع
٩-واعذب ما يستعذب الصب نازحاً اذا وعدته بالدنو المطامعُ
١٠-يعاودني بالهجر طيف خيالها وانى بطيف الاخيلية قانعُ

---

(١) ديوان عمر الفارض

(٢) ديوان المكزون تحقيق ونشر أسعد علي ومخطوطتا الظاهرية والاسكوريال

المقارنه:

البحر واحد: الطويل.

القافية واحدة: العين.

الموضوع واحد: الغزل الصوفي.

أين يتلاقى الشاعران واين يتفاضلان؟؟

اعتاد شعراء الغزل الصوفي الروحي كغيرهم من شعراء الغزل الحسي المادي أن يذكروا مواقع وأمكنة من الأرض والبلاد كان لهم بها لقاء أو وداع مع من يحبون، وقلما يخلو شعر المتصوفة من هذه الظاهرة

-ظاهرة الأماكن التي تثير الذكريات – فماذا في هذا <<النموذج>> من شعر ابن الفارض من ذلك؟؟

١-في الواقع لقد أسرف ابن الفارض في ذكر وتعداد الأمكنة حتى أصبحت لديه غاية بحد ذاتها، مع انها في طبيعة هذا النوع من الشعر وسيلة لايقاظ الذكرى وتجديد الحنين.

في كل بيت من هذه الأبيات العشرة نجد ذكراً لأحد الأمكنة فهناك: الغور، الغضا، حاجر، أم القرى، وادي الغضا، لعلع، العذيب، قاعة الوعساء ، نجد ، توضح ، النقا، سلع، كاظمة، الحجاز أي ١٥ موضعاً في ١٠ أبيات.

٢-ذكر الحبيبة ٤ مرات باربعة أسماء: ليلى سلمى، عزة، سليمى بصيغة التصغير للتحبب، ومن المعروف أن المتصوفة يشيرون بهذه الاسماء إلى الذات الالهية (نمط باطني)

٣-كل بيت من هذه الأبيات يبدأ باداة استفهام، وربما وردت هذه الاداة في البيت الواحد أكثر من مرة حتى بلغت ١٨ مرة في عشرة أبيات

والاستفهام أسلوب انشائي لايقرر أمراً، ولايصدر حكماً، ولايقال لصاحبه أنه كاذب. ولاصادق؛! كما قرر البلاغيون!!

٤-لقد شغل الشاعر بالتهالك والالحاح والتتبع لتعداد الأمكنة، كما أوضحنا- عن أن يأتي بصور شعرية ملونة معبرة متعددة ذات معان جديدة، يقتضيها شعر الغزل الصوفي الذي تشترك فيه الصور المادية الحسية بصور الصبوات الروّحية.

٥-مهما أجهدنا أنفسنا وتمحلنا لم نستطع أن نستخرج من هذه القصيدة- من هذه الابيات النموذج- غير هذه الأغراض المحدودة التقليدية التي اعتاد الشعراء- كل الشعراء- أن يلموا بها!!

فهل المكزون اقتصر على هذه الأغراض؟ أم قصّر عنها؟ أم زاد عليها؟

١-توافق الشاعران-كما ذكرنا- في البحر والوزن والقافية والموضوع، وهذه الموافقة والمطابقة شرط أولي واساسي في <<المعارضة>> الشعرية

ولفظة <<المعارضة>> تحمل معنًى لغوياً غير معناها السياسي، وعارضه: أي جاء بشعر على <<عروض>> شعر آخر

٢-لم يسرف الشاعر المكزون بذكر الأمكنة كما فعل نظيره ابن الفارض، وانما اكتفى بذكر العقيق، وجاء ذكر العقيق تبعاً لصفة من صفات الحبيبة وهي الشفاه الحمراء كالعقيق (البيت٧) حيث<<طابق>> بين العقيق (الكثبان الحمراء من الرمل) وشفاه محبوبته وبين البرق، وبريق ثناياها اذا ابتسمت

٣-استعاض عن الافاضة بذكر الأمكنة بمعنى شامل جامع «مرابع سعدى»

٤-لم يكثر من اسماء ربات الخدور(وربات الخدور كناية عن الذات العلية عند المتصوفة) واكتفى باسم واحد هي«سعدى» وبصفة داله على الموصوف وهي «الأخيلية» والأخيلية هي ليلى.

وليلى الاخيلية شاعرة جاهلية أدركت الاسلام وكانت محبوبة الشاعر الفارس توبة ابن الحميّر ويقول فيها:

ولو أن ليلى الأخيلية سلمت علي ودوني جندل وصفائح
لسلمت تسليم البشاشة أوزقا اليها صدى من جانب القبر صائح

والشاعر المكزون كنّى باسم «ليلى» عن الذات العلية كالمتصوفين، ثم نقل الإسم العام إلى إسم خاص، والمطلق إلى مقيد، وهذا ضرب من التفنن في الشعر لم يجاره فيه أحد!!

٥-الصور عند المكزون ملّونة ومتعددة الالوان تتجدد في كل بيت، فمرابع سعدى مصارع الآساد، تخشاها النائبات، ويأمن فيها كل قلب جازع، وشموس الحسن واقمار السعود تتناوب فيها الطلوع والغروب. وسعدى جامعة الحسن والاحسان (وأحببْ بهذا الوصف) وقلب الشاعر جامع للاشجان والاحزان، وهنا نجد نوعاً من المطابقة المعنوية مطلوبة بلاغياً .

والصبابة وشاعرنا تآخياً منذ كان يافعاً ، ولكنه شاب والصبابة في قلبه ظلت شابة وفي يفعها ، واليفع واليفاعة أول الشباب وشرته وانقاده

ونكتفي بهذا القدر من الاشارة إلى وفرة الصورعند المكـزون فـي شعره، هذه الصور يفتقر اليها شعر ابن الفارض ونترك الحكم للقارىء الثقيف الذي يعي ويدرك ويقدر قيمة الشعر وفنيّته، وسعة آفاقه، وتعـدد صوره والوانه، ومدى اشراقه، وانطلاقه، ليرى مدى صحة حكم السـيد الجندي على شعر المكزون وهل هو - كما زعم- مشوه وتافـه، وكمـا أملى عليه<< حياده>> وهل شوّه شعر ابن الفارض؟؟

ولولا افراط السيد الجندي بالتجني على هذا الشاعر لكنا في غنـى عن كل هذه المقارنات

النموذج ب:

قال سلطان العاشقين عمر بن الفارض

١-سائق الأظعان يطوى البيد طي منعمـاً عرج على كثبـان طـــي
٢- وبذات الشيح عني إن مـــرَرْ تَ بحيّ من عُريب الجزع حَيْ
٣- وتلطف وأجر ذكري عندهـم علّهـم إن ينظروا عطفاً علـَيْ!
٤- قل تركتُ الصّب فيكم شبحـاً مالـه ممّـا بـراه الشـوق فـــَيء
٥- خافيـاً عن عـاذلٍ لاحٍ كمـــا لاح في بُرديْه بعد النشرطـــي
٦- صار وصف الضر ذاتياً لـــه عن غنـــاء، والكلام الحـيّ لـي
٧- كهـلال الشـك لـولا أنـــــه إن عينـي عينـه لـــم تتـــأي
٨- مثل مسلـوب حيـاة مثـــــلاً صـار فـي حبكـم مسلوب حـــي
٩- مسبلاً للنـأي طرفـاً جـادَ إن ضنّ ضوء الطرف إذ يسقط خي
١٠- بين أهليـه غريبـاً نارحـــاً وعلـى الأوطـان لـم يعطفـه لـيْ

وعارضه المكزون قائلاً

١- شاغل القلب هوى عذب اللُّمي عن هوى ليلى وعن حبّ لِمَنْ
٢- بدر تمّ طلعهُ الشمس- لما لاح من غرته في الحسن- فَيْ
٣- وإذا ماعمها منه سَنَىّ تغتدي كالخال في وجه السمي
٤- ساحر الأجفان يحكي أسداً وغزالاً ومهاة وظُبَيْ
٥- ذو وعيد بالقلا يخلفه منه وعد باللقا ما فيه لَيْ
٦- قلتُ للائم فيه بالرُّشا كيف أسلو عن هوى هذا الرُّشي
٧- وإلى أي هوىً أبغي تُرى حِولاً ماعشت عن هذا الهوَيْ
٨- وهو لي فوق وتحت وورا وأمام وجليس عن يَدَيْ
٩- وله مني ولاء وبَرا في أباء حبه من أبوي
١٠-ولما فيه لقلبي شفّني من لُمى فيه شفاء ودوي (١)

قلنا إن كتابنا هذا غير مخصصٍ للمقارنات الشعرية ونقدها وتحليلها وإنما همنا من إيراد شعر المكزون معانيه الصوفية، والمقاصد الفقهية، والمذهبية لذلك فإننا نقتصر على المقارنة بين النماذج الباقية من شعر الشاعرين على النظرة الشاملة تحاشياً من التبسيط والأسترسال والإطالة.

يبدأ ابن الفارض قصيدته "اليائية" باستهلالة تقليدية "سائق الأظعان" ويدرج على طريقته بذكر الأماكن، معتمداً الجناس اللفظي- البديعي- طي، كثبان طي، وذوات الشيح، وعريب الجزع، وحيّ الموطن، وحيِ الثانية من التحية،

---

(١) ديوان المكزون تحقيق ونشر أسعد علي ومخطوطتا الظاهرية ومصورة الاسكوريال

وتأتي لفظتا تتأي، وخي، اللتان تلجئانك إلى المعجم

وفي كل الأبيات يكتفي بوصف سقمه، وشوقه ولا يتعدى ذلك.

والمكزون يجاريه في أستعمال الجناس اللفظي البديعي التام والناقص، عذب اللميْ تصغيرلمىً: أي أريق ولكنه لايبدأ بالتعبير الجاهلي كما بدأ ابن الفارض ولا ترد عنه لفظة غريبة مطلقاً، بل ألفاظ معبرة، ومعان واضحة، وأسلوب سلس،

ابن الفارض جاء ببعض الألفاظ الغريبة كما أشرنا، وجاءت بعض أبياته معقدة، أقرأ عجز البيت السابع. وكذلك البيت التاسع فهذه المعاني التي ساقها لا تلج إلى فهم القارئ والسامع بيسر وسهولة، بل تحتاج إلى جهد، وأعمال روية، ومراجعة معجم.

وفي حين يقتصر على وصف ذاته، وما يعانيه نجد المكزون يصف محبوبه "شاغل القلب" ويصف حبه له، ونراه يثب وثبة صوفية شمولية فإذا بـ "شاغل قلبه" محيط بالجهات الست التي لايستطيع حيّ الخروج من دائرتها البيت الثامن.

ج- يقول ابن الفارض:

١- هُوَ الحب فاسلم بالحشا مالهوى سهل ... تمـ ٱختاره مضنىً بـه ولـه عقـل
٢- وعش خالياً فالحب راحته عنـاً ... وأولـه سقـم ، وآخـره قتـل
٣- ولكن لدي الموت فيـه صبابـة ... حياة لمن أهوى علي بها الفضـل
٤- نصحتك علماً بالهوى والذي أرى ... مخالفتـي، فاختر لنفسك مايحـلو
٥- فإن شئت أن تحيا سعيداً فمت بـه ... شهيداً والا فالغرام لـه أهـل

٦- فمن لم يمت في حبه لم يعش بـــه ودون أجتناء النحل ما جنت النحـل
٧- تمسك بأديال الهوى، واخلع الحيا وخل سبيل الناسكين وإن جلـــوا
٨- وقل لقتيـــل الحـب وفيت حقـــه وللمدعي هيهات ما الكحل الكحـل
٩- تعرض قوم للغرام، وأعرضـــوا بجانبهـم عن صحتي فيه، واعتلـوا
١٠-رضوا بالأماني وابتلوا بحظوظهـم وخاضوا بحار الحب دعوى فما أبتلـوا

وعارضه المكزون قائلاً (١)

١- سوى حبكم يسلى وغيرى له يسلو وأني يرجى البعـد من فاقـه القبـل
٢-واين ترى عنكم يرى الصب مذهبـاً ولا أين من معنـى جمالكـــم يخـــلو
٣- ولا وولاكم لم أجد منـــه خاليـــاً ويستره عمـا لكم عنده الجهـــل
٤- ولا صامتاً إلا وقد راح ناطقـــاً وفي صمته آيات أحسانكـم يتلـو
٥- وليس على شيء من العقل واجـد بكم، ولـه باللوم عن قصدكم عقـل
٦- ولاواجد بالعقل باطن حسنكـــم وكيف يرى بالعقل من ستره العقـل
٧- ولست كاشتات المحبيـن فيكـــم وارخص ما عندي لكم عندهم يغلـو
٨- وفي حبكم أن عاف غيري سقامـه فأعذب ما يحلو لقلبـي هو القتـل
٩- وبي تضرب الأمثال للناس فيكـم ولـي مثل فيكـم وليس لـــه مثـــل
١٠- وسركم في الكل سارٍ وأنمـــا على كل قلب ضل عن فهمه قفـل

فـي هـذا النمـوذج يتقـارب الشـاعران بـايراد المعـاني الوجدانيـة، والإشارات الصوفية، والصبوات الروحية، لكن المكزون يتفوق عليه بتلك النظرة العرفانية والفكرة التقريرية التي يتضمنها البيت العاشر.

---

(١) ديوان المكزون تحقيق ونشر أسعد علي ومخطوطتا الظاهرية ومصورة الاسكوريال

وسركـم فـي الكلّ سـارٍ، وإنمـــا على كل قلب ضل عن فهمه قفـل

فالسّر الساري في الوجود هو المشكلة الصوفية الكبرى، وعنها ومنهـا نشأ القول بالحلول، والأتحاد، والوحدة، وهذه هـي الحـال عنـد الجيلـي، وابن عربـي، وابـن الفـارض واضرابهـم مـن المتصوفـة كالبسـطامي والسهرودي والنسيمي.

أما المكزون فيرى في "السـرا لسـاري" فـي أعيـان الوجـود جـلال "القيومية" – قيومية الذات– على كل الذوات، قيومّية أحاطة ومدد، لطفاً من الذات الكلية ورحمة، سريان "أشراق" لاحلول، كنور الشـمس الـذي يعطـي الأحيـاء مـن الأنسـان والنبـات أستطاعة النمـو والحيـاة يقـول المكزون:

منفـــردٌ منـــزّهٌ مجـــــــرّدٌ عن الأسامي والصفات والصـور
جلّ عن التحويل والحلول فـــي الأين، وعن هُجر مقال من هجر

أما ابن الفارض فيقول "بحلول" الله فيه، "وباتحاده" بالله، بـل يـرى أنـه الله وينفي الاثنينية والـي القراء قولـه الواضـح الصريـح الـذي لايقبـل التأويل: جاء في تائيته:

متى حدت عن قولي "أناهي"أو أقل و حاشـــا لمثلي أنهـــا فـيّ حلّت

أنه بنزه نفسه أو يترفّع عن القول بإن الله حـالّ، أويحـلّ بـه، لأنـه هـو الله "أنا هي" ويستفهم مستنكراً متى حدتُ أو ملتُ عن قولي: أنا هـي؟؟ وفي قوله هذا تجاوز كل شطحات المتصوفة.

ويشير المكزون إلى تخبطّ ابن الفارض في اعتقاده قائلاً :

ولست كمن أمسى على الحب كاذبـاً ... مضلاً لأصحاب العقول السخيفـة
يمين على الجهال من عصبة الهـوى ... بنسبتـه في الحب من غير نسبـة
ويوهم وصلاً من سليمى ، وقد رمـى ... بـه التيـه عنهـا مبعـداً بالرميـــة
ويزعـم طوراً انـه عين عينهـا ... وينكر طـوراً انهـا فيـه حلـــت
ويمسي لها عبداً بدعواه في الهـوى ... ويصبح مولاهـا بغيـرمزيـة
فيجمـع ما بين النقيضين جهلـه ... وذاك محال في العقول الصحيحـة
ويعدل عن عدل الهـوى بادعائـه ... اتحـاداً لاعيـان الـوجود الكثيـرة
وكيف يصح الاتحاد ؟ وشاهـد الـ ... ـعيان على الآضداد بعض الأدلـة

ومـا أبـدع وأروع وأكمـل وأجمـل وأحـق وأدق وأصفـى وأوفـى قـول المكزون في تحديد علاقة الصوفي بربه :

ولي ولهـا عنـد الظـلال تواصـل ... بغير مـزاج . والجسـوم تـراب

والظلال اشارة إلى << الأظلة >> أو نظرية << الـذرو >> أو <<الـذر>> المعروفة عند المتصوفة والتي يرون ان القرآن الكريم أشـار اليهـا فـي الآية : واذ اخذ الله من بني آدم مـن ظهورهـم ذريتهـم واشـهدهم علـى انفسهم الست بربكم قالوا : بلى ... وأخذ الميثاق تم على الارواح قبل

اسكانها الأشباح اي الاجسام ، كما جاء لدى المفسرين ولذلك يقول المكزون : ان << تواصله >> منذ الذرو الأول تم بالروح ولكن بدون << مزاج >> لتفرد الذات عن الذوات ولم تكن الاجسام يومئذ الا تراباً.

وجاء لأمير المؤمنين قوله والمراد به الله : يا قريباً من الأشياء بلا ملامسة وبعيداً عنها بلا مباينة ، لست في الأشياء بوالج ولا عنها بخارج وهذا هو المعنى الذي اشار اليه المكزون وسماه << السر الساري >>

وبعد هذا كله ، هل يسمح لنا السيد الجندي أن نقول : ان حكمه على شعر المكزون لم يمله العقل ، ولا الدراسة المعمقة ، ولا النزاهة المطلوبة ، ولا الواقعية المرغوبة، وإنما املته العاطفة المشبعة بالفكرة <<الثابتة>> وأن هذه الأحاسيس العرفانية التي رآها <<تافهة>> هي جذبات روحية ذوقية.
لانستطيع نحن ولا هو منها دنواً، ولا اليها سمواً، ولا نمتطي آفاقها علواً.

كيف يرجى الصلاح من أمر قوم ضيعّوا الحق فيه أي ضياع؟
فمطاع الكلام غير سديد وسديد المقال غير مطاع

الدكتور مصطفى محمود والمكزون

من أكبر المؤلفين المعاصرين عطاء، لم يدع لوناً من ألوان الثقافة المعاصرة ولا ضرباً من ضروب المعرفة والأدب إلا تناوله بحثاً، وخاض فيه توثيقاً وأبداعاً.

لقد حفلت المكتبة العربية بما رفدها وأثراها، وزهت بما أترفها وأغناها وكتابه التاسع والأربعون الموسوم بـ "الوجود والعدم" وهو- كما يدل عليه أسمه- ذو طابع فلسفي يتناول أغرب وأعوص المسائل الفلسفية ذات الطابع الميتافزيقي ومن وجهة نظر الدين الإسلامي في مجاله الصوفي وقد قسمه إلى خمسة فصول:

١- التعرف إلى ملك الملك.

٢- الوجود كله لله.

٣-- توحيد أهل الأسرار.

٤- الوجود والعدم.

٥- السير إلى الله.

وقد تناول في بعض فصوله "المكزون السنجاري" مدللاً على تفوقه في العرفان، وتذوقه لرحيق الحياة الروحية الصوفية، وإلى رقة شعره، ودقة معانيه، وإلى سموّ أشاراته ورموزه العرفانية، والميز التي ينفرد بها عن كبار متصوفة الإسلام كأبن عربي والبسطامي، والجيلي والنابلسي وابن الفارض وأضرابهم.

ويقول أي الدكتور محمود عن ابن عربي عندما استعرض معنى بيتيه التاليين:

فاعطينـــــاه مـــا يبـــــدو بـــه فينـــا ، وأعطـــانـــا
فصـــــار الأمـــر مقسومـــاً بـــايـــاه وأيـــــانـــا

إن هذا غرور ودلال عجيب حيث يجعل نفسه مقاسماً لربه في عمليه الخلق، وهي شطحة فيها دلال وأدلال.

ونورد هنا بعض الفقرات من كتابه "الوجود والعدم" حيث يفيض بعرض بعض آراء الشاعر المكزون، وشيئاً من شعره ومصادر عرفانه وتصوّفه، وكيف يفلسف هذه المعرفة، ويدعم هذه الآراء، ويجلو غرائب هذا التصوف.

نورد هذه الأقوال لنزيد القراء والباحثين أطلاعاً على مكانة المكزون لدى العلماء الإلهيين، والشعراء المتصوفين، وأقتناعاً بخلل أحكام بعض الباحثين كالسيد أنورالجندي، ومن يدلج على دروبه، ويمتح من قليبه، وأخص منهم الدكتور عزت حسن قيم المكتبة الظاهرية، والذي بلغ به الأستخفاف بالآثار الأدبية وأصحابها درجة لم يتورّع معها من القول عن ديوان المكزون: إن أكثره "تخليط" في مذهب النصيرية (١)

---

(١) فهرس المكتبة الظاهرية للدكتور غزت حسن

كنت أود أن أفرد باباً خاصاً لمناقشة الدكتور عزت حسن وتفنيد آرائه، أو رأيه في المكزون السنجاري وشعره. ولكني هنا أكتفي بالقول: إن أقوال العارفين تبدو- وربما لأول وهلة- لغير المختصين غريبة، أوصعبة المنال، وفي هذه الحال يفرض علينا الأدب والسلوك الأخلاقي أن نتهم مقدرتنا وعجزنا عن الأحاطة بمراميهم، وجهلنا بمقاصدهم العصية على أفهامنا، وقديماً قيل: الأنسان عدوما يجهل. وفاقد الشيء لايعطيه.

فرق كبير بين العلم والمعرفة، كلاهما يبحث في الكون، لكن العلم يبحث في الأشياء المتعددة، أما المعرفة فتبحث في الواحد، ولهذا كانت وسائل العلم المسطرة والمجهر، والحواس والتحليل العقلي، ووساءل المعرفة القلب والبصيرة والذوق والوجدان.

أن المعرفة لايمكن ضرب مثال تقريبي لها، ولا تمثيلها بعبارات وكلمات والأسرار النهائية لايجلوها أجتهاد فكر، ولايجيب عليها إلاكشف الهي، أو علم لَدُني.
ولهذا المعنى أشار الشاعر المكزون في أحدى قصائده.

وسركم في الكون سارٍ، وأنما على كل قلب ضلّ عن فهمه قفلُ

فلوا أبصر المحجوبون جزءاً من الحقيقة لتغير حالهم، وأنكسرت أقفالهم، وأنكروا أقوالهم!!

قال الدكتور مصطفى محمود: (١)
هل هناك ماسوى الله؟؟

على هذا السؤال الأزلي يجيبون.. نعم، هنـالك العدم!! فمـا سـوى الله عدم، والعدم عندنا غير معدوم، فالعدم هو الوجـه المقـابل للوجـود، كالظلمة في مواجهة النور، والسالب في مواجهة الموجب، والقـابل فـي مواجهة الفاعل، وكالمرآة في مواجهة الشمس.

في العدم حقائق أزلية قديمة هي شؤون الله، ونحن كلنا حقائق في العدم، أخرجهـا اللـه برحمتـه، وأعطاهـا لبسـة الوجـود. وجعلهـا محـلاً لتجليات أسمائه وصفاته.

وهو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيماً (٢)

وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً (٣)

وهذا الخلق الدائم المتجدد وإخراج الحقائق من العدم إلـى الوجـود ومن الظلمة إلى النور هو شؤون الله.

---

(١) أوردنا هذه الأقوال بتصرف واضافة الإستشـهاد مـع المحافظة على أفكـار المولـف وتعابيره

(٢) الأحزاب ٤٣

(٣) مريم

والله هو الوجود المطلق يستحيل عليه العدم، فلم يبق إلاّ إن يكون العدم هو "الغير" والسوى بالنسبة لله، وأن تكون النظرة الثنائية لامعدى عنها في فهم الأمور. ولكنها نظرة ثنائية لاتنفي وحدة الوجود.. فالوجود كله لله ولا "وجود" لغيره، ولا فاعل غيره طالما أننا وصفنا الغير بأنه"عدم" وبأنه "قابل" وليس فاعلاً.

لله المغرب والمشرق فأينما تولوا فثم وجه الله (البقرة ١١٥)
له مافي السموات ومافي الأرض (النساء ١٧١)
هو الأول والأخر والظاهر والباطن (الحديد ٣)

ووحدة الوجود بهذا المعنى وحدة وجود إسلامية لاوثنية فيها ولا أثر لخرافات وحدة الوجود الهندية PANTHEISM فلا توحيد فيها بين العبد والرب، ولاقول بأن الرّب هو عين العبد، ولا دعوى مشبوهة مثل دعوى "أنا الله" فقد قلنا من البداية أن العبد كان حقيقة أزلية في العدم... حقيقة سالبة "قابلة" لافعل لها، وأنها خرجت إلى الفعل والوجود والحياة بفضل الله، وأن العبودية والإفتقار والأحتياج خصائص ملازمة لها منذ الأزل... ولاتصح لها دعوى ربوبية على الإطلاق إلا إذا أصابها الجنون أو الكفر أو الإلحاد.

وللصوفي العارف الأمير حسن بن مكزون السنجاري (عاش في أوائل القرن السابع الهجري في سنجار بالعراق وكان أميراً على أحدى قبائلها) نكتة لطيفة في هذا الباب فهو ينصح بضرب الصوفي المجذوب

الذي يقول << أنا الله >>وصكة بعنف فإذا أحتج فقد تناقض مع دعواه بأنه الله واثبت قوة فاعله غير الله فيقول:

حاجج لمن قال : <<أنا أنت>> بالسـ ـب وبالضـرب وبالصـكّ
فإن أبا ذا منك قـل: مـلت عـن توحيـدك المخـص إلى الشـركِ

ويقول المكزون السنجاري في شهادته التوحيدية:

أشهد أن لا اله الا الإله الأحد لا من عدد الظاهر بذاته من غير جسد المتنزه عن الصاحبة والولد. والذات الأحدية عنده لاتقبل التعدد لأنها كاملة وتعدد الكامل مستحيل فكل مايكون في نفسه تام فلا يحتاج إلى آخر. والكامل القادر الواحد يفي بجميع المراد فلماذا يتعدد، وما الداعي لزيادة لاحاجة لها إلا أن تكون عبثاً وفضولاً، ولاعبث ولافضول في الكون. تعالت ذات الله عن التعدد والكثرة، وتعالت عن الحركة والسكون وعن الحلول والإتحاد وعن التغّير والفساد وعن أحتواء الجهات وعن الأسماء والصفات لاتحل في كيان وإن ظهرت للعيان.

تعـالـت ذات مـولاي عـن الحّيـز والـوصـف
وعمـا جـال فـي الشكـل ومـا يلـحظ بالطـرف

تعـالـت ذات مـولاي عـن الإدراك بـالـعيـن
وعـن دائـرة الايـن وإن شـوهـد فـي الأيـنِ

ويقول المكزون أن كل مانرى حولنا هي حضرة مجاز وتمثيل (أمثلة لقدرة الله وصنعته أما الذات القادرة الواهبة فهي في الغيب لامثل لها.

ليس لهـــا بالحسن مثل إنمـــــا تمثلـت عن الظهـور بالمثـــل
موصوفة بين الورى وحسنهـــا تحت النعوت والصفات مادخـل

ويقول في شعر رقيق مخاطباً الذات الإلهية:

إذا وصف العشاق معنى جمالكـم فتجريده عن كل وصف له وصفي
وإن عبّروا باللطف عنـه فإننـــي أقول معيد اللطف جل عن اللطف

الذات عنده متعالية عن الأسماء والصفات، فالأسماء والصفات مفادة منها ولكنها هي ذاتها فوق حدود التسّمي وفوق حصر الصفات.

يفني الكلام ولا يحيط بوصفـــه أيحيط مايفنـي بمـا لاينفـــد

وتعدد الصفات لاينفي وحدة الموصوف.
عباراتنا شتّى وحسنك واحـــد وكل إلـى ذاك الجمال يشـير.(١)

ومن لطف الله أنـه يتقرب إلينـا، ويتعـرف علينـا بأوصافنـا نحـن لابأوصافه هو، فذلك على سبيل الإيناس المألوف بدلاًمن أن يواجهنا

---

(١) هذان البيتان لا نعرفهما للمكزون فهل استشهد بهما أم أنه أطلع على نسخة غير معروفة لدينا

بذاته التي ليس كمثلها شيء فتهلكنا الرهبة ويسحقنا الجلال من ذلك الذي لانعرف له شبيهاً ولانعرف له أولاً من آخر. فالرائي لايرى من المنظر الإلهي إلا ما يشاكله هو من صورة الأسماء والصفات

ممنوعة بالصفاء رؤيتها للعين إلا بوصف رائيها

يطمعه الأسم "الظاهر" بمعرفة الذات ويظن أنه قد وصل ثم يكتشف أنه مازال بعيداً ومازال واقفاً عند نفسه هو:

بصفاها ممنوعة أن تراها عين راء إلا بوصف الرائي
ولعجزي عن أن أراها بإياها بدت بالصفات والأسماء
فعليها مادل قلبي سواها وإليها لم تدعني بسوائي

والمعرفة عند ابن مكزون نوع من المغامرة المستمرة لاتنتهي إلا لتبدأ، فهو يحاول أن يعرف الذات بواسطة الأسماء ثم يفاجأ بأنه إنما عرف الأسماء بواسطة الذات إذ هي التي وهبت الأسماء خصائصها وصفاتها المميزة وأحتفظت بذاتها في سر السر منزهة عن الوصف والكيف. لاتحل في كيان وأن ظهرت للعيان فالإسم والوصف كاشف، وهو في الوقت نفسه ساتر وحاجب.

كالشمس يجلوها لنا نورها وهو لنا عن كنهها ساتر

فنور الشمس شديد يحجب عن العين تفاصيلها وإن كان يجلوها متلألئة. والصفات الإلهية عند ابن مكزون تقع على الإسم وليس على الذات ومن هنا قول القرآن

(سبح بأسم ربك الأعلى) (الأعلى١)

(سبح بأسم ربك العظيم) (الحافة٢٥)

(وأذكر أسم ربك وتبتل إليه تبتيلاً) (المزمل ٨)

(وأذكر أسم ربك بكرةً وأصيلاً) (الإنسان ٢٥)

(تبارك أسم ربك ذو الجلال والإكرام) (الرحمن ٧٨)

(أقرأ بأسم ربك الذي خلق) (العلق ١)

(فأذكروا اسم الله عليها صوافَ) (الحج ٣٦)

(ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها) (الأعراف ١٨٠)

وفي ذلك يقول عن الذات الإلهية:

وهي العلية عن وصفي وعن خطبي

فالله بأفادته القدرة للقادرين سمي قادراً، وبافادته الكرم للكرماء سمي كريما وكذلك كل ماوصف به إنما جرى عليه من قبل أنه وهبهُ وأفادهُ لامن قبيل أن هذا الوصف أو ذاك كمال لذاته، فصفات الله بهذا الأعتبار موهوبات من ذات الله ومفادة اسمائه الحسنى أماذاته فمنزهة عن الصور والأوصاف لأنها "واحدة الحسن"

واحدة الحسن التي عن حسنها سرت تفاصيل الجمال والجُمل

وإنما هو سبحانه يتلطف بعباده فيظهر لهم بالصفات والأسماء ويدعوهم بالصور المشابهة لهم حتى يستأنسوا ولهذا قال الحديث: (خلق أدم على

صورة الرحمن) ولم يقل على صورة الله أو الذات، فالله ظهر بالاسم الرحمن والرحمن خلق الإنسان على صورته لطفأمنه ليتم الأئتناس وليمكن الحوارأما الذات فهي في العلو والتجريد لايحيط بها وصف ولا اسم وفي ذلك يقول بن مكزون: من عرف موقع الصفة بلغ قرار المعرفة أي من عرف وأدرك أن الصفة لاتقع على الذات الإلهية وإنما هي مستفادة منها ومفادة إلى الواحدة أو الأسم أو الشيء أو النفس القابلة وواقعة عليها من عرف ذلك بلغ قرار المعرفة ولهذا يرد النبي (ص) كل شيء في النهاية إلى الذات الإلهية في حديثه: (أعوذ بعفوك من عقابك وأعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بك منك) فهو في البداية يستعيذ من افعال وأسماء وصفات إلهية (أعوذ بعفوك من عقابك وأعوذ برضاك من سخطك) ثم في النهاية يسلم إلى الذات كل شيء (أعوذ بك منك).

والذات سارية في جميع الحضرات الوجودية في العالم مثل سريان الواحد في العدد ومثل سريان المداد في الحروف ولايوصل إلى اللة إلا بنور الله ولا يعرف الله إلابالله،ويقول الشاعر المكزون في ذلك.

فغيري من سواك يـــرى دليـــــلاً وليس عليـــك غـيرك مـن يـــدلّ

ومن العارفين من لا يصل إلى الله إلا استدلالاً فيستدل بفعله على صنعته وبصفته على اسمه وباسمه على ذاته سبحانه وأولئك ينادون من مكان بعيد ومنهم من تحمله العناية إلى حريم الشهود، فيشهد أنوار الحضرة وبين الرائي والمرئي بون شاسع.

والله هو الأول والآخر والباطن والظاهر، سبحانه لم يسبق له حال حالاً، فلم يكن أولاً ثم أصبح آخراً أو كان باطناً فأصبح ظاهراً، بل هو الأول والآخر والباطن والظاهر في ذات الآن دونما استحالة في اجتماع الضدين لايمنعه البطون من الظهور، ولايقطعه الظهور عن البطون وأقرب الطرق إلى معرفة الله هو معرفة النفس الإنسانية:

(وفي أنفسكم أفلا تبصرون) (الذاريات)

وفي الحديث الشريف: "**من عرف نفسه فقد عرف ربه**" فالنفس لها ظاهر وباطن في الوقت نفسه كما أن لله ظاهراً وباطناً وهي واحدة وهي كثرة من الصفات والأسماء، والإنسان سميع بصير مريد متكلم عليهم حكيم خالق مصور وهو حاكم لظروفه مهيمن عليها، والإنسان ديمومة ممتدة في الداخل وزمن موضوعي في الخارج وهو بهذا المعنى نموذج مصغر، ومثال من ربه، وروح الإنسان وجسده مثال لذات الله والكون فلا أنفصال بين روح الإنسان وجسده كما أنه لاتصال بينهما ولايمكن القول بحلول الروح في الجسد ولاباتحادها به، فلوكانت روح الإنسان متصلة بجسده لنقص منها جزء إذا بتر من الجسم جزء ولاقتضى الأمر في النوم ألانرى ولانبصر لتوقف آلات البصر بإغلاق العين.

لو كانت النفس بالآلات مدركة لم تلق في النوم لانعمى ولابوسى

كما أنها ليست منفصلة عن الجسد وإلا لما كان زيد أحق بها من عمرو وكما إن الرؤيا الصادقة في المنام هي دليل أخر على عالم الروح الغيبي المختلف عن عالم الجسد بحدوده وآلاته.

كذلك تبدو الأعضاء متحركة بذاتها (مثل النجوم التي تبدو متحركة بذاتها) مع أن الفعل كله للروح المحركة فالروح لها قيومية على الجسد كما إن لله قومية على الكون.

وعلاقة الروح بالجسد لاهي حلول ولااتحاد ولااتصال ولاانفصال مثلما هي علاقة الله بمخلوقاته ولايجوز وصفها بالحلول ولا بالاتحاد ولابالإتصال ولا بالانفصال

وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: ياقريباً من الأشياء بلا ملامسة، وبعيداً عنها بلا مباينة، لست في الأشياء بوالج. ولاعنها بخارج وتقدم هذا القول
والنفس تظهر بأفعالها دون أن تحيط بها أفعالها.
والنفس لها ظاهر وباطن مثلما يوصف الله بأنه ظاهر وباطن.
والنفس لها وجود غيبي كما أن لها حضوراً مشهوداً.
والنفس سارية في جميع الأفعال طول الوقت في لطف وخفاء.

والنفس من هذه الوجوه أكثر الحقائق شبهاً بالسر الإلهي وفي ذلك تقول الآ 'قرآنية: "سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق" (فصلت ٥٣)

فالنفس آية كاشفة عن جلال الرب في دقائق أوصافها وخصائصها. وفكرة ابن مكزون عن الصفات الإلهية (أنها مفاده من الذات للإنسان) تجعل الإنسان محلّ عناية وموهوباً مجاناً برحمانية الصفات الحسنى ومواهب العالم الأسنى

إلى الرحمن نسبة كل عبد ظهور صفاته الحسنى عليه

والكل مدعو للتحلي بهذه الصفات بلا مقابل والشرب من معينها النوراني الذي هو عين الحياة وإكسير الخلود.

ومن يرد فليأخذه مجاناً (رؤيا يوحنا١٧/٢٢)
السرّ الإلهي سار في الكون في لطف وخفاء فيما يسمى النفس الرحماني.

وسركم في الكون سارٍ و إنما على كل قلب ضل عن فهمه قفل

وذات الله غيب وجميع الأسماء والصفات الإلهية مانعرف منها ومالانعرف كلها مجملة في الذات كمون الشجرة في النواة وتلك هي حضرة الأحدية الغيبية (عالم الجبروت) في عالم "الملكوت" تظهر الحضرة الصفائية الأسمائية تنزلاً من عالم الغيب وفي "عالم الملك" تتنزل الأسماء الألهية والصفات لتمد المخلوقات بالنفس الرحماني وترعاها بالتربية والعناية وتلك حضرة الربوبية أو نزول الله إلى السماء الدنيا لاستعمال الحواس، وتحريك الأعضاء فهو السامع

والباصر والناطق على كل لسان وهو قيوم كل شيء وهو مخرج الزهور من أكمامها والأجنة من أرحامها.

وفي عظام الناس لي نشوة سيارة مسكنها المخ

وكل هذه المستويات الوجودية هي ظهورات أو تجليات أو تنزلات الواحد والله بهذا المعنى ظاهر في جميع المظاهر ولكنه منزه عنها جميعاً وهو غيرها وإن قامت به كما يقول:

أراني فيك موجوداً وعني أنت منفرد

وأقرب تشبيه للأمر هو تجلي الوجه في المرآة فأنت ترى نفسك في المرآة ومع ذلك فما يبدو في المرآة هو أنت وأيضاً ليس أنت وأنت موجود في المرآة بدون حلول وبدون اتحاد ودون انتقال ولسان حالك يقول وأنت تتأمل صورتك في المرآة مع المكزون

نظري في الزجاج أشهدني نفسي وغيري على خلاف الحال
مثل مافي المرآة أشهد من خلفي أمامي وعن يميني شمالي

وبمثل هذا يتجلى الله في المظاهر المختلفة دون أن يحل أو يتحد بها أو ينتقل إليها والحدود المشاهدة هي بسبب المرايا ونوعياتها كل منها يعكس جانباً ولكن الأصل غير محدود.

حتى ترى كل عين منك طاقتهـا في وسعها فانتفى تحديد معناك

والتوحيد عند أهل الأسرار مراتب ودرجات أدناها التوحيد اللساني بقول لاإله إلاالله ثم التوحيد البرهاني وذلك بالتفكر والتأمل والأقتناع. ثم التوحيد حياةً وعملاً وسلوكاًوذلك بأن تكون حياة العارف مطابقة لأمر الله ومبذولة كلها لله. ومثل هذا العارف تتوحد أقواله بأفعاله وتتطابق نياته مع أعماله.

وذروة التوحيد هو التوحيد الشهودي وذلك بفناء العارف بين يدي ربه فلا يرى لنفسه وجوداً ولاجسد أوكياناً ولايشهد إلانوراً أنني توجه وبذلك تنتهي الثنائية ويعود العدم إلى العدم ويبقى الله ولاوجود سواه... الخ

أوردنا هذه الأقوال لهذا الباحث الإلهي المتعمق بفهم أسرار القوم والإطلاع على مقاماتهم وأحوالهم وسلوكهم ومشاهداتهم وفناء ذواتهم في حب الذات الإلهية فما قول الدكتور عزت حسن في هذا التحليل لشعر بن مكزون وإعجابه بدقة تصويره وعمق إشاراته ورموزه وسمو مقاصده ومعانيه وهل هذا كله "تخليط" على زعمه في مذهب النصيرية إذا كان هذا العلم الإلهي والأسرار الربانية والحياة الذوقية والإنقطاع إلى ذات الله "تخليط" كما يزعم أو كما يفهم فأين تكمن الحقيقة؟
أما الحسيني عبد الله- وهو إسم مستعار_ فنسأله من هم المنسلخون عن هذه الحقائق والمتجاوزون هذه الدقائق؟

وللسيد أنور الجندي أن يدلنا على "تفاهة" شعر المكزون التي أحسها ولمسها والتي مسخ بها شعر ابن الفارض هذا الشعر الذي بلغ أقصى ذروة التوحيد واسمى درجات العرفان وأبعد مدى تسمو إليه روح العارف.

هل هذه الأفكار والرموز والإشارات العرفانية تفاهة أم ادعاء سيده ابن الفارض الربوبية ؟

متى ملت عن قولي: أنا هي؟؟أو أقل وحاشا لمثلي انها فيه حلت

أنا هي!! أي هو الذات الإلهية حقيقة، وليست حلولاً، والعياذ بالله من هذه الشطحة وكم له ولأمثاله من أمثالها وسنأتي في الأبحاث التالية بنماذج من هذه التجاوزات وقد يبلغ التناقض أحياناً حداً لايتمكن معه الباحث إلا أن يحكم على أحد طرفيه بالتجاوز، والأستحالة ومنافاة الحقيقة .

التناقض والأختلاف

يظهر التناقض والأختلاف في التاريخ الإسلامي على ثلاث مستويات: الفكري – النقلي – السياسي .

فعلى المستوى الفكري يتجلى بوضوح بين المعتزلة والحنابلة والأشاعرة ونختصر البحث في أختلافاتهم – على كثرتها – بإختلافهم في مسألة الصفات .

فالمعتزلة يفسرون الصفات كوجه الله ويد الله والأستواء على العرش تفسيراً مجازياً تنزيهاً لله عن التجسيم فسماهم الحنابلة " المعطلة " أي معطلي الصفات

والحنابلة يقولون نؤمن بالصفات كماوردت بالقرآن الكريم فسماهم المعتزلة " المجسمة " أي يجسمون الله بصفة خلقه وجاء في صحيح البخاري . حديث يوم يضع الله رجله في جهنم

والأشاعرة قالت نؤمن بالصفات كما وردت ولكن لايجوز السؤال عنها بـ " كيف " فسماهم أخصامهم " البلاكفة " .

ويلحق بهذا الخلاف الفكري – العقلي – الأجتهادات المختلفة المستنبطة من النصوص الشرعية ، وهذه تأتي أقل أهمية وخطراً عما سبق لأن الأفكار تتفاضل ، والعقول تتفاوت،

تناقض غريب !!

من المسلم به ايماناً واعتقاداً وعقلاً وشرعاً أن القرآن الكريم معصوم، ومحفوظ من الزيادة والنقصان لقوله تعالى ُإنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون، وإنه لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، وإنه لقرآن مجيد في لوح محفوظ، وأنه مصدق لما بين يديه، ومهيمن عليه، فهو دستور الإنسانية، ومع هذا فأن الباحث يجد في بعض الصحاح المعتمدة، والسنن المتبعة، والأسانيد المتعددة مايشعر بوجود الزيادة والنقصان، وهو مما تسرب إلى الحديث الشريف من الأسرائيليات، أو وضع الزنا دقة.

علماً بإن علماء المسلمين بذلوا جهوداً، وصرفوا أعماراً في سبيل تنقية الحديث وتصحيحة وإبعاد الشبهات عنه، ولكن- رغم كل ذلك- لايمنع من القول: أن هنالك بقاياً مما ترك الوضاعون.

الأمام البخاري سيد المحدثين بلا منازع، ومع ذلك ورد في صحيحه أحاديث تستدعى التسأول ومنها:
سمع رسول الله (ص) رجلاً يقرأ في سورة ليلاً فقال يرحمه الله لقد أذكرني آية كذا وكذا من سورة كذا وكذا (١).

الرسول الأمين ينسى آية مما أوحي إلية؟؟ نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين (٢) .

---

(١) البخاري ج٦ ص٥٠٨ باب نسيان القرآن

(٢)الشعراء

وجاء فيه عن زيد بن ثابت قوله: لما نسخنا الصحف في المصاحف فقدت آية من سورة الأحزاب كنت أسمع رسول الله يقرؤها، لم أجدها مع أحد إلا مع خزيمة بن ثابت الأنصاري (١)

وجاء فيه أيضاً عن عبد الله بن عباس: خرج عمر بن الخطاب فلما رأيته مقبلاً قلت لسعيد بن زياد بن عمر بن نفيل: ليقولن العشية مقالة لم يقلها منذ أستخلف، فأنكرعلي!! قائلاً: ماعساه أن يقول مالم يقله قبلاً؟؟ فجلس عمر على المنبر، فلما سكت المؤذنون قام فاثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: أما بعد فأني قائل لكم مقالة قدر لي أن أقولها، لاأدري لعلها بين يدي أجلي!! فمن عقلها ووعاها فليحدث بها حيث أنتهت به راحلته، ومن خشى أن لايعقلها فلا أحل لأحد أن يكذب عليّ!! أن الله بعث محمداً بالحق، وأنزل عليه الكتاب، فكان مما أنزل عليه آية الرجم، فقرأناها وعقلناها ووعيناها، رجم رسول الله، ورجمنا بعده، فأخشى إذا طال بالناس زمان، أن يقول قائل: والله مانجد آية الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضةٍ أنزلها الله والرجم في كتاب الله لمن زنى إذا أحصن من الرجال والنساء إذا قامت البينة، أو حصل الحمل، أو الأعتراف (٢)

وفي رواية أخرى: لولا أن يقول الناس: زاد عمر في كتاب الله لكتبتها بيدي (٣).

---

(١)البخاري ج٦ ص١٦٩ كتاب التفسير

(٢)البخاري ج٦ ص ١٦٩ كتاب التفسير

(٣)البخاري ج٨ ص٥٣٩ كتاب المحاربين باب رجم الزانية

والآية هي: الشيخ والشيخة إذا زنيا فأرجموهما البتة(١)

وجاء أيضاً: قال عمر بن الخطاب: كنا نقرأ من كتاب الله: أن لاترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم أن ترغبوا عن أبائكم، أو أن كفراً بكم أن ترغبوا عن آبائكم. (٢)

وجاء أيضاً عن عبد الله بن مسعود أحد القراء الأربع الذين أوحى الرسول (ص) أن يستقرأ القرأن منهم أنه كان يقرأ والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى والذكر والأنثى ويقول: والله لقد أقرأنيها رسول الله من فيه إلى فيّ (٣)

وعن عائشة: كان فيماأنزل من القرأن: عشر رضعات معلومات وتوفي رسول الله وهن فيما يقرأ من القرأن (٤)

وعن أبي الأسود عن أبيه أن أبا موسى الأشعري بعث إلى قراء البصرة، وكانوا ثلاثماية رجل وقال لهم: كنا نقرأ سورة نشبهها في الطول والشدة ببراءة، غير أني حفظت منها: لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى وادياً ثالثاً، ولايملأ جوف ابن آدم إلا التراب (٥)

---

(١)البخاري ج٩ ص٢١٢ كتاب الأحكام

(٢)البخاري ج٨ ص٥٤٠ كتاب المحاربين

(٣) صحيح مسلم ج٢ ص١٠٧٥ كتاب الرضاع

(٤) صحيح مسلم ج٢ ص٧٢٦ كتاب الزكاة

(٥) الاتقان في علوم القرآن للسيوطي ص٦٥

وفي كتاب الإتقان للسيوطي أن القرآن ١١٢ سورة فقط أو بأضافة سورتي الحقد والخلع(١)

والسؤال : ما قول السادة العلماء !!

أما الخلاف النقلي فيتجلى واضحاً بأختلاف الألفاظ والتعابير عند تخريج الأحاديث بين محدث ومحدث، وحتى عند المحدث الواحد(٢).

ولنأخذ مثالاً على ذلك حديث شق صدر النبي (ص) فالحديث متواتر ، ومجمع عليه .

ولكن – على تواتره – والاتفاق عليه فقد ورد عند البخاري إمام المحديثين في صحيحه، وهو أوسع الصحاح ، بثلاثة صيغ تختلف فيما بينها .

١– قال الرسول (ص) : فرج سقف بيتي وأنا بـ "مكة" ونزل "جبريل" وفرج صدري ثم جاء بطست من ذهب ممتلئاً إيماناً وحكمةً فأفرغه في صدري (٢).

٢– بينما أنا في الحطيم " مضطجعاً إذ أتاني "آت" ثم أوتيت بطست من ذهب مملوء إيماناً فغسل قلبي (٣).

---

(١) الاتقان في علوم القرآن للسيوطي ص٦٥

(٢) البخاري ج٢ ص٢٣١

(٣) البخاري ج٢ ص٣٢٧

٣- وقعت الحادثة في البادية وشهدها إخوته من الرضاعة قائلين : رأينا أخانا القرشيّ وقد آتاه "نفر" فاحتملوه ثم غسل بماء زمزم ثم أتي بطست من الذهب مملوء إيماناً وحكمة (١).

ففي المثال الأول كان في بيته بـ "مكة" فنزل جبريل
وفي المثال الثاني كان مضطجعاً في "الحطيم" فآتاه "آت"
وفي المثال الثالث كان في البادية وجاء "نفر" فاحتملوه .

وعلى المستوى السياسي يكاد الخلاف والأختلاف يشمل الكثير من الأحاديث والأخبار ، وخاصة ما له علاقة بالأشخاص ، ويكفي مثلاً ما ورد في علي ومعاوية مدحاً وقدحاً لكليهما .

والعجيب الغريب كيف أستساغ كتبة التاريخ الجمع بين الشيء ونقيضه في الأمر الواحد؟؟وكيف أقروا ودونوا هذه التناقضات بدون ريازة أو تمحيص ؟؟

هذه التناقضات قديماً وحديثاً عملت عملها في تمزيق وحدة الأمة وقضت على جمع الكلمة إذ جاءت السياسة قديماً وحديثاً فاستثمرت هذه التناقضات وأقامت عليها تلك الخلافات ، ووظفتها لصالح الساسة!!

---

(١)البخاري ج٢ ص٣٠٠

وجاء من يريدون بالإسلام كيداً ، وبالمسلمين شراً ، قديماً وحديثاً فأرهفوا أقلامهم، وتمردوا على ضمائرهم ، وأستجابوا لنزعاتهم ونزغاتهم فألفوا الكتب وشحنوها بهذه الخلافات، وعملوا بجد ودأب وحقد، على نشرها وتوزيعها، لتحقق أغراضهم وتشفي أمراضهم!!

والشاعر المكزون يشير إلى محاولة إتمام الشرع بنقص يقع فيه المجتهدون، وذوو لفكر القلق، الذي لايعرف الاستقرار ، لضعف في البصيرة، ووهن في الإيمان فيلتبس اليقين بالخيال، والحقيقة بالمحال!!

قل لمن رام للشريعة إتما مُا أبا لنقص تستتم الكمالا؟؟
أو بفكر لايستقر على حا لٍ يرينا عين اليقين خيالاً؟؟

فهناك أختلاف الرواة، وتعّدد الرواية، في الخبر الواحد ، والتناقص في الحديث الواحد ، وأدعاء كل راوٍ أنه على صواب ، وأن رواته عدول، أو أهل عصمة في الرأي والمقال .

وكان نتيجة ذلك أن إلتبست الحقيقة بالخيال ، ولحق النقص بالكمال ، ونشأت الفوضى في كل رأي ، وكل مقال ، وكانت لنا كل تلك المذاهب والفرق والآراء المتعدده!!

أنشأ الرواة والمحدثون مذاهب كلامية، وفقهية إجتهادية، لدعم سياسة، أو لتأييد معارضة، وعززوها بأحاديث عن الصادق الأمين لتكتسب صفة "المسلّمة"وتحاط بالقداسة ليتسع نطاق نشرها، وتقوى الدعاة لها والدعاية إليها ، ليزداد عدد أنصارها والاخذين بها ، والمدافعين عنها والمستظلين بلوائها ، وليضعف مناوؤوها.

حاول الكثيرون أن يوفقوا بين بعض هذه المتناقضات بتقريب وجهات نظر المختلفين ، أنطلاقاً من الأخذبأقربهاإلى العقل، وصحة النقل ، وروح العصر ، وحاجة الأمة،فضل بهم الطريق، ولم يحالفهم التوفيق، وتركوا لنا ركاماً من التلفيق !!

ورغب أخرون بفرز الزائف عن الصحيح ، وتنقية الذهب من الصريف ، إخلاصاً للدين وتوحيداً لكلمة المسلمين،فوقف جيش الأرهاب شاهراً سيوف المذهبية دون الغاية النبيلة، وبكل حينة ووسيلة، وفرض عليهم الرهبة والأستكانة، وأقعدهم عن أداء الأمانة .

وتطالعنا الصحف دواماًبأنباء هذه المعارك التي تدور رحاها، ويتسع مدى اذاها بين التقليد والتجديد،بين الجمود والمرونة في تطوير التشريع نحو متطلبات العصر .

والإسلام في كلياته العامة، ومنطلقاته الشاملة لايقر الجمود ولايضيق بمتطلبات الحياةإذا أحسن أبناؤه المثقفون وعلماؤه المجتهدون أن يستلهموا روح نصوصه ويستنبطوا من كلياته كل تشريع تفرضه روح العصر .

من هذه المعارك ولا أقول : آخرها ، فهي متجدده دائماً ، ما قام في جامعة القاهرةمؤخراً بين فريقين ، أوتيا نصيباً من الثقافة، يخولهما أن يكونوا رادة فكر ، وقادة رأي ، وسادة في أمة.

هذا الخلاف وهذه الضجةحصلتا ودارتا حول مشروع أدبي، علمي تاريخي، قدمه الدكتور حامد أبو زيد المحاضر في جامعة القاهرة.

والخلاف يدور حول مهمة الدين وأعتباره عنصراً أساسياً لأي مشروع للنهضة. ولكن الخلاف يتركز حول المقصود من الدين ، هل هو كما يمثل ويطرح ويمارس بشكل إيديولوجي نفعي من جانب اليمين المسلم ؟؟ أم هو الدين بعد تحليله وفهمه وتأويله، تأويلاً علمياً، ينفي عنه ما علق به من خرافات، ويستبقي ما فيه من قوة دافعة نحو التقدم، والعدل والحريةوهو ما تمثله العلمانية في جوهرها ، لاما يروّج له البعض من أنها الإلحاد الذي يفصل الدين عن المجتمع والحياة ؟؟

وهناك من يرى أنه من الممكن أن نوحد بين الفكر والدين،ونلغي المسافة بين الذات والموضوع، ونفسر الظواهر كلها بردها إلى مبدأ أول هو الحاكميةالإلهية، بوصفها نقيضاً لحاكمية البشر. وهناك أتجاهان لدراسة الظاهرة ورقابة العقل والنص :

الأول : تفسير الظاهرة بربطها بزمانها ومكانها .

الثاني : هدر البعد التاريخي .

وهناك محاولة لخلق "التوفيقية" بين السلفية الدينية، والإتجاه العلماني ولكن هذه المحاولة لاتخلو من التناقضات وأهمها: إهدار الدلالة التاريخية.

إن محاولة بناء التراث على هذا الأساس يعتبر عملية طلاء، وذلك بوضع لافتات جديدة لعلم الكلام الأشعري المتسمة بالجمود ، على حساب الآراء الأعتزالية التي تمثل سلطة العقل .

المكزون والفرق

للمكزون قصيدة يتعرض فيها لذكر بعض الفرق في الإسلام ، نورد هنا بعضها ونقوم بجولة في تاريخ الفرق الإسلامية ، مشيرين إلى الفوارق التي أعطت لكل فرقة خصائص تميزها عن سواها . قال من قصيدة:

لمغيب قلبي في هواكم مشهدُ ... كل البرية مطلق ومقيد
ما عن شريعته لصادٍ مصدر ... إذ ما لبادٍ في سواه مورد
فيه توحدت القلوب على الهوى ... وتعددت أهواءهم فتعددوا
في ظل " ظاهره "ثووا فمغور ... في قصد " باطنه " وآخر منجد
و" محدد " معنى الهوى بعيانه ... وعم على " غيب " الشهادة يشهد
ومكابر إحساسه في أنه ... وسواه من أضداد متوحد
فيريك باطل ما أدّعاه بجحده ... لمقال من بالقول منه يجحد
ومحجّب بالإسم عن معنى الهوى ... العذري في تيه العمى يتردد
لايستضيء بنور حكمة عالم ... للناكبين عن الصراط مقلّد
أغووا " بظاهر " ما رووا جل الورى ... ولديهم طرق "البواطن" سدودوا
وتعوّضوا " عرضا " بأنفس " جوهر" ... وإلى الثرى دون الثريا أخلدوا
متمسكون من الحياة بـ " ظاهر" ... عن قصد " باطنه " عموا وتبلدوا
لم يفرقوا بين المسمي ، وأسمه ... ولغير رسم الأسم لم يتعبدوا
وبغير جور العدل لم يتدينوا ... وعلى سوى غيب العمى لم يشهدوا
انا في هواها مشهد ومغيّب ... فأعجب لكوني "واصف" "ومجرّد"(١)
ومنّزة " ومشبه " وموحد ... ومعدّد ومقرب ومبّعد
ومفوض، والجبر غير مجاحدٍ ... عندي لأن عيانه لايجحد

---

(١) في البيت خطأ نحوي وهو رفع خبر مصدر كان، ولعله من أخطاء النساخ

ومكلف ومرفَّـــــه ومبصـــــّر ومبصـــــّرومقلـــــّد ومقلـــــّد
متفلسف متصـــــوف متسنـــــن متشيـــع ، ذو رغبـــة ، متزهـــد

جاء هنا بذكر بعض الفرق وبعض الأحزاب ثم ببعض أصحاب " المقالات " وهكذا كما نرى ينقسم المسلمون نتيجة الإجتهادات إلى فرق وأحزاب ، وأصحاب مقالات، وسنوضح فيما يلي ما هي الفرق، وما هي الأحزاب، ومن هم وراء ذلك .

ولا بد لنا من الإشارة إلى الحديث القائل : ستفترق أمتي إلى إثنتين أو ثلاث وسبعين فرقة ، الناجية منها واحدة ، والباقيات هلكى .

هذا الحديث حدا بالفقهاء والمؤرخين أن يعتبروا كل ذي رأي ، أو مقالة يشكل فرقة ليتم لهم هذا العدد تصديقاً وتطبيقاً لهذا الحديث .

وكنا في كتابنا الثالث من هذه الدراسة – دراسة المكزون السنجاري – قد تعرضنا لهذا الحديث، وتناولناه بشيء من التفصيل، وإنتهينا إلى الترجيح بإنه موضوع (١) .

وسواء صح هذا الحديث، أو ثبت وضعه، فإن الإسلام عرف في القرون الأربعة الأولى ، عدداً من الفرق والأحزاب والنحل ونورد هنا بعضها .

١- هناك أحزاب دينية، وفرق دينية .

٢- الأحزاب الدينية لاشأن لها في العقائد إلا عرضاً.

---

(١) المكزون ج٣

٣- الفرق الدينية لاشأن لها في الحكم إلا عرضاً(١) .

٤- الأحزاب الدينية هي الشيعة والخوارج

٥- الفرق الدينية هي : المشبهة - المعتزلة - الأشاعرة - التيميون - أو مدرسة ابن تميمة .

٦- الأحزاب الدينية نشأت حول الأمامة وبسببها .

٧- الفرق الدينية نشأت من التفكير في الدين، وقد أستقلت كل فرقة برأي في العقيدةتخالف فيها رأي غيرها .

الشيعة حزب ديني، يرى أن خير من يقيم الدين هي الأسرةالعلوية، وأنها صاحبة الحق في الخلافة، إنها حزب وليست فرقة لأنها لاتختلف مع غيرها في أصول العقيدة، إلا أنها ترى الأمامة أصلاً.

يقول الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء في كتابه " أصل الشيعة وأصولها " "إن أهم ما أمتازت به الشيعة عن سائر فرق المسلمين هو القول بإمامة الأئمة " وهو فرق جوهري أصلي ، وما سواه من الفروق فهي فرعية، عرضية، كالفروق التي تقع بين أئمة الإجتهاد كالحنفي والشافعي وغيرهما .

لكن إبن خلدون يقول :قصارى أمر الإمامة أنها قضية مصلحية إجتماعية لا تلحق بالعقائد .

---

(١) الدكتور عبد الحليم محمود التفكير الفلسطيني في الإسلام ص١٠٠

ومن الأدلة على أن الشيعة حزب وليست "فرقة " أن زيد بن علي إمام الزيدية تتلمذ على واصل بن عطاء رأس المعتزلة وأصبح أصحابه معتزلة .
فالزيدية شيعة بأعتبار حزبهم ،وفرقة بإعتبار إعتزالهم .
والإمام أبو حنيفة من أهل السنة ، ولكن بايع محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، وهو من جملة شيعته، ولذلك حبسه المنصور العباسي حبس الأبد، ومات في الحبس .

وعلى هذا فقد كان أبو حنيفة سنياً في عقيدته، شيعياً في ميوله وحزبيته وكان إبن أسحاق صاحب السيرة يرمي بالتشيع، والقول بالقدر، والتشيع حزبية، والقول بالقدر عقيدة.

وقد نجد شخصاً شيعي الحزبيةمعتزلي العقيدة أو سنيها، شافعي المذهب ، أوحنيفيه .

الخوارج حزب كما سبق وذكرنا ، وليسوا فرقة، ولم يكن اختلافهم مع علي وخروجهم عليه بسب أختلافهم في الأصول ، ولكنهم ادعوا أن قبوله التحكيم أمر مخالف للدين، فكونوا حزباً معارضاً لا يحتكم الا إلى السيف، ولذلك قال علي كرم الله وجهه :
لاتقاتلوا الخوارج من بعدي فإنهم قوم طلبوا الحق فأخطأوه.

ويرى بعض المؤرخين أن خروجهم كان بتحريض من بعض العناصر التي تريد شراً بالإسلام، أو من بعض العناصر التي دسها معاوية بن أبي سفيان في جيش علي .

ونعود فنقول :إن الشيعة بإعتبارها حزباً ، فإن الجدل بينها وبين الآخرين لايتجه بأساسه وجهة دينية حادة، وحدته تخف من الوجهة الدينية كثيراً فلا يرمون غيرهم ولايرميهم هذا الغير بالخروج عن الأصول .

المرجئة: ليست حزباً دينياً، ولا فرقة دينية، وإنما هي "نزعة" لاتناهض ولاتعارض.

الجهمية : نسبة إلى جهم بن صفوان، تقول بالتعطيل ، فهي ليست "نصيّة" وتقول بالجبر فهي ليست "عقلية" إنها مذهب متأرجح لذلك بقيت<< فكرة>> ولم تصبح فرقة إذن فالشيعة والخوارج أحزاب دينية والمرجئة" نزعة" والجهمية "فكرة" أما المشبهه والمعتزلة والأشاعرة والتيميون ففرق دينية

وتختلف هذه الفرق مع بعضها بحسب موقفها من العقل كأساس .
فالمعتزلة يعتمدون العقل . أما "النص" فلأنه يحتمل عدة معاني فيؤول بحسب ما يراه العقل.

والمشبهه يأخذون بظاهر "النص" ومعناه الحرفي ، ولايعبأون بمجافاة المعنى الحرفي للنص ولايقيمون وزناً للإستعارة والكناية والمجاز .

والمعتزلة والمشبهة طرفان والإختلاف بينهما شامل .

وبين المعتزلة والمشبهة ، يأتي الأشاعرة والتيميون .

الأشاعرة أقرب إلى المعتزلة ، فهم يستعملون العقل ، ولكن للنص عندهم منزلة،

التيميون يعتمدون "النص" ولايعتمدون العقل . (١)

---

(١) اعتمدنا في هذا البحث على الشهرستاني، وابن خلدون، والرازي، والتفكير الفلسطيني في الإسلام والفرق بين الفرق للبغدادي ومقالات الإسلاميين للأشعري.

الباطنية

تعريف :

الباطنية هي تأويل النص تأويلاً يختلف عن المعنى الظاهر .

والذين يقولون بهذا الرأي ويقومون بهذا العمل يقال لهم الباطنية .

ولقد عرفت الباطنية عند اليونان كما عرفت عند اليهود والمسيحية والإسلام .

ولقد أول شعراء ونقاد الأغريق شعر هوميروس تأويلاً باطنياً. كما أول اليهود توراتهم تأويلاً باطنياً ، وخاصة "فيلون" الذي أول كل نصوص التوراة تأويلاً باطنياً ، يخرجها من البساطة والسذاجة إلى معنى باطني يكسبها صفة العمق والقداسة والقبول . فالجنة هي ملكوت الروح ، وشجرة المعرفة هي الحكمة – وقابيل هو الأناني ، وإبراهيم هو النور والعقل ، وسارة هي الفضيلة وهاجر هي ...

والتأويل الباطني في المسيحية يتجلى في المسيح المتجسد ، وباطناً هو الأقنوم الثاني ، والأب هو الله ، ودمه هو الخمر , والصلب هو حمل الخطايا عن الجنس البشري .

وفي الإسلام جاء لفظ التأويل في أربعة عشر آية في القرآن ، ولفظة "الباطن" جاءت في أربعة آيات ، ولفظة الظاهر في ثمان آيات، ولاترد لفظة الظاهر غالباً إلا مقرونة بلفظة الباطن .

وجاء في الحديث عن أبي هريرة : أن رسول الله أعطاني وعائين من العلم ، أحدهما هو الذي أحدثكم فيه، وأذيعه بين الناس ، والثاني لو أذعته لقطع هذا البلعوم !!!

وجاء منسوباً إلى الحسن بن علي بن أبي طالب ، أو إلى زين العابدين

يارب جوهر علم لو أبوح به لقيل لي أنت ممن يعبد الوثنا
ولا ستحل رجال مسلمون دمي يرون أقبح ما يأتونه حسنا

والتفسير الصوفي في الإسلام تفسير باطني بحت ، وللمتصوفةِ إشارات ورموز وعبارات كلها باطنية ، وتحتاج إلى تأويل ، وكل أشعارهم لاتدرك مقاصدهاإلا بالتأويل ، ولهم معجم خاص لا يمكن أن تحل رموزهم إلابالإستعانة بهِ ، ويستحيل على أي دارس أن يدرك مقاصدهم إلا إذا أعتمد هذا المعجم واستعان به .

والكناية والإستعارة والمجاز بنوعيه الحقيقي والمرسل ، يدخل في باب التأويل ويرمي إلى معنى غير المعنى المباشر

والأحلام تستبطن رموزاً ووقائع لايستدل عليها إلا بالتأويل، فالشمس والقمر والكواكب وسجودها ليوسف ، أولها أبوه يعقوب بأبنائه الأثنى عشر ، ونهى يوسف عن أن يقص رؤياه على أخوته حذر كيدهم له .

والبقرات السمان بالسنوات الخصبة ، والعجاف بالسنوات الجدباء، ومثلها السنابل الخضر واليابسات .

والسجينان اللذان حلم أحدهما بإنه يسقي سيده خمراً ، بالناجي ، والثاني الذي حلم بأنه يحمل خبزاً على رأسه تأكل الطير منه بالصلب.

وإذا جردنا الأدب والشعر خاصة من المجاز والكناية والإستعارة وما يحتاج الى تأويل سقط القسم الأكبر منه .

دانتي في " مطهره " والمعري في " غفرانه " وأبن الطفيل في " حي بن يقظان " وكليلة ودمنة ، والمدينة الفاضلة ، وأمثالها كلها تحمل مدلولات وراء ظاهرها ، وتحتاج الى التأويل .

ويحدثنا تاريخ اليهودية ، ومفسرو الكتاب المقدس – العهد القديم – أن نشيد الإنشاد لسليمان استعصى على كل مفسري التوراة لولا التأويل ، والاعتماد على المعنى الباطني الذي لايهدي اليه المعنى الظاهر .

واذا كانت "الباطنية " وممارسة التأويل عند كل الأمم والشعوب وفي كل الأديان والأداب وخاصة في الإسلام فلماذا هذا النعاق والنعاب اللذان يطلع علينا بهما بين الحين والآخر بعض مؤرخي هذه المرحلة من المسلمين متهمين اخوانهم في الدين من الفرق الإسلامية وخاصة العلويين والإسماعيليين والدروز بالباطنية والتأويل. وأن هذا – أي التأويل – ينكره" الاسلام " متخذين من ذلك وسيلة للتشنيع عليهم والإيقاع بهم ، وليس عهدنا بالدكتور محمد أحمد الخطيب ، وسيد

طنطاوي مفتي الجمهورية المصرية وعمر حسن عمر، وعمر تدمري وكل هؤلاء وأضرابهم ليس عهدنا بهم ببعيد .

يضاف الى هؤلاء الدكتور عبد الرحمن بدوي ، والحسيني عبد الله ، وعبد الحسين مهدي العسكري ويأتي معهم الجزويتي الشهير أبو موسى الحريري ، والأصح إنهم هم يأتون معه !!

هذه السلسلة بدأها الاصطخري بطلب من الخليفة العباسي ، وجاء بعده الغزالي نزولا" عند إغراء الخليفة المستظهر العباسي فأبن تيمية، فنوح الحنفي .

هذه الأسماء – على ما هي عليه من العلم والمعرفة – سخرتهم السياسة لأغراضها ، واتخذت منهم أداة لقمع معارضيها، ووسيلة لتثبيت سلطتها ، وتكرس نتيجة لذلك العداوة بين فئات المسلمين . ولقد أحسن المكزون في وصف أسباب ذلك العداء قائلاً:

قد بدت البغضاء منهم لنا كما لهم منا بدا الحب
وما لنا إلا موالاتنا لآل طه عندهم ذنب

العلويون والإسماعيليون والدروز لم يأتوا بالباطنية بدعة ، ولا اعتمدوا التأويل إنحرافاً وإنما تسرب إلى بعض مجتهديهم شيء من ذلك من بعض مجتهدي ومتصوفي الفئات الآخرى من المسلمين، وتصوف العلويين والإسماعيلين والدروز تصوف عملي زاهد ،

والسياسة فرضت عليهم عزلة تامةٍ عن الآخرين فطاب لهؤلاء الأخرين التقول بما يشاؤون عنهم .

لايوجد لدى العلويين والإسماعيلين والدروز تصوف ذا تقنيه وممارسات باطنية كما هو الحال عند بقية فرق الإسلام المغرقين في الرمزية والباطنة والتأويل .

ونستسمح القراء ومن يعنيهم الأمر بسوق الأدلة ، والأمثلة ، والشواهد والوثائق على مدى التأويل والباطنية عند أعلام المتصوفه من المسلمين ، والذين يحاطون- رغم باطنيتهم وتأويلهم - بهالة من القداسة ولا تلفظ أسماؤهم إلا مقرونة بـ "قدس الله سرهم".

هؤلاء الأعلام الذين نقدمهم كنماذج للباطنية ويعتبرون عند مريديهم وعند الغالبية من المسلمين "أقطاب" وإنهم أصحاب" كشف " " وأسرار" ومواجيد وذوق وحب وطرق ، ولانستطيع حصر عددهم ولاتقصي أعمالهم وخوارقهم وأقوالهم لكثرتهم وكثرتها.

وأول ما نتساءل عن هذه القطبية فماذا يعني" القطب " أو "الغوت"(١)؟؟؟
يقولون القطب هو المحور الذي تدور عليه الرحى وإصطلاحاً هو الإنسان المتصل بالله.

---

(١) راجع بحثنا عن عبد القادر الكيلاني في هذا الكتاب

وهذا الأتصال برأي القائلين بالقطبيـةإما أن يكـون وحـدة تامـة أي تنفي <<الاثينية>> فلم يعد هنالك رب ،ومربوب.

وإما أن يكون إتحاداًوفي هـذه الحالـة لاتنفـي الإثنيـة ولكـن يرتفـع الإنسان إلى الله وإما أن يكون"حلولا" وفي هذه الحالة يهبـط اللـه ليحـل في الإنسان .

والقطب في عرف هؤلاء هو نقطة مدار الوجود ، والوجـود يقـوم عليه كما تقوم وتدور الرحـى علـى قطبهـا ،ويعلـم المـاضي والحـاضر والمستقبل .

١- محي الدين بن عربي.

من هؤلاء الأقطاب - على سبيل المثال - محي الدين بن عربـي، الذي له أقوال باطنية في المرأة نربأ بأنفسنا أن نوردها بكتابنا(١) ومـن يقرأ بعـض رسـائله تتـولاه الدهشـة والحـيرة مـن تلـك الشـطحات والتجاوزات الباطنية !! والتقحمـات ، والإغـراق فـي الإستبطان وإلـى القراء بعض من شعره :

للـه سـر لـو بدا مـا اهتـــدى بـه رجـال الأعيـن العمـش
واللـه مـا أخفيتـــه عنهـــم إلا لمـــا فيـه مـن الفحـــش

أبو هريرة أخفى وعاءه الثاني من العلم الذي أعطاه له رسول الله خوفاً على بلعومه من القطع ، أما إبن عرابي فيخفيه عن طالبيه لما

---

(١) راجع فصوص الحكم لابن عربي(حكمة فردية في كلمة محمدية)

فيه من الفحش فما هو هذا السر الفاحش ؟

سر الله الخفي ؟؟

ويقول :

عـم بالغفـران أربـاب الذنـوب بعـد أخـذ وبتـداء للعمـــوم

غيـر أن الأمـر قـد قسّمـــه بين سكنـى فـي جنان وجحيـم

وكلا الصنفيْـنِ فـي رحمتـــه فـي التـذاذ دائـم فيه مقيـم(١)

فبشرى لأصحاب الجحيم فأنهم منعمون تنالهم الرحمة في مذهب الشيخ الأكبر ، المذهب الذي يسقط فيه العقاب والعذاب عن المشرك والكافر والجاحد ، وكل مرتكبي المعاصي !! أخذ هذا المعنى أحد الشعراء المعاصرين فقال:

وللخلود على أهل الجحيـم يـد تجزى مع الدهـر شكراناً بشكران

الخالدون لطـول العهـد قد ألفـوا بقاعهـا نضـج أرواح وأبـدان

لايألمون ، ولا تشكو جسومهـم من اللظى فهي نيران بنيـران

وربما خطبت والحفـل محتشـد سجينـة من ضحاياهـا لسجـان

ولكن الشاعر هنا يعرض علينا تصوراً خيالياً بينما الشيخ الأكبر يعرض إعتقاداً مصدره الإيمان .

ولقد جاء هذا المعنى عند متصوف باطني تأويلي آخر هو" الجيلي"في كتابه " الإنسان الكامل " : " إن إبليس والشياطين والكفار منعمون في النار كما أن أدم والأنبياء منعمون في الجنة (٢) .

---

(١) ديوان ابن عربي ص١٥٢

(٢) زندقة الجبلي لعبد الرحمن الوكيل

إذن فلماذا التقيد بأوامر ونواهي الكتاب ،ومنطوق الشريعة، والإمتناع عن المتع والملذات؟؟ والخوف من الحساب والعقاب ؟ طالما تساوت الجنة والجحيم بالمصير والخلود ؟ وكيف يؤولون ذلك ؟؟

ما قول المؤمنين بإسرار وكشف هؤلاء وعمق أسرارهم ، بقول الله: لايستوي أصحاب الجنة، وأصحاب النار ، أصحاب الجنة هم الفائزون:

ويقول أبن عرابي (١)

أسبح الله بأسمائه ... من كل مذموم ومحمود
وكلهم في حمده محسن ... وأن أتوا فيه بتحديد
والله أني عابد للهوى ... ليس له !! فأين توحيدي

وفي القرآن الكريم : أفمن إتبع الهه هواه، وأضله الله على علم ... الآية

وفي نفس الصفحة يقول :

يا من إذا أبصرته ... أبصرت نفسي وإذا
أبصرني أبصر ... ايضاً نفسه معوذا

وفي هذا المعنى يقول متصوف مستبطن أخر هو عبد الغني النابسي

وما أنا إلا من أحب وأن من ... أحب أنا من غير شكٍ وشبهة

والمكزون يقرع القائلين بهذا المذهب (٢)

حاجج لمن قال : أنا أنت ... بالضرب وبالشتم وبالصكّ
وإن أبى ذا منك قل قدملت ... عن توحيدك المحض إلى الشرك
إذ رحت لما عفت ذا مثبتاً ... لغيرك الفعل بلا شك

---

(١) ديوان ابن عربي ص٩٣

(٢) ديوان المكزون تحقيق الدكتور أسعد علي ومخطوطة الظاهرية

ويقول أبن عربي (١)

وعـلة هذا الأمرأن لـيس فاعــل سواه وإن الحـق بالحـق يفعـل
فمـا كان من حمـد فحق محقـق ومـا كان من ذم فحـق معـــلل
وما ثم إلا الحق ماثـــم غيـــره ولكنهـم قالوا : محق ومبطـــل

وفي القرآن الكريم : ذلك بإن الله هو الحق وما تدعون من دونـه فهو الباطل

ويقول بالقطبية و يدعوه الإمام :

ان الإمام هو الذي شهـــدت لـــه صـم الجبال بكونـه معبـــودا(٢)

ويقول:

مـــالي إستنـــاد ولا ركن ولا وزرٌ إلا إلـــيّ ومنـــي النفـع والضـــرر
لـي التحقق فـــي عينـــي يحققـــه علمي وكشفي، فمني السمع والبصر
لولاي مـــا كان للأسمـــاء من أثـــر أنا المسمـي فلـي الأسمـــاء والأثـر
أنظـــر إلينابنـــا تلقـاه عيـــن أنـــا فالناظر الحق و المنظور والنظـــر

ويقول في فصوص الحكم : إن الله هو الذابح والمذبـوح والنـاكح والمنكوح.

---

(١) ديوان ابن عربي ص٩٤

(٢)ديوان المكزون تحقيق الدكتور أسعد علي ومخطوطة الظاهرية

٢-عبد الغني النابلسي

عبد الغني النابلسي من كبار متصوفة المسلمين في القرن الثاني عشر الهجري ت ١١٤٣حنفي شارح فصوص الحكم لأبن عربي ومن مدرسة " وحدة الوجود " والحلول وحمل التعابير والإشارة على معانٍ باطنية تأويلية يقول في الله تعالى من أقواله :

عرفناه محبوبا مليحا مهفهفا ... لأنواع خطاب الجمال عروس
وبعنا به وهو الدراهم وهو ما ... نبيع ونشري فيه وهو فلوس
وماءً شربناه وخمراً وخبزةٍ ... أكلناه وإندارت بذلك ضروس
وعفناه دوداً في شراب ومأكل ... ونفليه قمل في الثياب وسوس
وذلك من حيث الصفات التي له ... فكل ظلالات له ومكوس
ومن حيث شأن الذات فهو منزه ... وفيه إمحاء للورى وطموس
فخذ بمقالي وأنتسب لطريقتي ... ولاتك ممن طيشته دروس

وله قصيدة على وزن تأئية إبن الفارض المسماة " نظم السلوك " يتناول فيها معتقده، ورموز هذا المعتقد ومما جاء فيها :

أردت ظهوري لي ، وما كنت خافياً ... فطورت في الأطوار في كل صورة
وطوّرتُ أملاكي ، فلي كنت عابداً ... وطورت أفلاكي ، فدارت بقدرتي
وفي كل أدوار الشياطين بينكم ... ظهرت بوسواس لأصحاب شقوة
واسجدت أملاكي ، بأمري لمظهري ... فكل سجود لي وآدم قبلتي
وأظهرت من صلبي جميع مظاهري ... بصورة ذَرٍ للعهود الوثيقة
واشهدتهم عني ألست بربكم ... فقالوا بلى طوعاً بنفس مطيعة
وأول أطواري الكوامن، أنني ... لآدم شيئاً كنت ، وهو عطيتي
وأصبحت في شكل النبي محمد ... إلى الله أدعوا الناس في أرض مكة
ومن بعد ذا ما زلت أظهر دائماً ... على أمد الأزمان في كل هيئة
وكل الذي أبديته للك ناظماً ... فمن فوق أطوار العقول السليمة

وفي ديوانه ص ٥٨- ٥٩

ويـــح إنســـان ينـــاجـــي صـــورة ذات انفعـــــال
يعبـــد اللـــه الـــذي فـــي قلبـــه ولايبـــالـــي
وإذا قيـــل لـــه ربـــك بـــادٍ فـــي الجبـــال
وبـــإرض وسمـــاء وريـــاض وظـــلال
وبـــنـــاس وبـــجـــن وبـــامـــلاك عجـــال
وبـــإطيـــار ونـحـــلٍ وبـخيـــل وبـغـــال
قـــال فـــي إنكـــاره مـــا قـلتـــه يبغـــي جـدالـــي
يتعـــالـــى اللـــه عمـــا قلتـــه يـــا ابـــن الحـــلال
كـــل هـــذا هـــوخـلـــق قلتـــه لـــي بإحتفـــال
جـــل ربـــي وتعـــالى عنـــه فـــي كـــل مجـــال

وفي الصفحة٥٦ من ديوانه:

ولـــي فـــؤاد بالجمـــال مغـــرم يدكـّه محبـوبـه دك الجبـــل
واللات والعزى ظهـــوران لـــه ومـا وراهمـا، ومـا ورا هُبـــل

وفي ص ١٣٠

أمامنـــا الأعظـــم في ظاهـــر وشيخنـــا الأكبـــر في البـــاطن

ومعلوم أن الأمام الأعظم هو أبو حنيفة والشيخ الأكبر هو محي الدين أبن عربي في مصطلحهم .

وفي ص١٣٥

ظاهر العلـم في الصحـابة بـادٍ وهو علم التكليف إنساً وجانـاً
والـذي قـد بدا بنـا هـو سـرّ زاد عن كل باطـن إيطـانـاً
وهو علـم الإله يظهـر فيمـن يقـرأ اللـه ذاتـه قـرآنـاً

وإلى هذا المعنى أشار إبراهيم الدسوقي :

ألا يا لقومـي قد قرأتـم مذاهبـاً ولـم تدُرَ يا قومـي رموز مذاهبنا
مذاهبكـم نرفو بهـا بعض ديننـا ومذاهبنـا غمى عليكـم وما قلنـا

وفي ص ١٥٨ من ديوانه يقول عن الله:

هـو المعلـوم والمجهـول والمخفـي والبـادي
هـو الشمس التـي لاحـت وبـدرالأفـق فـي النـادي
هـو المغـوي والغـاوي هـو المهـدي والهـادي
هـو المدعـو بانسـاب وأنسـالٍ وأمجـاد
وأعمـام وأخـوال وآبـاء وأجـداد
ثيـاب كلهـا يبـدو بهـا من خلـف أضـداد
وتسـتع تـلك أعـراض إليـه ذات إرشـاد
تسمـى الكـم مـع كيـف وأيـن عنـد نقـاد
متـى والوضـع مـع مـلك إضـافـات بـأسنـاد
وفعـل وإنفعـال وهـي معلـومات إرشـاد
تجلـى ربنـا فيهـا لتقـريـب وابعـاد

فـالمقولات العشر فـي المنطـق : الكم والكيـف والأيـن والمتـى والوضع والملك والإضافة والفعل والإنفعال كلها " اعراض" ولكن اللـه تجلى فيها – علـى زعمـه –فظهر فـي العدد والهيئـة وضمـن إطـاري الزمان والمكان (الاين والمتى) إلى آخر المقولات!!

والشاعر المكزون يخالفه ولا يرى هذه الرؤية :

جل عن التحويل والحلول في الأيـ ـن وعن قـول مقـال مـن هـجر
مجـرد منـفرد منـزه عن الأسامـي والصفات والصـور

فإذا كانت هذه الباطنية قادت رجالاتها ومن يقولون بها ومن تبعهم إلى إنزال الله في الإنسان، وإحلاله في كل أعيان الوجود ما طاب منها وما خبث وما صغر منه وما كبر ورفعت الإنسان حتى صار عين الوجود وقطب لكل موجود ، وصار الحركة والمحرك...إذا كانت هذه هي باطنيتهم فما هي " الظاهرية" عند البعض الآخر ؟؟

قال أبن قيم الجوزية وهو فقيه حنبلي متكلم جدلي وتلميذ لأبن تيميه ، لازمه وسجن معه في سجن قلعة دمشق وقاوم الفلاسفة وتوفي سنة ٧٥١ .

قال يصف نساء الجنة التي وعد الله بها المتقين . وجاء هذا الوصف في كتابه " حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح" في قصيدة نختصر منها ما يلي :

والصدر متسع على بطن لها ... حفت به خصران ذات ثمان
وعليه مجمع سرة هي مجمع الخـ ... صرين قد غارت من الآعكان
حق من العاج استدار وحوله ... حبات مسك جل ذو الإتقان
وإذا انحدرت رأيت أمراً هائلاً ... ما للصفات عليه من سلطان
لا الحيض يغشاه ولا بول ولا ... شيئ من الآفات في النسوان
فخذان قد حفا به حرساً له ... فجنابه في عزة وصيان
قاما بخدمته هو السلطان بينَ ... هما وحق خدمة السلطان
وجماعها وهو الشفاء لصبّها ... فالصب منه ليس بالضجران
وإذا يجامعها تعود كما أتت ... بكراً بغير دم ولانقصان
فهو الشهي وعضوه لاينثني ... جاء الحديث بذا بلا نكران
والناس بينهم خلاف هل بها ... حبل وفي هذا لهم قولان

هذا الفقيه يعتمد في قوله على "الحديث" كما يشير البيت العاشر وربما وردت في صحاح الأحاديث أما الأوصاف الأخرى فهل جاءت

بها أحاديث أيضاً؟ أم أن هذا " الفقيه " بلغ درجة " الكشف " !! مع أن " الكشف " خاص بأصحاب " البواطن ؟؟

ومن الفقه الظاهري ما جاء لابن حزم إمام الظاهرية ، في كتابه المحلي ١١/١ إذا ولغ الكلب في إناء سواء كان كلب صيد ، أو غيره صغيراً ، أم كبيراً، فيجب إهراق ما فيه كائناً ما كان ، ثم يغسل بالماء سبع مرات ولا بد، أو لاهن بالماء مع التراب ولابد ، وذلك الماء الذي يطهر به الإناء طاهر حلال ، ولكن إذا أكل الكلب في الإناء ولم يلغ فيه أو إذا ادخل فيه رجله أو ذنبه ، أو وقع كله فيه ، لم يلزم غسل الإناء ،ولاهرق ما فيه ،وهو طاهر حلال كله كما كان !!

ويعلل إبن حزم ذلك في كتابه الذي أشرنا إليه كما يلي: الماء الذي يغسل فيه الإناء طاهر لأنه لم يأتي نص باجتنابه ولا شريعة ، إلا ما أخبرنا به عليه السلام أي إنه لا يشترط في التحريم إلا في حال " الولغ" فقط(١)

وجاء لأبي داود الأصبهاني رئيس المذهب الظاهري وأستاذ أبن حزم المتوفي ٢٧٠ هـ قوله : بول كل حيوان ونجوه طاهر ، سواء أكل لحمه أم لم يؤكل ، حاشا بول الإنسان ونجوه فهما نجسان(٢).

ويقول عز الدين بن عبد السلام وهو من أكابر المجتهدين ، قال أهل الظاهر : من ترك الصلاة أوالصيام لايلزمه القضاء لأن القضاء ورد في الناسي والنائم وهما المعذوران ، وليس المتعمد في معنى المعذور ، ولما قالوه وجه حسن ، لأن الصلاة ليست عقوبة من

---

(١) المحلي ١٦٩ الدكتور عمر فروخ ١٣١

(٢) أضواء على السنة المحمدية ص٢٢٧

العقوبات حتى يقال: إذا وجبت على المعذور فوجوبها على غير أولى!!

والشمس حتى الشمس فيما يروونه عن أبن عباس تغرب وتتخس عند الشروق ، وترمى بالثلج من ملائكة مولجون بهذا العمل لتسير مكرهة من الشرق الى الغرب (١)

ويدخل في باب هذه الظاهرية الساذجة السطحية ماجاء لأحد الفقهاء في صفة الأمام الذي يؤم القوم في الصلاة ولايجوز إلا إذا انطبقت عليه احدى الصفات التالية :
١- السلطان ٢- ولي السلطان ٣- الأحسن خلقا" ٤- الأحسن وجها" ٥ -الأكثر بشاشة ٦ -الأحسن صوتا " ٧ - الأحسن زوجة ٨- الأكثر مالا" ٩ - الأكثر جاها" ١٠ - الأنظف ثوبا" ١١ - الأكبر رأسا" ١٢ - الأصغر عضوا"- ذكرا"

جاءت هذه الشروط في كتاب " الفلاح شرح متن الإيضاح " للشيخ حسن الشرنبلاني ص ١٢٠ وأوردها نقلا" عن الكتاب المذكور أحد الفقهاء البارزين المعاصرين محمد وحيد الجباوي (٢)

وهكذا كما أنتهت الباطنية بأعلام التصوف الى احلال الله في موجودات الكون ، أو الى رفع الأنسان الى الله ، فأن الظاهرية - وكما يرى القاريء - انحطت بأصحابها الى هذا الدرك من الأسفاف.

---

(١) راجع كتابنا المكزون السنجاري ج٣ ص٢٠٣

(٢) بدعة التعصب المذهبي لمحمد عباسي ص١٩٣ طبع دار الوعي العربي

ها نحن كما يظهر ، وكما هو واقع بين " باطنية " مغلقة مغرقة في التأويل والإستبطان ، وبين"ظاهرية " سطحية ساذجة مسفة، وكلاهما – الباطنية والظاهرية كما أوردناهما – بعيدة عن عمل العقل، مجانبة له ، مظاهرة عليه .

والمكزون يشير الى هذه " الباطنية المغلقة " والى هذه"الظاهرية " الساذجة بقوله :

أغووا " بظاهر " ما ردوا جل الورى وبزعمهم طرق " البواطن " سددوا

والأغرب من هذا كله أن يقوم أربابهما والمؤمنون بهما ، والمنقطعون اليهما والذين يعيشونهما اعتقادا" وعملا" ، فيلقون تبعاتهما على الأخرين والأخرون يستنكرونهما ويبرأون من أثمهما ووزرهما ، وقبح القول فيهما !!
هنا يصح القول :رمتني بدائها وأنسلت

الايحق لنا – وهذه الوثائق بين أيدينا ن ويمكن القول أن تاريخ هذه الفئات كله وثائق – أن نسأل السادة كتبة التاريخ المعاصر والقديم، ونخص المعاصرين ، ومنهم الدكتور محمد أحمد الخطيب والدكتور عبد الرحمن بدوي وعمر تدمري وأمثالهم ممن يدرج على طريقهم ، وينسج على منوالهم ، ويعب من موردهم ، هؤلاء الذين جعلوا همهم كل همهم ، وصرفوا وقتهم كل وقتهم ، وكدوا حناجرهم وعقولهم، وأحفوا أقلامهم ، وأوقروا المطابع بأوراقهم ، والمكتبات بمؤلفاتهم،

حول باطنية العلويين والأسماعيلين والدروز ، هذه الباطنية المفتراة، هذه الباطنية – أن وجد شيء منها – فإنها رذاذ من مطر هؤلاء الأعلام الذين لايلفظون أسماءهم إلامقرونة " بقدس الله أسرارهم " !!

هؤلاء الاعلام أرباب – قدس الله سرهم – لماذا لم يكونوا – على ما هم عليه – محلا" لاهتمام ودراسات المؤرخين المعاصرين ! لماذا لم يركزوا على ما لديهم من" باطنية " مغرقة في التأويل ؟ باطنية تنزل الله من سدرة المنتهى ليتقمص انسانا ، وليت الأمر أقتصر على الأنسان فالأنسان خليفة الله في الأرض ،لكن أن يحل في كل شيء حتى في الجمال والبغال والدود والسوس واللحم والخبز (راجع أشعار أبن عربي والنابلسي في هذا البحث) هل لهم أن يوضحوا لنا هذا ؟

ما هذه "الغوثيه " – القطبية – التي تتحكم – كما يزعم التاريخ – بنواميس الكون ، فترد الشمس لأمر بسيط (١) وتحي العظام (٢) وتخرج – متى أرادت – عن نطاق الزمان والمكان

وأخيرا" نقول ونلح ونلحف على هؤلاء المؤرخين والمعاصرين – كما ألححنا وألححنا من قبل – أن يعملوا عقولهم ، ويتجردوا من

---

(١) راجع في بحث المبالغات كيف رد خادم القطب اسماعيل الحضرمي الشمس حتى وصل بيته

(٢) راجع نفس البحث كيف احيا القطب عبد القادر الكيلاني الدجاجة

أرواح أجدادهم ، ويطهروا أرواحهم وقلوبهم ، ونفوسهم وأقلامهم وأفكارهم من التراث الحاقد رحمة بأنفسهم وأمتهم ، وتاريخ أمتهم .
أن الصدور التي تختلج بالأحقاد وتعشش فيها العصبية المقيتة لانصيب لها من راحة الأيمان.

والقلوب التي تعتلج فيها الضغينة والكراهية والبغضاء لاتنعم بالهدوء والطمأنينة وأن الأقلام التي تتحرك بإثارة الفتن ، ونشر المذهبية الضيقة لاتلقى قبولا" لدى النفوس الواعية .
لماذا نكيل التهم جزافا" ، ونحن المتهمون حقيقة ؟؟
لماذا نرى القذى في عيون الغير ولانرى الخشبة في عيوننا ؟(١)
ياأخي لاتمل بوجهك عني ما أنا فحمة ولاأنت فرقد !!

(١) لماذا لا يعلق ويبدق هؤلاء المؤرخون المعاصرون على ما جاء في حلية الاولياء لأبي نعيم؟ والرسالة القشيرية، ولواقح الأنوار للشعراني، وتذكرة فريد الدين العطار، وقوت القلوب لإبي طالب المكي، واللمع للسراج الطوسي، وغيرها ليعلموا الى أين يوجهون اهتمامهم

المبـالغـات

يحتفض لنا تاريخنا المجيد بكثير من الروايات التي لم يرض لهـا رواتها أن تتجاوز الاعتدال، ولا أن تقف عند المبالغة ، بل خرجوا بهـا إلى الاستحالة والخروج عن إطار الزمان والمكان المعنويين والماديين، مثل طي الأرض لبعض الصالحين، والطيران ذاتياً في الهواء، وبلـوغ أقصى المسافات في لحظة، ثم السيطرة على عـالم الكواكب ومنهـا ردّ الشمس، أو ايقافها ليصل بعض الاولياء إلى بيته .

أمثلة على ذلك ليرى القارئ- القارئ الذي يؤمن بالعلم والعقـل- ما نحن؟ وأين نحن من حقائق الكون والحياة والعلم؟؟

١-ذكر الحافظ بن عساكر مؤرخ دمشق الكبـير فـي ٣/٢٣٦: أن بشـر الحافي نقل رجلاً من مكان يبعد عن بغداد مسافة اربعين فرسخاً فـي لحظات

٢-ذكر صاحب مرآة الجنان ٣/ ٤١١ أن أبا الحسن علـي قـال: كنـت جالساً عند باب خلوة خالي الشيخ أحمـد الرفـاعي ت ٥٨٧ وليس فيهـا غيره فسمعت حساً عنده فنظرت فاذا رجل عنده لم اره من قبل فتحدثـا طويلاً ثم خرج الرجل من كوة في حائط الخلوة ومر في الهواء كالبرق الخاطف!! فدخلت على خالي وقلت: من الرجل؟ فقال: أورأيتـه؟ قلـت: نعم. قال: هذا الرجل الذي يحفظ الله به قطر المحيط!!!

٣-وجاء في شـذرات الذهـب ٥/ ٢١١ عـن خـادم الشـيخ جـلال الديـن السيوطي ت ٩١١ أن الشيخ قـال لـه وقـت القيلولـة: وهـو عنـد زاويـة الشيخ عبد الله الجيوشي بمصر بالقرافة: أتريد أن تصلّي العصر بمكـة

بشرط أن لاتتكلم بذلك حتى أموت، قلت: نعم!فأخذ بيدي وقال: غمض عينيك، فغمضتهما، فمشى بي سبعاً وعشرين خطوة، ثم قال: افتح عينيك فإذا نحن بباب المعلاة، فزرنا أمنا خديجة، والفضل بن عياض، وسفيان بن عيينه، ودخلنا الحرم فطفنا، وشربنا من ماء زمزم، وجلسنا خلف المقام حتى صلينا العصر، ثم ارجعني بنفس الطريقة إلى مصر.

٤-ذكر السخاوي في طبقاته أن الشيخ مَعَالي سأل الشيخ سلطان بن محمود البعلبكّي المتوفي ٦٤١ كم مرة رحت إلى مكة في ليلة؟ قال ثلاث عشرة مرة، فقال الشيخ عبد الله اليونيني، لو اراد أن لا يصلي فريضة الا في مكة لفعل (١)

٥-ذكر الحافظ بن الجوزي في صفوة الصفوة/ ص ٢٢٨ عن سهل بن عبد الله: أن رجلاً قطع مسافة سبعمائة فرسخ ليلحق بصلاة الصبح

٦-وذكر الشعراني في الطبقات الكبرى١/١١٠ قال: الشيخ عبد القادر الجيلاني أقمت في صحراء العراق وخرائبه ٢٥ سنة مجرداً سائحاً، لاأعرف الخلق، ولا يعرفونني، تأتيني طوائف من رجال الغيب والجان أعلمهم الطريق، ورافقني الخضر، وما كنت أعرفه، وشرط الا أخالفه، وقال لي: اقعد هنا، فقعدت في الموضع ثلاث سنين، ومكثت سنة في خراب المدائن اشرب الماء، ولا أكل المنبوذ، وسنة أكل المنبوذ، ولاأشرب الماء، وسنة لاآكل ولاأشرب!! ونمت مرة في ايوان كسرىفي ليلة باردة فاحتلمت فقمت فاغتسلت، وتكرر الإحتلام٤٠ مرة.

٧- مات خادم للشيخ عبد القادر الكيلاني، وجاءت زوجة الخادم تبكي فتوجه الشيخ إلى "المراقبة" فرأي في عالم الباطن، ملك الموت يصعد

---

(١) شذرات الذهب ٥/ص٢١١

إلى السماء ومعه زنبيل فيه الأرواح المقبوضة فقال له: أعطني روح خادمي! فقال قبضتها بأمر ربي! فأخذ الزنبيل من يده فتفرقت الأرواح، وعادت إلى أبدانها وقال الله لملك الموت: إن الغوث الأعظم محبوبي، ومطلوبي (١)

٨- جاءت أمرأة إلى عبد القادر الجيلي وقالت له: إن ابني هذا متعلق بك فخذه، فقبله ثم جاءت المرأة بعد مدة لترى ابنها فإذا به نحيل مصفرّ من أكل خبز الشعير مجاهدة، ثم دخلت على الشيخ عبد القادر فرأت بين يديه إناء فيه عظام دجاجة، فقالت: يأكل أبني خبز الشعير وانت تأكل لحم الدجاج؟ فوضع يده على العظام فانتفضت الدجاجة، وصاحت ثم قال للمرأة متى صار أبنك هكذا، فليأكل مايشاء (٢)

٩- والشمس طيعة!!

روى السبكي واليافعي وابن حجر وصاحب شذرات الذهب وغيرهم: إن أسماعيل الحضرمي قال لخادمه وهو في سفر: قل للشمس أن تقف حتى نصل المنزل!!وكان في مكان بعيد، وقد قرب غروبها، فقال لها الخادم: يقول لك الفقيه اسماعيل الحضرمي قفي!! فوقفت!! حتى بلغ مكانه، ثم قال للخادم: أما تطلق ذلك المحبوس؟؟ فأمرها الخادم بالغروب، وأظلم الليل (٣)

---

(١) تفريج الخاطر في رحمة عبد القادر ١٢/٥

(٢) مرآة الجنان لليافعي ٣٥٦/٣

(٣) السبكي طبقات الشافعية ج٣٥٦/٥ مرآة الجنان ١٧٨/٤ شذرات الذهب لإبن العماده ٥/ ١٦٢ و ابن مجد في الفتاوي الحديثة ٢٣٢

وقال العلامة السخاوي في «العجب اللزومي» يُلاحي في هذه المعجزة جرياً على عادة شعراء المعسكرين!!

واعجباً من فرقة قد غلت ... من دغل في جوفها مضرم
تنكر ردّ الشمس للمرتضى ... بأمرطه العيلم الخضرم
وتدعي أن ردّها خادمٌ ... لأمر أسماعيلِ الحضرمي

الغزالي يخترق ستين حجاباً

روى عفيف الدين عبد الله اليافعي باسناده إلى القطب شهاب الدين احمد الصياد الزبيدي، وكان معاصراً للغزالي ومفتوناً به، قال: بينما أنا ذات يوم قاعداً (لاحظ أن الحادثة في اليقظة لافي المنام) اذ نظرت إلى أبواب السماء مفتحة واذا عصبة من الملائكة الكرام قد نزلوا ومعهم خُلَع خضر!! ومركوب نفيس!!، فوقفوا على قبر من القبور، وأخرجوا صاحبه، وألبسوه الخُلَع، واركبوه، وصعدوا به من سماء إلى سماء، إلى أن جاوز السماوات السبع، وخرق بعدها ستين حجاباً!! ولا أعلم أين بلغ انتهاؤه!! فسألت عنه فقيل: هذا الامام الغزالي(١)

هذه الرواية الساذجة الملفقة التي لاتجوز على عقول الأطفال، تكاد تكون مثلاً ونموذجاً لوثائق عديده في تاريخنا،ودليلاً على مدى تحرّيه عن الحقيقة العلمية واستخفافه بالمدارك والعقول!!

فهذه الصورة <<الكوميدية>> لم تراع القرآن الكريم كتاب الاسلام والمسلمين، فهي تخرج الغزالي من قبره قبل يوم النشور، ونفخ الصور، وبعثرة القبور، وهذا المركوب النفيس الذي اقتادته الملائكة معها من السماء ماجنسه ونوعه؟؟ والمضحك أن صاحبنا ظل يراقب الغزالي ورفاقه الملائكة وهم يجتازون السماوات سماءً سماءً، ويخترقون الحجب حجاباً حجاباً، وتمكن أن يبصرهم على رغم الأبعاد

---

(١) الدكتور الحوفي مجلة الثقافة وراجع كتابنا المكزون السنجاري ج٣

والمسافات بقوة نظره، ويضبط السماوات والحجب عداً، وهو قاعد متأنى لم يضطرب لفتح ابواب السماء!! ولالرؤية الملائكة!! ولاشق القبر وخروج الميت!! ولكن من هم الذين سألهم حتى عرف منهم أنه الغزالي؟؟

ما أصدق تاريخنا!! وما أوثق مصادره!! وما أوسع خيال كتابه؟ وما أجهلنا إن آمنا بهذه الأساطير!!!

ومن المبالغات أن بعضهم كان يختم القرآن في ركعة واحدة، وهذا يعني انه يختم القرآن احدى وخمسين مرة في اليوم والليلة اي بعدد الركعات الواحدة والخمسين!!

وبالغ بعضهم في المبالغة، فرووا عن الشيخ أبي مدين المغربي أنه كان يختم القرآن سبعين مرة في الليلة الواحدة!!!

هذه الكرامة بل هذه المعجزة تحتاج إلى عملية حسابية لتقرب من أفهامنا الكليلة!!

عدد كلمات القرآن الكريم على اصح الاحصاءات ٧٧٩٣٩ كلمة فإذا ضربناها في ٧٠ مرة فيكون لدينا ٧٠ × ٧٧٩٣٩ = ٥٤٥٥٧٣٠ كلمة

فإذا قسمنا هذا الرقم على ١٢ ساعة عدد ساعات الليلة فيكون الحاصل ٤٥٤٦٤٤ كلمة في الساعة الواحدة فإذا قسمنا الرقم على ٦٠

فيكون الحاصل ٧٥٧٧ كلمة في الدقيقة الواحدة!!

ولو فرضنا انه يقرأ بطريقة «الحدر»(١)

وهكذا يكون التاريخ والمؤرخون الذين يتحرون الحقيقة... الدقيقة

---

(١) القرآن الكريم يتلى على ثلاثة درجات كما قرر علماء «التجويد» ١ - الحدر وهي حالة السرعة ٢- التدوير وهي الوسط بين الحدر والترتيل ٣- الترتيل وهي الدرجة المأمور بها بقوله تعالى «ورتل القرآن ترتيلا» أما ٧٥٧٧ فلا يمكن تأديتها ولو تجاوز كل شروط القراءة.

ملحق

يحتوي على ما يلي:

١-لمحة عن هجرة القبائل العربية اليمنية القحطانية قبل الاسلام.

٢-لمحة عن هجرة ساكني جبال الساحل السوري، وتهجيرهم اليها.

٣-وحدة أنساب الكلبيين والسنجاريين والبانواسيين(١)

٤-شجرات نسب هؤلاء السكان وأصولهم العربية(٢)

٥-الأمير مرسل الكناني الكلبي التنوخي وأثره في أحداث القرن السابع الهجري.

٦-الأمير حسن المكزون ودوره في تلك الأحداث.

٧-وثيقة تاريخية بالغاء العشائرية.

---

(١) قال رسول ا (ص): تعلموا من الإنساب ما تعرفون به حسبكم وتصلون به أرحامكم.

(٢) اقتصرنا هنا على الأصول العربية لأنساب العلويين اما الفروع فلها كتاب لاحق.

تمهيد!!

منذ خمسة وعشرين عاماً عندما أخلصت النية، وعقدت العزم على الشروع بهذه الدراسة- دراسة المكزون السنجاري -مأخوذاً بما تشغله هذه الشخصية من مكانه أدبية، وما يتمتع به من روح علمية، وخاصة في الشعر والجدل والحجاج، وما استخدمه في التصوف من مصطلحات المنطق<<الارسطي>>الذي كان يعتبر في تلك الأيام لغة للفلسفة اليونانية، ومفتاحاً لآسرارها، ومدخلاً إلى حرم عالمها، تلك الفلسفة التي عرفها العرب والمسلمون عن طريق الترجمة في العصر العباسي الأول.

أقول: عندما صحت النية على اقتحام هذه المغامرة، وخوض تلك المعمعة، وارتياد هاتيك المجاهل، وارتياض تلك الجنان، حصرت الدراسة في عناوين رئيسية هي: الامارة والشعر، والفلسفة والتصوف.
وكما يرى القراء أن كل موضوع من هذه المواضيع يحتاج إلى كتاب خاص موسع للاخاطة ببعض جوانبه:
لم أعان في دراسة شعر المكزون وفلسفته وتصوفه- على ما عانيت- كل المعاناه، وكل الصعوبه لتوفر المصادر، والمراجع، والمظان.
أمّا<<الامارة>> وهي الجانب السياسي من حياة المكزون، وخاصة الغزو، واقتياد الجيوش، وامتشاق الحسام، فقد أرهقتني صعوبةً، وأتعبتني تتبعاً لندرة الوثائق
الفرض، والاحتمال، أمران يلجأ اليهما المؤرخ ولكن ليتدرج منهما إلى الحقيقة التاريخية.
وهذا عين ما لجأت اليه.

والدليل على صحة ما أقوله هو انني بعد هذه المدة الزمنية الطويلة- بعد خمسة وعشرين عاماً - أعود إلى تناول الموضوع، بعد أن هيأت لي المطارحات، والمناقشات، والرسائل التي تلقيتها خلال هذه المدة كثيراً من المعلومات التي تنير هذا البحث وتغنيه.

أثبتُّ في البحث المطوّل المدرج على الصفات ٦٥-٨٧ من الجزء الأول من هذه الدراسة أن المكزون لم يكن أميراً على سنجار العراق.

أما مجيئه إلى جبال الساحل السوري، مع مجموعة من أعقابه وأنصاره فأمر لايمكن تجاهله، ولاالشك به لوجود هذا العدد الكبير ممن ينتسبون اليه.

بقيت الغزوة! وكيف تمت؟؟

ورغماً عن أني بحثت هذا الأمر مستنداً على ما توفر لدي يومئذ من ثبوتيات، وما افترضته من احتمالات، فإن قناعتي يومذاك لم تشبع تطلّعي إلى المزيد من البحث.

وها أنا أعود لهذا البحث من جديد، آملاً أن أقنع القاريء بما توصّلتُ اليه.

مداخلة

هنا بعض المعلومات القيّمة، والتي ترفد بحثنا بمعطيات تاريخية علمية، والتي تفضّل علينا بها الاستاذ منذر حمودي عضو اتحاد المؤرخين العرب، وعضو الجمعية التاريخية بحمص: قال: منذ أكثر من عشر سنوات اطلعت على دراسات في بضعة مجلدات تتحدث في

بعض نصوصها عن تاريخ وحياة واعمال الشاعر المتصوف حسن بن يوسف الملقب بالمكزون السنجاري.

أعدت هذه الدراسات من قبل الشاعر الكبير المعروف حامد حسن، والموسوعي الدكتور أسعد علي فاعجبت بهما من حيث سعة الاطلاع والجهد الكبير كماً ونوعاً في مايمتّ إلى اعمالهما الفكرية فيما يتعلق بتحليل فكر المكزون بحسب النظريات والمفاهيم الروحية السائدة في زمنه، لكنني شعرت بضرورة ابداء الرأي تاريخياً، لذا أرجو أن تعتمد هذه الدراسة مشفوعة ببعض الملاحظات التي استقيتها على عجالة من أوراقي الخاصة المتعلقة بتاريخ سورية الاسلامية، علي بها أساهم في تبيان حقيقة هذا المفكر الكبير الشاعر المتصوف، علماً بأني لاادعي المنافسة لهما بل لست بالقادر أن أتحول إلى مجرد منافس

اولاً: في معنى لفظة المكزون.

١-جاء في القاموس المحيط: أن<<كزنة>> لقب محمد بن داوود الرازي المحدث.

٢-في اللهجة العامية المتأثرة: بالموالي، وبالقلب اللغوي للأحرف بأن<<الكازن>> هو الخارن، والجامع للشيىء.

٣-اذا كان لفظ المكزون عند بعضهم هو المكظوم أي بمعنى كاظم الغيظ، او المغتاظ، فأني ارى هذا التصحيف بعيداً عن حال المكزون!!

٤-جاء في معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس:

الرجل المكزون، أو المكنوز اللحم، هو رجل صلب، كثير اللحم، والكزن مثل الكزم، بمعنى قصر في الاكف والأصابع.

والرجل المكزون عقلياً: رجل يزكن للأمر، أي يفطن له. ويتأمل فيه، حتى يفهمه، فيصيب الصدق، وينال المطلب، وهو مجمع المعاني(المحررة في الاكوان) فيخفظها في قلبه، وهو يعرف قيمة عمله، ويعتز به(١)

ثانياً: اما أسم<<السنجاري>> فيعود-بلاشك- إلى نسبته إلى سنجار، وسنجار أسم مدينه وجبل في مكانين متباينين ومتباعدين عن بعضهما. المكان الأول: يقع على خط الحدود الفاصلة بين سورية والعراق حيث محافظة الحسكة السورية، ويقع أغلب الجبل في العراق، وأقله مساحة في سورية، وقصبة هذا الجبل مدينة سنجار العراقية حالياً.

المكان الثاني: يقع في وسط الطريق بين حمص وحلب في خط يمتد على شكل سلسلة من التلال، البازلتية، ممتدة على شكل قوس من الجنوب الغربي نحو الشمال الشرقي، وعلى بعد عشرة كيلو مترات من وسطه تقع بلدة سنجار السورية الاثرية، والتي هي اليوم قصبة ناحية سنجار التي تتبع بدورها منطقة معرة النعمان.

والجبل المحيط بسنجار سورية يعرف اليوم باسم جبل العلا ويعرف بقسمية العلا الشرقي- والعلا الغربي.

---

(١) ونضيف هنا الى ملاحظات الاستاذ حمودي اننا استعنا بمعجم اللغة الفارسية بواسطة صديقنا الشاعر المرحوم محمد الفراتي معرب اشعار سعدي الشيرازي فوجدنا في مادة"كزن" أن المكزون تعني المختار، أو المنتخب ولا يخفى على القراء أن بعض أجداد المكزون كان أميراً على جرجان وطبرستان الفارسيتين سنة ١٩٥ هـ .

نحن وهم!!!

يطيب لبعض المؤرخين المعاصرين أن يكتبوا التاريخ-تاريخ سكان جبال الساحل خاصة-بروح أجدادهم القدامى الذين كتبوا التاريخ بحقد شعوبي على العناصر العربية، أو زلفى إلى سلطان، أو بنزعة مذهبية،

وإن وجدنا عذراً للقدامى الذين استخدمتهم السلطةلأغراضها السياسية، وأغدقت عليهم المال والجاه والمناصب، فاي عذر لمؤرخي هذه الأيام الذين ظلوا أسرى لأفكار سابقيهم، وقد ظهر لهم زيف سابقيهم، وانكشفت لهم أغراضهم وغاياتهم، وانصياعهم لرغبات السلطة الحاكمة؟؟ أي عذر لهؤلاء وقد أنار العلم كل زوايا الحياة، واستبدل القطيعة والمجافاة بالاخاء والمساواة ؟؟ وقد أدرك هؤلاء المؤرخون-اضافة إلى ماتقدم- جناية الفرقة والانقسام اللذين أدّيا إلى الضعف والانحلال. ومكنا للاعداء المستعمرين من نهب ثراوتهم، واستنزاف خيراتهم، وتزييف ثقافتهم، وطمس معالم حضارتهم، واغتيال قوميتهم!!

الهزائم المتكررة للأمة العربية هي بالدرجة الأولى هزائم حضارية، منشؤها غياب وعي الأمة واتجاهها بغير اتجاه الحياة والتاريخ ولو عملت على وحدة التفكير، لأمنت سوء المصير.

بلغ الأمر بهذا<<البعض>> ونمسك عن ذكر أسمائه، أن أنكر على سكان هذه الجبال عروبتهم، وشكّك في أنسابهم، و صحة أصولهم،

الأمر الذي اضطررنا معه إلى دفع هذه المزاعم، وذلك بنشر وثائق شجرات هذه الأنساب العربية.

هذه الوثائق التي لايخلو منها بيت، ولاكتاب خاص، ولايجهلها أنسان في هذه الجبال.

هوية هؤلاء السكان: عرب مسلمون أماميون جعفريون قحطانيون يمنيون. وقلة منهم عدنانيون مضريون حجازيون.

يلتقون عربيّاً، في أصولهم(كلب، تنوخ، غسان) وبطون هذه القبائل.

يأخذون بمذهب الامام جعفر الصادق، ولكنهم لايقرون الخلافات الاجتهادية، ولا يرون حرجاًفي الأخذ بأي اجتهاد ينطبق على قاعدة عامة في الكتاب والسنة.

وهم متشدّدون في عروبتهم، محافظون على أنسابهم، وقلما تجد فرداً منهم سواء كان عادياً، أو مثقفاً الا ويعلم أصول نسبه وفروعه، وقد يحفظون الشعر الذي يتعلق بذلك مهما تقادم عليه التاريخ.

يقرأ لك بعضهم قول الشاعر الفيلسوف أبي العلاء المعري في وصف الثلج ليصل إلى غرضه:

أتـانـا فـي الطفولـة وهـو شيـخ فـأذرى بالشبـاب وبـالشيـوخ
وقـال أريـد عندكـم تنوخـاً(١) فقلـت:صدقـت انـي من تنوخ

ويردّد آخر على مسمعك قول الأمير محمد عمار بن المنصـور الكلبـي يرد على عتاب زوجته له بتعرضه للمهالك!!

تقول لقـد رأيت رجـال نجـد ومـا أبصـرت من رجل يسانـي
إلى كم ذا الهجـوم علـى المنـايـا ومـا هـذا التعـرّض للطعـان
فقلت لهـا: سمعـت بكـل شيـيء ولـم اسمـع بكلبـيّ ـ جبـان(٢)

وقد يطالعك آخر بقول شاعرهم بدوي الجبل يخاطب استاذه العلامة مصطفى الغلابيين:

صحبتـك فـي الشـأم، وكنت بـرّاً تخاطبنـي، وتلطـف في خطـابـي
وتكـرم مشهـدي، وتذود عنـي اذا الحسـاد أنطقهـا غيـابـي
فتـاك، وان تقـوّلـت الأعـادي ولجـت فـي أذاي، وفـي اغتيابـي
وغسّان العـلى نسبـي، ولكـن إلـى آدابك الغـرّ انتسـابـي

(١) وتنوخ هي القبيلة العربية اليمنية القحطانية.
(٢) هو أمير شاعر أمضى كثيراً من عمره مرابطاً بجزيرة صقيلية.

المهاجرة وأسبابها

هاجرت القبائل العربية القحطانية هجرة جماعية، عقب سيل العرم الذي ذكره الله في القرآن، وبعد خراب سدّ مأرب، حيث انهارت البنية الاقتصادية التي يعيش عليها أولئك الأقوام، الحضر منهم، والرعاة.

واتجهت باتجاه الحجاز، ولكن دفعتهم القبائل العدنانية التي كانت تملأ البوادي والاصقاع، ولم يتمكن من الاقامة في الحجاز منهم الابعض الأوس والخزرج، والذين أطلق عليهم الانصار بعد الاسلام.

وانساحت تلك القبائل المهاجرة من الجنوب، فنزل بعضها أطراف الجزيرة شرقاً، أي على مشارف العراق، وهم الأزد ولخم وبطونهما، ومع الزمن شكلوا مملكة دعيت<<الحيرة>> تعاقب عليها الملوك المناذرة- اللخميون و انسابت بقية القبائل شمالاً، فنزلت تنوخ وغسّان حوران، وحتى دمشق.

وهبطت تغلب و بطونها، أعالي الجزيرة، وضفاف الفرات. وأقامت طيّ في فلسطين، وحلت كلب و بطونها الأردن، وحتى بادية تدمر.

القبائل العربية التي نزلت العراق، والت سياسيّاً ملوك الفرس بحكم الجوار، وأصبح لهما مصالح مشتركة. والقبائل الأخرى التي نزحت شمالاً بموازاة البحر، ارتبطت سياسيّاً بالروم بنفس العوامل هذه الموالاة والارتباط جرّا على القبائل العربية شرّاً وضرّاً من الحروب

والمآسي، فكلّما تعرّضت مصالح احدى الدولتين المتخاصمتين للخطر تقع الحرب بينهما وتكون النتيجة دماً عَرَبيّاً يراق بسيوف عربية لحساب الدولتين الأجنبيتين المتصارعتين.

ولما جاء الاسلام الهادي الفاتح لم يجد فاتحو العراق، ولافاتحو الشام صعوبةً ولا عناء، في ضم هذه القبائل العربية اليه، وتقبل دعوته للأسباب التالية.

١-الأصول العربية-القومية.

٢-اللغة العربية.

٣-عدالة الاسلام ومساواته.

٤-ماتحمله هذه القبائل من العداء الضمني للفرس والروم لسيطرتهما عليهم، وتلاعبهما بمقدارتهم.

الهجرات المتتابعة بعد الاسلام

الصراع الأموي-الهاشمي تسرّب إلى كل القبائل العربية، وتمكن خلال سنوات البعثة المحمدية والصراع الدامي، ولما تغلّب الاسلام على الوثنية ودانت العرب للاسلام رجح الجانب الهاشمي على الجانب الأموي لأن محمد (ص) هاشمي.

كان الصراع الهاشمي الأموي في الجاهلية صراعاً على السيادة والجاه والمال، وخلال الدعوة الاسلامية زاد على ذلك فصار صراعاً على العقيدة، أي بين الشرك والتوحيد، أمّا بعد انتصار الاسلام فسيأخذ منحى سياسيا.

في الفتنة الكبرى أي مقتل الخليفة الراشد عثمان، ظهرت بادرة سياسية لم تكن موجودة أو معروفة في عهد الخليفتين الراشدين أبي بكر، وعمر هذه البادرة، أو الظاهرة هي تدخلّ الجماهير في السياسة العليا، ولم تكن القبائل بمنجاة من ذلك التدخّل.

ولذلك ستحمل نصيبها من النفع والضر في مستقبل الأحداث كما سنرى خلال الصراع الدامي المرير الذي لم ينقطع خلال خلافة الراشد الرابع علي بن أبي طالب مع معاوية بن أبي سفيان<<المعارض>> والذي يمثل العداء الهاشمي الأموي المتوارث

في هذه الفترة توضعت القبائل العربية سياسياً وتوضّح من كان فيها موالياً لعلي، ومن كان نصيراً لمعاوية.

كانت حرب الجمل، والنهروان، وصفين، بمثابة فرز وتحديد لموالاة القبائل العربية لاحدى الفئتين المتخاصمتين، لأن كل قبيلة أفرغت جهدها في سبيل نصرة صاحبها، وحملت علامتها السياسيه المميزة،

وقتل الخليفة الراشد علي بن أبي طالب، ورأى أنصاره والقبائل التي أيدت سياسته أنها معرّضة للثأر والانتقام، فأجمع أمرها على الحسن بن علي ليبقى لها شأنها، وتأمن من ردّة الفعل.

ولكن تنازل الحسن عن حقه في الخلافة لأسباب ليس هنا محل ذكرها فأنكشف أصحابه أمام عدوهم، وأول شرط اشترطه الحسن في

معاهدة الصلح بينة وبين معاوية أن لايضارّأحد من أنصاره، أومن موالي أبيه.

ويدخل معاوية مسجد الكوفة، ويخاطبهم قائلاً: واللهِ ماقاتلتكم لتصلّوا، أو لتصوموا، أو لتحجوا، أو لتزكوا ولكن قاتلتكم لأتأمّر عليكم، وقد ساق الله أمركم اليّ، وانتم كارهون، ألاوأن كل ما أعطيته للحسن تحت قدمي هذين، ولااعمل به.

كان هذا الانذار الخطير الصارخ مدعاةً لأنصار الحسن وموالي أبيه من كل القبائل إلى الحيطة والحذر والتخوف والاتجاه.

فتوالت هجرات الموالين لأل البيت من الكوفة لتوالي الولاة الظلمة الذين أوكل اليهم معاوية أمر تطبيق «مشروعه» الرامي إلى ملاحقة الهاشميين. وانزال كل شرّ وضرّ بمواليهم، وقصة حجر بن عدي وأصحابه مثال ودليل على أغراض هذا«المشروع» وتنفيذه

من القبائل التي أدركت، ولمست مايراد بها، وما يبيت لها، قبيلة«همدان» التي نزلت الكوفة أيام تحضيرها، وشاركت بهذا التحضير.

القبيلة التي أظهرت من الاخلاص لعلي بن أبي طالب في حروبه ما تجاوزت به الاخلاص إلى التضحية، الأمر الذي دعا علياً بن أبي طالب إلى القول:

فلو كنت بواباً على باب جنة لقلت لهمدان ادخلي بسلام(١)

هذه القبيلة التي يعلم معاوية ماضيه منها، وتعرف هي حاضرها ومستقبلها منه هاجر العديد من افرادها بعيدين عن الكوفة.

هذه القبيلة التي اقتضت سياسة معاوية ودهاؤه أن يعمل بنفسه على تهجيرها ولكن... إلى الشام مقر ملكه، ونفوذ أمره، وسيطرة سلطانه، لتبقى قريبة من مراقبته، فأنزل قسماً منها في القرب من دمشق، وتحديدا في قريتي صنعاء وعين ثرما(٢) وسيّر قسماً منها إلى الجبال الغربية بدأمن بعلبك، وأنتهاءً بطرابلس مروراً بجبال كسروان.

وهؤلاء الذين نزلوا جبال كسروان هم الذين أفتى ابن تيمية بابادتهم بعد ٤٠٠ عام من سكناهم هذه الجبال، وخرج بنفسه مع الجيش الذي قاده أقوش الافرم والي دمشق، وشارك في عملية الابادة، وحتى لأشجارهم المثمرة إمعاناً في التشفي من كل فئة معارضة.

وتوالت الهجرات الفردية والجماعية من العراق لما نزل بهم من الأذى على يد الولاة، وفقاً لتطبيق نمخطط الموضوع لذلك، واذا ذكرنا المغيرة بن شعبة صاحب قصة أم جميل.... وامثاله من الولاة الذين نذزوا أنفسهم لثلاث: جمع الأموال، إرضا، السلطان، ملاحقة المعارضين.

---

(١)ذكرني بيت علي هذا بمدح همدان، بقول الخليفة عثمان بن عفان: والله لو أن بيدي مفاتيح الجنة لاعطيتها بني أمية ليدخلوها عن آخرهم .

(٢)صنعاء وعين ثرما بناهما الهمدانيون في الغوطة واطلقوا عليها اسم بلدتين من وطنهما اليمن، وقد زالت معالمهما، ويطلق على الثانية منهما في هذه الأيام اسم حجور (ابن عساكر)

ادركنا كيف كان يعامل<<المعارضون>> من السلطات المتعاقبة.

وفي أواخر القرن الرابع الهجري، وعقب تلك الفتن العنصرية التي حدثت في بغداد هاجر قسم كبير إلى بانياس الساحل، وهم البانواسيون وقد وزر اثنان منهم للخليفة العباسي المكتفي وأمير أمرائه البويهي معز الدولة.

وبعد مجازر السلطان سليم العثماني عام ١٥١٦ هاجر قسم كبير من حلب وجهات الموصل إلى هذه الجبال هرباً بدمائهم، وما يملكون، واعتصموا في هذه الجبال.

أطلق التاريخ السلطوي على هؤلاء العرب الأصلاء ماطاب له من الاسماء، ولكن الغالب على هذه الأسماء هو اسم<<النصيرية>> هذا الأسم حملوه لثلاثة احتمالات .

الأول: عرفت هذه الجبال الممتدة من العاصي شرقا، إلى البحر الأبيض غرباً ومن الانهدام العرضاني الذي يفصلها عن جبال لبنان جنوبا، إلى آسيا الصغرى شمالاً،
عرفت باسم جبال<<النصيرة>>(١) والنسبة لساكنيها<<نصيرية>> وللفرد<<نصيري>> كما يقال لساكن لبنان والعراق واليمن لبناني-عراقي-يمني.

---

(١) استرابون المؤرخ اليوناني

الثاني: لأنهم من الأنصار-الاوس والخزرج، لنصرتهم آل الرسول- سماهم التاريخ نصيرين لأن النسبة إلى لفظة نصير هي نصيري، واستعملت بصيغة التصغير.

الثالث: لأنهم اعتنقوا الطريقة الصوفية التي حملها اليهم محمد بن نصير العبدي الكبري النميري عن الامامين الحسن العسكري بن الامام علي الهادي، وابنه محمد بن الحسن باعتبار ابن نصير هذا كان يقوم بالبابية للأمامين المذكورين، والبابية تعني انه كان موكولاً اليه أمر إدخال الزائرين من شيعة الامامين عليهما، والاشراف على شؤونهما، ولذلك أطلق اشياعه عليه اسم <<الباب>> أي<<البواب>> وعلى مرتبته<<البابية>>.

وفي عهد الإمام العسكري كان هناك اربعة وكلاء له كما يرى بعض الفرق وهم عثمان بن سعيد، وهذا بدوره عين ابنه محمداً، ثم عين محمد الحسن بن روح، والوكيل الأخير كان على السمري، لكن هناك فئة انقطعت لمحمد بن نصير واقرت وكالته ونسبت اليه وحملت اسمه كما تقدم ذكره.

أما ما زعمه الدكتور عبد الرحمن بدوي بأنهم ينسبون لنصير مولى لعلي بن أبي طالب فزعم لانصيب له من الصحة، والتاريخ على سعته لم يشر إلى ذلك.

القرن السابع الهجري

مما تقدم سيتضح صحة نسبة سكان الساحل العربية، وربطهم بأصولهم اليمنية القحطانية كما تشير إلى العوامل الطبيعية، والدوافع الاقتصادية، والنوازع السياسية، التي عملت على هجرتهم من مواطنهم الأول وتهجيرهم إلى هذه الأماكن.

والبحث الأن يقتضينا أن نقف مع التاريخ في أوائل القرن السابع الهجري لنشير إلى تحرك سكاني، ونقلة جماعية، طوعية، واضطرارية، لم تزل أثارها ظاهرة ومستمرة في هذه الجبال وساكنيها. لم يسلم المهاجرون إلى هذه الجبال من الملاحقة والتضييق من السلطات المتتابعة، لأن المشروع الذي وضع في العهد الأموي، وتبناه العهد العباسي وزاد عليه، وهو ابعاد الهاشمين وأنصارهم عن السلطة، ومايقتضيه هذا الابعاد من وسائل على اختلافها.

ولكن بالمقابل كلّما ازداد الحاكمون وبالغوا بالتنكيل ازدادا هؤلاء<<المعارضون>> تصلّباً وعناداً وتحدياً وتمسكاً بمذهبهم السياسي، وهو التفاني بحب آل الرسول، حتى اتهمهم أعداؤهم بالغلو، وعبد الله بن سبا<<الأسطورة>> التي خلقها سيف بن عمرو التميمي بعد مرور ١٧٠ عاماً من فتن صدر الاسلام، وروج لها ابن جرير الطبري بعد ١٧٠ عاماً أيضا من وفاة سيف بن عمرو شاهد ناطق على تزوير الساسة، واساليب السياسة.

وأكبر دليل على أن شخصية عبد الله بن سبا مبتدعة مختلفة بعد الفتنة الكبرى ومقتل الخليفة الراشد عثمان هو أنها لو لم تكن مخترعة في زمن لاحق لم يغفلها معاوية ودعاته كوسيلة تنال من خصمه علي بن أبي طالب.

*****

هوجم سكان جبال الساحل السوري، في العقد الثاني من القرن السابع الهجري من قبل جيرانهم الاكراد بقيادة زعيمهم<<خمارتكين>> ورافق هذا الهجوم من الشمال نشاط الصليبيين من الغرب مما اضطر هؤلاء السكان إلى البحث عن وسيلة تنقذهم مما هم فيه.

وكانت هذه الوسيلة هي الاستنجاد بأمير ذي شأن من أبناء جلدتهم هو الأمير حسن بن يوسف المكزون السنجاري المقيم في بلاد سنجار العراق.

وهنا يتشعّب معنا البحث، وتطرح الأسئلة نفسها:

أين ولد المكزون السنجاري؟ ومتى؟

التاريخ لم يجب على هذين السؤالين!!

لكن لدينا وثيقة تاريخية يمكن الاهتداء بواسطتها إلى الفرض، وانقاذ البحث من المتاهة التاريخية هذه الوثيقة أوردها المكزون نفسه في أحد آثاره المخطوطة وهي قوله: رجعت إلى بلد سنجار بعد الهجرة أي عام ٦٢٠ هـ

لقد حققت لنا هذه الوثيقة وقوع<<الهجرة>> أولاً، واسم البلد المهاجر منه والعائد اليه ثانياً، وتاريخ العودة ثالثاً.

ولكن أي سنجار؟ وهناك بلدان اثنان بنفس الأسم، سنجار العراق، وسنجار سورية، وفي الأخيرة، أو بالقرب منها، حدثت التحركات العسكرية!! على مايروى عندما لبّى المكزون دعوة أبناء قومه من سكان جبال الساحل، وخف لنجدتهم

يرجّح لدينا أن ولادته ومنشؤه وشبابه، كان في بلدة سنجار العراق ولدينا دليلان:

الأول: ورد في بعض نسخ ديوانه مايلي:<<ومما قاله في بغداد أيام صباه، والمقطوعة التي تحمل هذه الدلالة مطلعها:

من لصب متيّم مشتاق قد براه الأسى وعزّ الراقي

الثاني:قصيدة لابن عمه علي بن ممدود يرثي فيها الشهيد الامام الحسين بن علي ومطلعها

يا مطيل الوقوف بين الطلول أتبع الدمع بالبكا والعويل
تسأل الربع والديار وللسا ئل علم بحالة المسؤول

ومنها :

فاستمعها قصيدة من محب لايشوب الولاء بالتبديل
أبن مكزون من أعالم سنجا ر وبغداد موطني ومقيلي

إذن يمكن القول: أنه في سنجار العراق وُلد ودرج ، وشب ونبغ في الشعر والفقه والتصوف ، ولكنه لم يكن أميرا" عليها مطلقا" ، والبحث المطول الموثق الذي أوردناه في الجزء الأول من هذه السلسلة لايدع مجالا" للظن في صحته ، بل يقطع كل أفتراض، وينهي كل أحتمال(١) ولكن كيف أستنجد به أخوانه في جبال الساحل السوري على بعد الشقة، وصعوبة المشقة ؟؟

هل يقوم بالنجدة إلا من يملك المال والرجال والعتاد ، ووسائل القوة ليستطيع أن يهاجم، أو يدافع ؟؟

هناك أحتمال ساقه الأستاذ عزة دروز ة في كتابه " العرب والأسلام "
وهو قوله: ربما كان- أي المكزون- أميرا" على قبيلة في سنجار .
وهذا أحتمال يمكن الركون عليه .

*****

مجيئ المكزون للمنطقة أي جبال الساحل لا يمكن نكرانه ، ولا الظن بصحته !! وتشير الروايات وبعض الوثائق إلى أنه جاء إلى المنطقة ثلاث مرات .

الأولى : عندما استقدمه علماء مدينة حماه - وكانت مركزاً هاماً لأبناء قومه- وعلى رأسهم ابن بقراط الحموي الشهير ، ليقول كلمته

---

(١)الجزء الأول ص٦٥ج٨٧

في ما ألفه وأذاعه سراج الدين العاني وجماعته،حيث كادت تقع فتنة دينية،وعند حضوره اجتمع إليه العلماء وأطلعوه على بدعة سراج الدين فأصدر حكمه بفساد أقواله،وأنها مخالفة للإسلام والسنة .

هذه الواقعة وثقها العارف حاتم الجديلي(١)

وهذا الإجماع على المكزون،وتسليم العلماء لرأيه يعطينا دلالة على" أمارته " الدينية.

الثانية : عندما جاء نجيداً لأبناء نحلته في المرة الأولى ٦١٨ هـ وأخفق وعاد هزيماًكما تقول الروايات.

الثالثة: عندما أعاد الكرة لإنقاذ المضطهدين ،ومحو عار الهزيمة عام ٦٢٠ هـ وتمكن من التغلب على أخصامه المناوئين ،وإحراز نصر عليهم ،وإبعادهم عن المنطقة ،وتقسيمها بين أنصاره وعاد إلى سنجار من " الهجرة " كما ورد في رسالته.

ولنكون أكثر واقعية ،وأسلم منطقاً مع التاريخ نسأل أنفسنا على ضوء ما تقدم قائلين :

---

(١) من الذين شاركوا في اجتماع حماه المشار اليه، وبعضهم رد على بدعة سراج الدين العاني كحاتم الجديلي والسيد منصور تلميذ شمس الدين بن أبي بكر البغدادي، وشمس الدين تلميذ صفي الدين بن محور الصوفي، ومحمد بن بقراط الحموي وموفق الدين الانبوسي وجمال الدين الدهان، وشمس الدنياوالدين على بن عبد الملك النشاشيبي، وعلي بن بدران المهاجري، والفقيه تاج الدين بن النساج المقري، وعز الدنيا والدين حسن الشروطي .

هل اجتاز هذه المسافة بدون أن يتعرض له أمراء وولاة المنطقة وكلهم يومئذ من الأكراد ، وهو بطريقة لمحاربة أبناء قومهم؟؟

هل وجد هذا " النجيد " المكان الذي يطمئن الى الأقامة به ، والأنطلاق منه؟؟

هل يثبت قوم غزاة مقاتلون في بلد ليس لهم فيه أعوان ، ولاأنصار؟؟
للأجابة عن هذه التساؤلات المنطقية علينا أن نفهم ونتقرى وضع المنطقة التي نزلها المكزون ، وندرس طبيعتها وتركيبتها البشرية والسياسية.

قلنا في غير محل من هذا البحث: أن قبائل " كلب " العربية القحطانية اليمنية بعد نزوحها من اليمن نزلت في الأردن وأمتدت حتى تدمر ، وغربا" حتى الجبال المواجهة لحمص ، والمسماة جبال " بهراء " وبهراء اسم لأحدى قبائل كلب اليمنية التي نزلت تلك الجبال وأعطتها أسمها .

ومن الطبيعي أن تلك القبائل أمتدت وأنساحت بإتجاه الشمال وعلى ضفتي العاصي شمال مصياف، وربما توسعت شرقا" بمساحة قليلة لم تتجاوز جبل العلا المعروف، ومعرة النعمان وسنجار سورية لأن القبائل التي كانت تشغل المنطقة حتى حلب تدفعها بإتجاه الغرب .

ولم تزل الضفة الغربية لنهر العاصي الواقعة شمال بلدة مصياف، والمحصورة بين مجري نهر العاصي وسلسلة الجبال الغربية تعرف حتى الأن باسم " ملزق الكلبية "

كان في تلك المرحلة يرأس قبائل كلب اليمنية في هذه المنطقة الأمير مرسل الكناني الكلبي التنوخي المدرسي الصوفي.

وعلى هذا فمنطق الجغرافيا والأحداث يفرض علينا القول أن المكزون الغازي" المهاجر" نزل على قوم تربطه بهم روابط المذهب والنسب و...الغاية!!

والمكزون نفسه كلبي تنوخي صوفي(راجع شجرة نسب السنجاريين في محلها من هذا الكتاب والموثقة بخطوط أدبائهم ، وأجماع علمائهم، وشهادة فقهائهم)

مجمل القول

مجمل القول أن المكزون غادر سنجار العراق"مهاجراً "على حد قوله نفسه، أو "غازياً" مستجيباً لدعوة إخوانه ، وأبناء مذهبه، أو" سائحاً " ليتفقد شؤونهم الدينية والسياسية، ونزل وحيداً،أوبمن معه، على قبائل كلب التي تشغل المنطقة، وعلى قيادتها الأمير مرسل الكلبي التنوخي.

ولوحدة النسب والمذهب والغاية تشكلت القوة المنجدة من الذين وفدوا مع المكزون ومن الكلبيين الذي يقودهم الأمير مرسل الكلبي، وعبرت هذه القوة نهر العاصي وتسلقت الجبال وأستقرت في قلعة أبي قبيس كما تروي بعض المصادر وجعلتها مقراً ومنطلقاً لتحركاتها والتحامها مع أخصامها.

ومن الأدلة الجغرافية أن المنطقة التي تطل على حوض العاصي وسهل الغاب شرقاً، وتصل حتى البحر غرباً، ومن موازاة قلعة أبي قبيس جنوباً، حتى الحدود التركية شمالاً، هذه المنطقة تحتلها "الكلبية" وتكاد تكون خالصة لأبنائها ومنذ أحتلالها في أوائل القرن السابع والنزوح إليها من أمتداد حوض العاصي.

ويقع ضريح الأمير مرسل الكلبي فيها في قرية الجمرزل.
ويقع ضريح ولده الأكبر الأمير علي بقرية" العامود"
والأمير علي هذا هو الجد الأكبر التي تتصل به كل بيوتات الكلبية

*****

في ديوان المكزون بيتان نرجح أنه أرسلهما للأمير مرسل الكلبي بعد عودته من الهجرة وهما:

تغربت عن أهلي اليكم فكنتم أودّ وأحنى من أودّ عشيرتي
وكانت لقلبي لوعة بهواكم وبنتم، فكانت لوعة فوق لوعتي

ولفظة"تغرب" تحتمل معنى الأتجاه والقصد غرباً، مثل تعرق،وتيمن.أي قصد الى العراق، أو اليمن كما تحتمل معنى"الهجرة"

وقد لانعدم"متنطعاً" يفسر لنا معنى" الأغتراب" تفسيراً صوفيا

*****

معارك الأمير مرسل في المنطقة في القرن السابع الهجري،أشار اليها شاعران معاصران لتلك الأحداث،الأول يسمى سليم الأدهم،والثاني كنيته العجمي،والقصيدتان باللغة المحكية الركيكة، ولكنهما تعتبران وثيقتين هامتين صادقتين لبساطتهما وعفويتهما،وبعدهما عن التكلف، وحذلقة الشعراء،وهما معروفتان لدى كل مثقف في المنطقة، ومهتم بالتاريخ،ولقد أورد قسماًمنهما الدكتور أسعد أحمد علي في الجزء الثاني من كتابه المكزون السنجاري.

*****

وأمر هام لم ينتبه له المؤرخون

المكزون الشاعر الفيلسوف،الصوفي "الغازي" " المهاجر" تناول في شعره أغراضاً شتى منها:

١- ناقش كل نظريات، ومقولات، ومصطلحات التصوف الأسلامي

٢- نقد الشطحات التي سقط عندها أبن الفارض،وأبن عربي،وأصحاب وحدة الوجود،والحلوليون والأتحاديون، ونفاة"الأثنينية" وأشار الى أخطائهم (١)

٣- أستعرض المذاهب،والفرق،وأرباب المقالات، والنحل في الأسلام،وأبدى رأيه في أيها قارب الحق،وأيها باعده.

٤-لم يدع أمة من الأمم ومنهاالهند، والصين، والفرس، والروم، والعرب، إلا وأشار الى بعض خصائصها الروحية.

٥- امتدح آل نمير،وآل الخصيبي.

٦-لم يفته في شعره أن يذكر اسمه واسم أبيه بطريقة<<الجمل>> المعروفة حيث قال:

حروف اسمي بسعد السـ ـعود في الأفـق وفـقُ

وسعد السعود هي احدى منازل القمر الثماني والعشرين بترتيب علماء الفلك، وتجمع بحساب الجمل ٣٠٥

واسم<<حسن اليوسف>> أي اسم المكزون، واسم أبيه معروفاً بأل التعريف، وتجمع في حساب <<الجمل>> ٣٠٥ والمكزون الذي لم يغب عن شعره اسم شيخه الصوفي ولامدحه، ولاالثناء عليه.

فقال وبمنهج الشعر الصوفي:

دار سلمى سقاك دمعي الهامي ان تعدى ثراك صوب الغمام

---

(١) راجع الجزء الأول من المكزون السنجاري والمقارنات بينه وبين فلاسفة ومتصوفة الاسلام

إلى ان يقول في وصف اخوانه العارفين ومدح شيخه:

وحماهم دار السلام، وقد أضحى سبيلي اليه <<عبد السلام>>
سيد ساد بالمعالي وادرا ك المعاني، والفضل جل الأيام
فبه فزت باليقين من العلم ونلت الايمان في اسلامي
فعليه صلاة من بهذاه فك نفسي من ضلة الأنعام

المكزون هذا الذي لم يدع شيئاً ذا أثر في حياته الا وتناوله اجمالاً، أو تفصيلاً، كما أشرنا فكيف لم يشر من قريب، أو من بعيد، تلميحاً، أو تصريحاً، ولو في اشارة من عبارة إلى غزوته، أو غزوتيه كما يقال؟؟

كيف لم يذكر شيئاً- ولو يسيراً- من أعماله الحربية، ونصرته لاخوانه، ودحر أعدائه؟؟
؟؟؟

سؤال نوجهه إلى المحاجّين، وإلى كل مختّص في التاريخ، أومهتم به!!

١- نسب الكلبيين

بدءاً من القرن السابع الهجري وصاعداً

١-الأمير مرسل الكلبي التنوخي الكناني الصوفي المدرسي(١) بن السيد محمد بن ابراهيم التنوخي بن عز الدين والدنيا الأمير رائق بن سيف الدين أبي الحسن الأمير علي بن عيسى الجسري الكناني الكلبي أحد مريدي الخصيبي، والأمير عيسى هو ابن الأمير علي بن عبد الله بن أسد بن عُليم بن جُزي بن ابراهيم بن الأصم بن ضمضم بن عدي بن جناب بن حبل بن عبد الله بن كنانه بن بكر بن عوف بن عذرة(أخ الخزرج) بن زيد بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة(٢) بن تغلب«الغلباء» بن حلوان بن عمران بن الحافي بن قُضاعة بن مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن عمير (من سبأ) بن يشجب بن يعرب بن قحطان(من العرب اليمانية الجنوبية)

٢-ضريح الأمير مرسل الجد الأعلى في قرية«الجمرزل»

٣-ضريح ولده الأمير علي في قرية «العامود» وهو الجد الجامع لكل بيوتات الكلبية

---

(١) الكلبي: نسبة إلى الجد الأعلى كلب بن وبرة

والتنوخي: نسبة إلى تنوخ القبيلة العربية اليمانية القحطانية

والكناني: نسبة إلى أحد أجداده كنانة بن بكر، وقيل لقلعة كنان المعروفة.

الصوفي: نسبة لطريقة المتصوفة

١- وثائق تاريخة

-١-

١- أولاد وبرة بن تغلب عشرة، منهم كلب، أسد، النمر، الفهد، السرحان، الذئب.

٢- ولد كلب بن وبرة: ثور، وكلد، وأبا حباحب وبطونهم

٣- ولد ثور بن كلب: رفيدة وعرينة، وصحب. وبطونهم (١)

٢- شخصيات تاريخية

١- دِحية- بكسر الدال - بن خليفة " الكلبي " كان الأمين جبرائيل يأتي النبي محمد (ص) بصورته وإلى هذا اشار عمر بن العاص بشعره قائلاً:

وها دحية وافى الأمين نبيّنا بصورته في بدء وحي النبوّة!!
أجبريل قل: هل كان دحية إذ بدا لمهدي الورى في صورة بشرية؟

٢- أبو المنذر هشام بن محمد السائب " الكلبي " صاحب كتاب " جمهرة النسب " وجميع من جاءوا بعده كانوا عالة عليه في التاريخ والأنساب.

٣- الأمير الشاعر محمد بن عمار بن منصور " الكلبي " الذي أمضى عمره مرابطاً في جزيرة صقلية دفاعاً عن الإسلام والقائل لزوجته عندما عاتبته على تعرضه للمهالك:

---

(١)جمهرة أنساب العرب لابن حزم الأندلسي. وجمهرة الأنساب لابن الكلبي

تقول: رأيت كل رجال نجدٍ وما أبصرت من رجل يماني
الى كم ذا التعرض للمنايا وكم هذا التهالك للطعان؟
فقالتُ لها : سمعت بكل شيءٍ ولم أسمع بـ" كلبيّ" جبان!

٤- ومنهم باني سورية الحديثة، وغارس المُثل العليا في النفس العربية: حافظ الأسد

*** ***

لاتخالي نسباً يخفضني أنا من يرضيك عند النّسب
قومي أستولوا على الدهر فتىً ومشوا فوق رؤوس الحقبِ
كللوا بالشمس هاماتهم وبنوا أبياتهم بالشّهبِ !

القربى الطبيعية بين الأميرين المكزون والمرسل:

١- هناك قصيدة مشهورة في جبال الساحل السوري للشيخ يوسف بشمان من أحفاد الأمير مرسل الكلبي يمتدح فيها الشيخ حسن رمضان- الريحانة- من أحفاد الأمير حسن المكزون جاء فيها:

يانجل رمضان حبك في فؤادي سَكَنْ قاطن بريحانة الفيحا وفيها سكن
وحق مكة وزمزم والحسين وحسن أنتم مناي وجدّي عم جدك حسن

ويقصد المادح بجده الأمير مرسل، وبجد الممدوح الأمير حسن المكزون.

٢- وثيقة بخط الشيخ داوود الخطيب «تل عويري» نقلاً عن مخطوط «مختصر تاريخ العرب» للمطران يوسف الدبس اللبناني بعد أن أقسم الناقل بالله وعهده بأنه لم ينقص ولم يزد جاء فيها أن حسام الدين «وهو محمد» أبن الأمير حسن المكزون الذي تركه الأمير والياً مكانه على سنجار عند مااتجه إلى البلاد الغربية، أنه أي حسام الدين سكن أعزاز وتوفى فيها بعد حياة زهد وتقوى، وقبره فيها، ويعرف بمقام محمد العزازي. وابنه (هكذا وردت خطأ) والصواب «واخوه» الشيخ أحمد العزازي ابن الأمير وعم القائد الشيخ مرسل الذي توفى في قرية «الجمرزل» . والمعرف تاريخاً أن المدفون في أعزاز هو أحمد ولقبه نجم الدين (راجع الدكتور اسعد على معرفة الله والمكزون السنجاري ج ٢ ص ٣٢٨ وكتابنا المكزون السنجاري ج ١ ص ٦٣)

وسواء كان المرسل من أعمام الأمير حسن كما يقول الشيخ يوسف بشمان كما أورد الدكتور أسعد علي في الجزء الثاني من كتابه «معرفة الله والمكزون السنجاري» ص ٣٢٢ أو كما ورد في الخبر ص ٣٢٨ من نفس المصدر فإن القربى الطبيعية بين الأميرين حقيقية لامرية فيها

وسنحاول أزالة كل أشكال حول هذه الأخبار في كتابنا (نسب العلويين أصولاً وفروعاً) إن شاء الله.

نسب السنجاريين

بدءاً من القرن الثاني عشر الهجري وصاعداً نحو الجد الأعلى

١-خليل بن معروف بن عمران بن رمضان بن محمد أبو شعبان بن ابراهيم كلبو بن محمد الريحانه بن جمال بشمان بن سلمان الرواس بن يوسف متور بن عبد الله متور بن يوسف(على رأس نبع أبي قبيس) بن كوكب بن موسى الربطي بن حسن الحيلونة بن موسى الحيلونة بن حسن (في قرية نحل) بن أحمد القاضي (في ديرماما) بن محمد الجلمود(في زفتايا) احدى مزارع (ديرماما) (وولده علي جد الجلامدة الذين خرجوا من جلميدون) ومحمد القاضي هو ابن كوكب بن مبارك (بساقية الريحان) بن بوبو(مقامه على باب قلعة المضيق) بن نجم الدين بن يوسف ابو غارة بن الأمير حسن بن الأمير يوسف بن الأمير مكزون السنجاري بن الأمير خضر بن الأمير طرخان المحرزي المتصل إلى رائق بن خضر الغساني التنوخي الكلبي المدرسي الصوفي(١)

٢-الثبوتيات

١-ورد نسب المكزون في مخطوط تاريخ سورية ولبنان للمطران يوسف الدبس اللبناني في المكتبة الشرقية- بيروت.

٢-وثائق العارف بالله يونس حسن رمضان

---

(١)- راجع نسب الكلبيين حيث ورد هكذا : الأمير مرسل الكناني الكلبي التنوخي المدرسي الصوفي

٣- وثيقة عامة (تجمع الاصل والفرع) بخط خضر أحمد علي معروف

٤- ومن أقدم وثائق نسب السنجاريين وثيقة بخط كوكب بن مبارك بن ابراهيم بن نجم الدين بن الأمير حسن المكزون سنة ٧٥٥ هـ

٥- وثيقة بخط ولده محمد القاضي بن كوكب سنة ٨٠٢ هـ

٦- وثيقة بخط ولده احمد القاضي سنة ٨٥٠ هـ

*** ***

والميامين آل جفنه والتـــاج عليهم أبوتي وجـــدودي

٣- السنجاريون ٢

١- السنجاريون فرعان لأصل واحد.
٢- الفرع الأول ينتهي إلى الأمير حسن بن يوسف المكزون السنجاري
٣- الفرع الثاني ينتهي إلى الأمير محمد المعروف بالحداد بن الأمير مكاييل بن الأمير يوسف أي ابن أخ الأمير حسن بن يوسف المكزون السنجاري
٤- نبدأ صعوداً نحو الجد الأعلى بدءاً من القرن الحادي عشر، ومن جد جامع لعدة فروع هو الشيخ سلمان سريجس ١٠١١-١٠٩٨هـوسلمان بن رضوان بن سلمان بن رضوان بن شاهين (سريجس) بن يوسف بن على القيسي بن عبد الحميد (القرنبادية) بن موسى بن علي، بن حسن بن أبراهيم بن راشد بن خليفة بن جامع بن فراس الأزدي التنوخي بن الأمير محمد بن أسحاق التنوخي أمير اللاذقية وممدوح المتنبي واسحاق بن حاتم بن يوسف (ناني) بن صالح (نينتي) بن ممدود بن ميكائيل بن محمد الحداد بن ميكائيل بن يوسف المكزون السنجاري.

٥- الثبوتيات:

١- وثائق بخطوط السادة: يوسف مي ٢- ابراهيم مرهج (بعمرة) ٣- حامد سلامة (ربعو) ٤- أحمد حبيب (بلغونس) ٥- علي خليل وقاف (صافيتا- معاصر) ٦- وثيقة محفورة في جدار قبة الشيخ أحمد ميهوب (جبلة) مؤرخة ١١٥٠هـ

٥- ملاحظة أولى:

يجتمع بيت مرهج (بعمرة) وبيت ميهوب (كرم زيادة) وبلغونس والعتارية في مبارك الرامات بن علي الكلبي (العامود) جد الكلبية ثم يتسلسل نسبهم إلى الجد الأعلى الأمير محمد الحداد

٦- ملاحظة ثانية:

تذكر بعض الوثائق الشاعر محمد المنتجب الدين العاني الخديجي المضري كجد أعلى ولكن مروراً بالأمير محمد الحداد، والشاعر المنتجب من النصف الثاني من القرن الرابع الهجري وهو مضري حجازي بينما الأمير محمد الحداد قحطاني يمني ولعل هذا من خطأ النسّاخ

*** ***

إذا انتسبوا، أو فاخروا حلّقت بهم إلى الشرف الأسنى تنوخٌ وغسانُ

٤- المحارزة العدنانيون المضريون

من القرن الثالث عشر الهجري وبدءاً من المجاهد الكبير الشيخ صالح العلي صعوداً إلى الجد الأعلى صالح بن على بن سلمان... بن محمد بن ابراهيم بن علي بن رمضان (الدويلية) بن شعبان بن محمود (بشراغي) بن خليل بن محمود بن علي بن بدران بن علي محمد(بشراغي القضبون) بن محمود بن صبح بن حامد الكيمة بن صالح بن يعقوب بن حيدر (الضهر) بن بدر الغفير (الأندروسة) بن شاكر بن الأمير فضل الدين (في تلا) بن الأمير محمد حاكم مصياف بن الامير خليل بن الأمير فضل حاكم مصياف بن الأمير محمد الأدرعي حاكم حماه بن الأمير سيف الدين الادرعي (في المنيقة) بن الأمير منصور بن الامير ناصر الأدرعي بن الامير محمد بن الأمير ابراهيم حاكم صيدا والرملة بن محمد الغوري سلطان مصر القاهرة بن سراج الدين المحرزي بن تاج الدين المحرزي بن عماد الدين العلقمي (باب إبي الفتوح في مصر)بن الأمير عبدالله المحرزي (في سوق العقيق عند العمود الأسود) في مصر بن الأمير محمد بن الأمير محرز الجيشي بن الأمير معز الدولة (الذي تلقى السلوك الصوفي عن محمد بن مقاتل القطيعي) (١) ويتسلسل النسب صعوداً إلى عبدالله بن أحمد بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق ومنهم الخلفاء الفاطميون

---

(١) هناك رسالة بعنوان المهدية للرشاد، للأمير ناصح الدولة حيش بن محمد بن جعفر بن محرز يجيب فيها على سؤال أحد اخوانه عما أحدثه اسماعيل بن خلاد <أبي ذهبية>> جاء فيها بعد ان أجاب الأمير جواباً كافياً وافياً-: ردّ هذا القول على مسامع هذا الرجل - اي اسماعيل بن خلاد- أقاله الله، وفتح قلبه، فان قبله فالله يسدّد خطاه، ويوقفه، وان كرهه فلا تقض عليه بالكفر، ولا النقص، ولا الثلب!! ومن يهد الله فهو المهتدي

ملاحظة : نقلت هذه الوثيقة عن خط سلمان المريقب ،عن خط محمد القطبون،عن خط سلمان سريجس ١٠٦١ - ١٠٩٨ هـ ويتسلسل النقل حتى يصل لخط السيد ابي سعيد في طبريا في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري.

وثائق تاريخية:

قال أحد الشعراء يخاطب المجاهد الكبير صالح العلي :

وابن بنت النبي واشجة القربى ينادیك من وراء البوادي
فيصل عاهل العراق ينادیك بصوت الآباء والأجداد
والمعز الأب العظيم على التاريخ عزم ممثل لك بادي
ان ملكت الفخار والشرف الجم فمن منذر نماك وهاد

وقال آخر

والمحرزيون اصفى نبعة عرفت بين البرية من بدو ومن حضر
كفاهم أنهم من نسل فاطمة وعترة المصطفى المبعوث من مُضر
وصالح بن عليّ منهم، وكفى بصالح ، ليكونوا نخبة البشر

وقال آخر يخاطب الشيخ محمد رمضان سلمان (كرم مغيزل)

لك في سرير المالكين أبوة من كل وضاح الملامح أصيد
ألغار معقودعلى قسماتهم وعلى مفارق غيرهم لم يعقد
وصلتك بالنسب الشريف وشائج بالمحرزيّ ابي الفتوح محمد
عُذ باسمه وبهم إذا الزمن اعتدى وأنا الضمين بأنه لايعتدي

٥- نسب البانواسيين التوخيين

نسب البانسواسيين وسبب تسميتهم بانواسيين وبغداديين وتتوخيين ونهراويين وما تفرع عنهم من خياطين وعبديين وعداويين، وهذا النسب منقول بسند صحيح موثق عن نسخة بخط صالح بن محمد النهرواني الجد الأكبر لهذه الفروع وصالح هذا هو ابن محمد بن محي الدين بن حبيب بن جبله بن جلال الدين الخزرجي اليثربي المكنى بالتتوخي بروايته عن ابيه محمد بن محي الدين المذكور.

وتجدر الإشارة إلى أن صالح بن محمد النهرواني الذي كتب الجزء الأول من هذا النسب التاريخي ولد في بانياس الشام عام/٢١٣/هـ وتوفي عام/٢٨١/هـ وقد شاهد من الامامات العسكري والمهدي وشاهد الجنان وعمر الخصيبي يومئذ ٢٠ عاما فقط وقد ذكره الشيخ الخصيبي في كتابه(نسب التلاميذ) مع ستين عالما اخرين وقدذكرهم أيضا السيد ابو سعيد في كتابيه البحث والدلاله والنجحية قال صالح بن محمد: انا خزرجي وملاذنا إلى التوخيين وقد هاجر أجدادنا سنة(٢٠٠) م إلى مدينة يثرب وكان القحطانيون ومنهم عشيرتنا التوخيين يسكنون المدينة وبعضهم على شاطىء الفرات وكان العدنانيون في مكة والغسانيون في بلاد حوران وفي عام (٣٠٠)م تقارب القحطانيون الذين يسكنون المدينة والعدنانيون الذين يسكنون مكة.

وكان جدنا جلال الدين تربطه بالغسانيين روابط وداد وصحبة فرحل هو من يثرب إلى ربوع بني غسان في حوران، وسرعان ما جمع بين رأي العشيرتين الغسانيين والتنوخيين برأيه السديد ووحد بينهما، وكان رجلاً كريماً مهاباً تحكمه القبائل في الكثير من أمورها المختلفة وقد ولد له ولدان هما جبلة ونبهان، وعاش جلال(١١٠) سنوات وتوفي ودفن على ضفاف نهر غسان عام (٣١٠)م.

وتولى الأمر بعده ولده جبلة وولد له ولدان هما: حبيب وسعد، وتوفي جبلة على ضفاف نهر غسان عام ٣٨٠ م وتولى الأمر بعده ولده حبيب مدة(٧٦) عاماً واعقب ولدا واحداً سماه محي الدين، وتوفي حبيب ودفن على ضفاف نهر غسان عام(٣٥٦م) وعمره تسعون سنة، وربي ابنه محي الدين يتيماً فكفله الغسانيون والتنوخيون لما كان لوالده من قيمة في نفوسهم جميعاً. ولما بلغ من العمر(٢٥) سنة اجمع رأي العشائر الغسانية والتنوخية على تسليمه أمورهم. وعاش حاكماً(٨٥) عاماً وانتقل إلى ربه عام(٣٧٦)م عن(١٢٠) سنة من العمر وضريحة على ضفاف نهر غسان

كان ذا شهرة وكرم، والبعض يقول أن البرامكة ينتسبون اليه واعقب محي الدين ولداً سماه محمداً ولما توفي والده هاجر إلى المدينة مقر اجداده الأوائل مع جماعته فصار سكان المدينة يسمونهم النهراويين نسبة إلى نهر غسان لأنهم اقاموا على صفة هذا النهر مع الغسانيين مدة(٢٦٦) سنة وفي عام(٥٧٢)م وفقاً لبعض التواريخ اشرق نور محمد(ص) في مكة، واستجاب لدعوته التنوخيون في مكة وفي مقدمتهم محمد بن محي الدين النهرواني عام ٥٧٤م وقد شاهد محمد

هذا بيعات النبي الأريع وتوفي في المدينة عام ١١ هـ للهجرة عن(٧٨)عاماً. واعقب محمد بن محي الدين ثلاثة أولاد هم نبهان وحسان وحبيب وتولى الأمر ابنه حسان وعاش في يثرب كل أيام أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وحارب مع علي في معركة الجمل وشاهد غيبة أمير المؤمنين وعاصر خلافة معاوية والحسن والحسين بن علي وعاصر معاوية ويزيد وشاهد زين العابدين والباقر سنة(٧٠)هـ وهاجر من المدينة إلى بانياس الشام وتوفي هناك وضريحه فيها. واعقب ولدين هما: جلال ومحمد وقد شاهدا من الأئمة زين العابدين والباقر والصادق ومعركة الزاب بن الأمويين والعلويين ايام مروان بن محمد أخر خلفاء بني أمية وقتل في هذه المعركة جلال الدين بن محي الدين المذكور سنة(١٣٢)هـ ورجع محمد بن محي الدين إلى بانياس الشام بعد أن أقاموا في المدينة (١٨٢)سنة وقد شاهد من الأئمة(ع) زين العابدين والباقر والصادق والكاظم والرضا وكان عمر الرضا يومئذ ثلاث سنوات وتوفي محمد سنة(١٥٦)هـ وعمره(٦٧)عاما.

وولد له ولد سماه عبد الله وقد شاهد الرضا والجواد(ع) وتوفي في بانياس الشام سنة(١٩٩) هـ وعمره(٧٩) سنة واعقب اربعة أولادهم: سرور وجابر وسعد ومحمد والجميع يلقبون بالنهروانيين وقد قام بالأمر بعد عبد الله ابنه محمد وشاهد من الامامات الجواد والهادي(ع) وتوفي محمد بن عبد الله سنة ٢٣٣هـ وعمره(٨٧) عاماً ودفن في بانياس الشام واعقب ولدا هو صالح بن محمد النهرواني وعاش(٦٨) عاماً وتوفي سنة(٢٨١)هـ ودفن في بانياس الشام وشاهد العسكري والمهدي والجنان والخصيبي وكان عمر الخصيبي

يومئذ(٢٠) عاماً وقد ذكره الخصيبي بين الشيوخ الذين شاهدهم وعددهم ستين عالماً (هنا ينتهي ما كتبه صالح بن محمد النهرواني عن نسب أجداده وهجرتهم وتاريخهم).

وقد أعقب صالح بن محمد ولدين هما: ناصر وجعفر وتولى جعفر امر العشيرة بعد أبيه ثم توفي عام(٣٢٠) هـ عن(٧٥) عاماً، وأعقب ولداً اسمه حسان وأقام بعد وفاة أبيه في بانياس الشام مدة (١٠) سنوات ثم هاجر إلى بغداد سنة(٣٣٣)هـ وكانت مدة اقامتهم في بانياس هي(١٩٠) سنة.

وفي بغداد استقر حسان بن جعفر في ظل معز الدولة البويهي وكان البويهيون يسيطرون على بغداد ايام الخليفة المستكفي العباسي وفي سنة(٣٣٤)هـ جرت انتخابات ونجح ركن الدولة البويهي او معز الدولة البويهي واحد هما تلميذ الخصيبي واصبح خليفة بغداد ضعيفاً تجاه البويهيين فأقام الحسن بن جعفر وزيراً عنده وكان عمره لايتجاوز(٣٠) عاماً ثم ولد لجعفر البانواسي المذكور ولد اسمه محمد فأدخله أبوه مدارس بغداد مدة ١٥ عاماً فأصبح يتمتع بقسط وافر من علوم ذلك العصر وقد كان يجيد الخط اجادة منقطعة النظير فكتب تهنئة بأحد المناسبات يهنىء فيها أمير الأمراء البويهي كما يذكر بها والده أيضاً ولما قرأها الأمير البويهي واعجب بجمال خطها طلب محمداً إليه وسلّمه دفاتر الدولة وشؤونها الكتابية إلى جانب أبيه الوزير وذلك سنة(٣٤٥)هـ وكان المعز البويهي لايقبل معروضاً ولاكتاباً إلا بخط محمد بن الحسن فعظم شان محمد في بغداد واطلق عليه اسم الناسخ

البغدادي وبقي في هذه الوظيفة من سنة(٣٥١)هـ إلى سنة(٣٥٤)هـ وتوفي والده الحسن واستلم منصبه كوزير عند المعز البويهي مدة ٤ سنوات وفي سنة (٣٥٨)هـ حدثت فتنة كبيرة بين العلويين والأتراك فهرب محمد الناسخ البغدادي هو وجماعته خوفاً على أنفسهم ورجعوا إلى بانياس الشام مقر آبائهم وذلك سنة ٣٥٩هـ بعد أن أمضوا في بغداد/٣٤/ عاماً واعقب محمد الناسخ البغدادي ولدين هما: حسان وعلي وتوفي ابوهما وهما صغيران سنة/٣٦٢/هـ وشبّ الولدان وتميز غسان بالدين والورع والدرس والمطالعة وتولى الأمر بعد أبيه سنة/٣٨٥/هـ وتوفي وعمره/٣٥/ عاماً فقط واعقب ولدا اسمه عيسى وقد شاهد حسان عدداً كبيراً من الشيوخ أهل المعرفة والدين منهم أبو الخير سلامة بن أحمد الحدّا وشيخه أبو الحسن محمد بن حامد السراج تلميذ الجلي، وابو محمد المعروف بالمهلهلي الذي هاجر مع الناسخ من بغداد، وابو الحسن علي التغلبي، وأبو محمد عبد الله بن قتابة الفراء وأبو عبد الله بن مدلك الرقي الوراق وأبو الحسن علي الجهميدي الجبلي كما شاهد بطرابلس الشام ابا القاسم الشبيبي أحد تلامذة الخصيبي (ونختصر اسماء الشيوخ الذين شاهدهم وهم: كثيرون وتوفي حسان بن محمد الناسخ البغدادي سنة/٣٨٥/ هـ واقام ولده عيسى في بانياس الشام بعد وفاة والده /١٥/عاماً وشاهد عدداً من أخوانه وعارفيه منهم أبو الفتح القلانسي وأبو الحسن علي الآمدي وشاهد بعض تلامذة الجلي ومنهم من الطبرانيين الشاب الثقة ابو سعيد ميمون بن القاسم الطبراني وقد رثاه عيسى يوم وفاته بقصيدة مطلعها:

دمع تحدر من صميم فؤادي ... في صفتين لزينب وسعاد

فعسى السرور لنا يعود كما مضى ... في ما نحاوله بغير تمادي

وفيها يقول:

فيعـــود عهـــد أبـي سعيـد انـــه حتف العـــدوّ ومهـــلك الحســـّاد
ميمـون خدن مـاجـد متـــــأدب يعلـوعلـى الأنظـــار والاعـــداد

وفيها:

أن الخيـانة والغـوايـة والخنـــى والخـزي أجمـــع في بنـي خـلاد
هـذا أبو الفتـح القبيـح فعالـــه اصـل الفسـاد لحـاضـر ولبـاد
قد سـاعدته عصـــابـة مغـــوية يتقـربـــون إليـه بـالألحـاد

ثم يذكر جماعة الفتح اسماعيل بن خلاد الذين خاصموا السيد أبـا سعيد وهم ابن كراء المزركل وأبو العكارك وابن بشاره والضـراب وتعتبر هذه القصيدة مرجعـاً تاريخياً. كمـا شـاهد أبـا الحسـن التنوخـي التجلي والأمير ابا عبد الله بن جعفر بن محرز بـن عسكر(١) وشـاهد بحمـاة الخباز الصوري الذي مدح السيد أبا سعيد بقصيدة مشهورة مطلعها:

إن كنتَ عنّصورٍ عزمت رحيـلاً فلتتركـن فـي القـلب منك غليـلا

ومنها:

عَرّج علـــى طبريةٍ وأنزل بهـــا: تلقـــى منـــاك وتبلـغ المـأمـــولا
تلقى السعيد أبا السّعيد وشيخنـــــا وفقيهنـــا وحسـامنـــا المسلـــولا
لولاك يا شيـــخ الديانة والتقـــى من كان صـد الـوغد اسمـــاعيلا

وهاجر عيسى البانواسي بعد وفاة أبيه بخمسة عشـر عامـاً مـن بانيـاس الشام إلى الجبل الغربي وسكن في قرية المرقب إي سنة /٤٠٠/

هجرية وكانوا قد أقاموا في بانياس بعد هجرتهم من بغداد ٤١ عاماً وسكن قلعة المرقب مدة /٢٦/ عاماً ثم توفي سنة /٤٣٨/ هـ بعد أن عمر قلعة بانياس وسميت باسمه.

وقد أعقب عيسى البانواسي ثلاثة أولاد /أبراهيم وحسان ومحمد، وهم اجداد كل بانواسي في هذه البلاد.

*** ***

نسب كأن عليه من شمس الضحى ألقاً، ومن فلق الصباح عموداً

تعليق وتحقيق

من دارسة هذه الوثائق-والأصول لنسب سكان جبال الساحل السوري تتضح الحقائق التالية:

١- أنهم ينحدرون من أعمق وأعرق القبائل العربية

٢- أنهم أصفى أعراقاً، لأن ظروفاً سياسية طويلة المدى، فرضت عليهم عزلة تامة مغلقة، فاحتفظوا بدمائهم العربية الصافية، وعاشوا بعيدين عن مخالطة الغزاة الذين أقاموا في البلاد محتلين، أو عبروا بها مجتاحين.

٣- إن هذه الجبال في تلك العهود لم تكن مطمعاً لطاغ، أو مطمحاً لغاز، لفقرها وقلة مواردها الأقتصادية، وصعوبة مسالكها، وخشونة الحياة فيها.

٤- تلتقي هذه الأنساب في أصل واحد وعلى القراء أن يلاحظوا:

أولاً : إن الكلبيين يتصلون بملوك حِمْيَر اليمنيين، وهم كلبيون تنوخيون (١)

ثانياً : السنجاريون يرتبطون بنفس الأصل، فهم سنجاريون كلبيون تنوخيون (٢)

ثالثاً : البانواسيون يرتبطون مع الجميع فهم خزرجيون تنوخيون (٣)

---

(١)- راجع الوثيقة رقم ١

(٢)- راجع الوثيقتين رقم ٢و٣ وقارن بينهما وبين الوثيقة رقم ١

(٣)- راجع الوثيقة رقم ٤ وقارن بينها وبين ما تقدم من الوثائق

٥- المحارزة عرب حجازيون عدنانيون ويتصل نسبهم بأحد فروع آل البيت

٦- وفوق هذه الروابط والوشائج التي تشدهم إلى أصل وحيد فهناك الأحداث السياسية التي و حدتهم ومنها على سبيل المثال:

أستنجاد أخوانهم البانواسيين"بهم من أوائل القرن السابع الهجري عندما اشتد عليهم ضغط جيرانهم الأكراد من الشمال ، والصليبيين من الغرب - البحر والسواحل - فخف الكلبيون والسنجاريون لنجدتهم وأغاثتهم ، ودفع الضيم عنهم ، كما سارع المحارزة بغد الاتصال بهم من مصرللمشاركة في تلك الأحداث فاطبقوا من جهة البحر وشكلّوا أحد فكي كماشة من الغرب بينما شكل الكلبيون والسنجاريون فكهّا الثاني من الشرق وتم لهم الغلبة، فدفعوا الظالمين، وأنصفوا المظلومين.

اذن فهناك وحدة نسب، ووحدة دفاع ووحدة مذهب، ووحدة "معارضة" فرضتها عليهم السلطات الأموية والعباسية لتمسكهم بمذهبهم السياسي، وهو موالاة آل بيت الرسول والأعتقاد بأحقيتهم بميراثِ جدهم رسول الله (ص) ويعتبرون الأمويين والعباسيين ملوكا وليسوا خلفاء للرسول الأعظم، وأنما خلفاؤه هم الأربعة الراشدون (ر) ولهم رأي حميد في عمربن عبد العزيز الأموي.

ومع أنهم مسلمون شيعيون أماميون، فإن مجتهد يهم لايتحرجّون عن الأخذ باجتهاد أي مذهب من المذاهب الأخرى المعتبرة، ولكنهم

يشترطون أن ينطبق كل أجتهاد على قاعدة عامة من الكتاب الكريم، وصحيح السنة المطهرة.

ويختلفون مع المقلدين الحرفيين بتحكيم العقل في النصّ أن لم تكن الدلالة واضحة وصريحة عليه من القرأن الكريم، أو متواتراً في الصحاح.

هذه ثوابت ووثائق تاريخية لأنساب العلويين العربية التي تحفل بها أمهات الكتب التاريخية.

أما الوثائق المخطوطة فلا يخلو منها بيت، وتوجد في صفحات كل كتاب تاريخي، أو أدبي، أو صوفي، أو اخباري في تلك الجبال.

اما مايطلع به علينا وعلى الناس بعض الكتاب والمؤرخين الذين أشرنا إلى بعضهم في هذا الكتاب، فكله أختلاق متعمد، وأفتراء متقصّد، وتخرّص باطل، وقتل الخرّاصون

إنه استمرار واحياء لآراء من تقدمهم من أصحاب الأغراض والغايات، والمذهبية الضيقة، والشعوبية الحاقدة، وبنفس الدوافع والنوازع والغايات

فلتيق الله هؤلاء في أمتهم التي فرقوها شيعاً، ومزقوها مزعاً، ولا يرقبون ربهم خشية وفزعاً، ولا تهتز ضمائرهم هلعاً وجزعاً

وملاحظة لا بد منها

يحاول بعض "النابتة" في أيامنا هذه أن يتنكر للنسب التاريخي، ولا يعتدّ به، ولا يستلهمه، وربما أنكره على الأخرين وحجة هذا "البعض" أننا نبني حياتنا بأنفسنا، ونكتب تاريخنا من جديد!!

يقولون هذا بحسن نية، ولكن هذا القول لا يخلو من جهل، أن لم نقل: أنه عين الجهل.

التاريخ والحياة لايوجدان من فراغ، بل هما أمتداد في الزمن مترابط الحلقات.

لقد أختلط في ذهن هؤلاء مفهومان أثنان: مفهوم النسب ومفهوم العشيرة .

مفهوم " العشيرة " أوجده ونمّاه وزرعه الأستعمار، على مدى العهدين التركي والفرنسي ، فتأصّل في بعض النفوس، وانتقل ميراثاً إلى أبنائها.

أوجد الأستعمار في كل بلد نكبته الحياة به، صنائع وكتلاً مغلقة، وميّزها عن سواها ليضرب بها وحدة الشعب، ويحقق أغراضه الأستعمارية، وتم له ذلك.

هذا المفهوم تجب محاربته ، والقضاء على بقاياه ، وأقتلاع جذوره وتصفية الأمة من هذه الأفات القاتلة ، لأنها من مشاريع الأستعمار الخبيثة.

أما مفهوم النسب الذي يشدنا إلى تاريخنا ، فيجب أن نهتم به، ونقدسه لأنه مدعاة اعتزاز، وعامل اتحاد.

لنطرح هذا السؤال البسيط الساذج على كل فرد من (النابتة)

هل أنت عربي؟ وسيكون جوابه مقترناً بالحدة والأنفعال قائلاً: نعم!!

كيف تثبت أنك عربي إذا تنكرت لنسبك؟؟

وسيخجل، ويعتذر، ويصحح مفاهيمه!!

ونقول: إن نسب المرء هو مرآة ماضيه، وعليه أن يديم النظر في هـذه المرآة، فإذا كانت صقيلة صافية فليحذر أن يشوّه جمالها وصفاءها، فـي مايأتيه من قول أو عمل في سلوكه الأجتماعي.

وإذا كانت مغشاة كدرة فليحذر أن يضيف إليها كدورةً وغشاوة من قوله وفعله.

وثائق تنشر لأول مرة

السيد عبد الله العاملي «جاش كاتب» في الباب العالي في الأستانة، مشرف على السجلات السياسية «الارشيف» للدولة العثمانية، قام بجولة سرية في سوريا عام ٩٨٥-١٠١٥ باحثاً منقباً في البلاد عن مؤيدي الدولة العثمانية وعن مناهضيها، وسجل معلوماته، وكل ماأطلع عليه، في كتاب لم يزل مخطوطاً في دائرة المخطوطات بتركيا، وقد حصلنا على نسخة مصورة عنه.

يقول أنه زار سنجق اللاذقية وجبل النصيرية، وحماه وحمص وحلب وعكا ر وطرابلس ويذكر أسماء الأماكن التي زارها في الجبل ومنها القرداحة، وحلة عارة وغيرهما.

ويذكر أسماء الأشخاص الذين تحدث إليهم فيقول عن مؤيدي الدولة «أحترامات تكريمات عفارم» وعن مناهضيها«أدب سيس خوش» .
لغة الكتاب عربية مشوبة بلكنة تركية.

ومما جاء فيه وله علاقة في بحثنا هذا قوله: الباشا مخلوف من سن كلوب من سواد العراق ومن أحفاد فاتحين جاءت مع «قوات عظيمات مع السنجاري»

والباشا مخلوف الذي أشار إليه المؤلف في أوائل القرن العاشر هو- بلا شك- من أحفاد المقدم أحمد بن مخلوف أو أحمد بن مهنا بن مخلوف الذي بنى ضريح ومقام أحمد بن جابر «أحمد قرفيص» في أوائل القرن السابع ٦١١هـ والذي مدحه الطوسي.

ويظهر أن جد الباشا مخلوف جاء إلى المنطقة مع الأمير مرسل الكلبي الكناني من سن كلوب قبل مجيء الأمير حسن المكزون لأن رسالة طلب الأستنجاد التي أرسلها علويو الجبل الغربي، والتي حملها إلى بلد سنجار الشيخ محمد البانواسي مؤرخة ٦١٠هـ وتاريخ مجيء المكزون للنجدة هو ٦١٨هـ ٦٢٠هـ

ويورد الدكتور أسعد علي في كتابه «معرفة الله والمكزون السنجاري» ج ٢ص ٣١٨ أن الأمير مرسل الكلبي «هاجر» من سن كلوب- ويحددها مقابل سنجار- ومعه ألف ومئة محارب، وبرفقته أحمد بن جابر، وعلي بن مقداد الحلبي.

وهذا يفسر لنا أهتمام المقدم أحمد بن مخلوف ببناء ضريح أحمد بن جابر «أحمد قرفيص» ٦١١هـ

ويذكر المؤلف «العاملي» أيضاً أسم «الرشواني» ويقول جاء مع قوات السنجاري .

كما يذكر بيت «حمّو» ويقول عنهم «فروع زاكيات» ومن أحفاد السنجاري، ويظهر أن بعض الذين تحدث إليهم روى له بيت الشاعر الطوسي القائل:

وبيت «حمو» فروع زاكيات إلى المكزون حقاً ينسبنا

وفي كتاب العاملي لمحات تاريخية ذات فائدة جلّي لتاريخنا المعاصر ومنها تعرضه لابن تيمية وفتواه، وحملته على هذه الفتوى التي كانت- ولم تزل- أداة تفريق بين المسلمين.

الوثيقة التاريخية التي ألغت العشائرية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه.
ربنا أغفر لنا ولأخواننا الذين سبقونا بالايمان، ولاتجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا انك رؤوف رحيم.

الباعث لتحريره هو أنه يوم تاريخه قد حضرنا نحن الفقراء لله تعالى طلبة العلم المرقومة اسماؤهم أدناه واجتمعنا مع بعضنا.

وحصلت المكالمة بيننا حيث اننا جميعاً عبيد لله تعالى، وكل منا قصده رضاء ربه، ونوال رحمته ونعمته وقد اعتمدنا على خيرة الله تعالى وصرنا عشيرة واحدة وصار الصلح والدم والرأي والغيرة واحدة على اقامة حق الله تعالى. وإذا أحد أدعى بدعوى من جميع الدعاوي يترافعان مع بعضهما بالشرع الشريف كما يثبت ويحكم الشرع يجري العمل، ومن أتبع رأينا من عامة الشعب له مالنا، وعليه ماعلينا، فعلى هذا الوجه المشروع حصل الرضا والاتفاق منا جميعاً برضانا واختيارنا، وتحرير هذا السند لوقت الحاجة، وحرر في سنة ألف ومائتين وأحدى وسبعين ١٢٧١ نهار العاشر من هلة صفر يوم الخميس.

القابلون بما فيه.

١- سليمان العباس- كاف الحبش ٢- ديب أحمد- البيرة ٣- حبيب عيسي- متور، ٤- ابراهيم سعيد، - الرويمية- ابراهيم مرهج- بعمرة ٦- حسين أحمد- حمين- ٧- ابراهيم عباس سلمان- بيصين، ٨- صالح عمران- الزاوي- ٩- عباس جابر- الطليعي- ١٠- محمد يوسف- رأس الخشوفة ١١- الحاج معلا- بيت الحج- ١٢- اسماعيل محمد-أوبين، ١٣ علي حمدان الزاوي- ضهر بشير- ١٤-صالح العلي- الحداديات- ١٥- حسين يونس- المسقس- ١٦- سليمان محمد- فتاح أبولي- ١٧- علي محمود- بشبطة- ١٨- ياسين يونس ياسين- بيت الشيخ يونس.

هذه الوثيقة

١- لاتستلفت النظر بصياغتها، ولكن تطغى عليها روح الايمان والصدق.

٢- الاجماع على وحدة الرأي والغاية.

٣- الاعلان عن الغاء العشائرية.

٤- الاحتكام إلى الشرع في كل منازعة

٥- تؤرخ معاصرة هؤلاء القادة لبعضهم.

٦- لاشك أنها جاءت رداً صريحاً أو ضمنياً على الأساليب الملتوية التي كانت الحكومات التركية المتعاقبة تلجأ إليها بواسطة صنائعها وولاتها الظلمة.

ان سياسة "فرق تسد" هي الآيديولوجية لسياسة المستعمرين في كل زمان ومكان.

ان العشائرية والطائفية والعنصرية هي اسلحة فتاكة يشرعها المستعمرون بواسطة "صنائعهم" لقتل الوحدة- وحدة الأمة- وتمزيق كلمتها.

لقد عانت سورية من هذه الأسلحة أكثر من سواها سواء في العهد التركي البغيض، أو عهد الانتداب الفرنسي الأبغض.

ولكن الثورة الأجتماعية الكبرى التي أنفجرت عام ١٩٦٣ م وتصحيح مسارها عام ١٩٧٠ م قضت على كل مخلفات الأستعمار الطائفية والعشائرية.

فإذا وجد من يردد هذه الأغنية، أو يهمس بها، فسيلقي من كل تقيف صداً، ومن كان حصيف رداً، ومن القانون القومي الوطني الأخلاقي تعزيراً وحداً

للمؤلف

المطبوع

١- ثورة العاطفة شعر ٤ أجزاء
٢- عبق شعر
٣- أضاجم الأصيل شعر
٤- المهوى السحيق: تمثيلية شعر
٥- افراح الريف: اوبريت شعر
٦- الريف الثائر: اوبريت شعر
٧- المجموعة الكاملة: ج١شعر
٨- المكزون السنجاري ٤ أجزاء
٩- صالح العلي ثائراً وشاعراً
١٠- في سبيل الحقيقة و التاريخ
١١- الشعر بنية وتشريحاً
١٢- وجهاً لوجه مع التاريخ
١٣- المسلمون العلويون في لبنان بالاشتراك مع الأستاذ احمد علي حسن
١٤- ام سهيل قصيدة ، سيرة ذاتية

المخطوط

١- اغاريد للأطفال
٢- رواد عبقر نقد
٣- على قبور الأحبة
٤- محاكمة التاريخ العربي
٥- الخنساء : تمثيلية
٦- المتنبي: ماله وما عليه تمثيلية
٧- المعري: ماله وما عليه تمثيلية
٨- ديوان العرب: أحاديث اذاعية
٩- نساء عربيات
١٠- الجمالية في الشعر العربي
١١- خواطر: احاديث أذاعية
١٢- كرز وجوع: شعر

الفهرس

الموضوع	الصفحة
دعاء	٣
المقدمة	٧
المدخل	١٩
استهلال	٢٦
عرض تاريخي	٢٨
مكة-بطون قريش-النزاع-الزعيمان-	٣٠
لبنان ابي طالب	٤٣
مرض الرسول ووفاته	٥١
ابو سفيان بعد فتح مكة	٥٤
السقيفة	٥٧
ماذا يعني تهديد الفاروق	٥٨
تحليل موقف الانصار	٦٣
الاحتمالات	٦٤
الاجماع	
الخلافة	٦٨
حديث الغدير	٦٩
موقف ابي بكر	٧١
موقف عمر	٧٣
بيعة علي لابي بكر واختلاف الروات	٧٦
المعارضة النبيلة	٨٠
ملوك لا خلفاء	٩٠
من هو الخليفة	٩١
آراء الائمة في شرعية حكم الامويين والعباسيين	٩٣
الاخطاء القاتلة	١٠١
ماأشبه الليلة بالبارحة	١٠٤
الارهاب والمعارضة	١٠٦
ثلاثة	١١٥
مروان بن الحكم	١١٦
عمر بن العاص	١٢٢

الموضوع	الصفحة
عائشة زوج الرسول	١٢٧
اسباب عداء عائشة لعلي	١٣٢
التصوف	١٣٥
المنصفون والمفترون	١٤٤
الحسين عبد الله	١٤٦
انور الجندي	١٥٥
الدكتور مصطفى محمود	١٧١
التناقض والاختلاف	١٨٧
تناقض غريب	١٨٨
المكزون والفرق	١٩٦
الباطنية	٢٠٢
المبالغات	٢٢٠
الغزالي يخترق ستين حجاباً	٢٢٤
الملحق	٢٢٧
تمهيد	٢٢٨
نحن وهم	٢٣٢
المهاجرة وأسبابها	٢٣٥
القرن السابع الهجري	٢٤٢
نسب الكلبيين	٢٥٣
القربى الطبيعية بين المرسل والمكزون	٢٥٦
نسب السنحاريين	٢٥٨
السنحاريون ٢	٢٦٠
المحارزة العدنانيون	٢٦٢
نسب البانواسيين	٢٦٤
تعليق وتحقيق	٢٧١
وثائق تنشر لأول مرة	٢٧٧
الوثيقة التاريخية والغاء الطائفية	٢٨١
للمؤلف	٢٨٥
الفهرس	

وردت هذه الاخطـاء في الكتـاب ، يرجى الانتبـاه اليهـا وتصحيحهـا ٠

صفحـة /٢٥٦سطر ١٦ / ، الخـطأ : والمعـرف	الصـواب : والمعـروف
صفحـة /٢٥٩سطر ٦ / ، الخـطأ : الّ حفنة	الصـواب : الّ جفنـة
صفحـة /٢٨٣سطر ١٥/ ، الخـطأ : ومن كـان	الصـواب : ومن كـل
الفهـرس رقـم ٧٦/ ، الخطأ : واختلاف الروات	الصـواب : واختلاف الروايات